١١١



بينات الصدور

بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم

الشيخ فوزي محمد أبو زيد

دار الإيمان والحياة

(١١١)

بينات الصدور

﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ ﴾

(٤٩ العنكبوت)

فضيلة الشيخ
فوزي محمد أبوزيد

دار الإيمان والحياة

بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم

الكتاب	بينات الصدور
المؤلف	الشيخ فوزي محمد أبوزيد
الطبعة	٢٣ جماد أول ١٤٤٠هـ ٢٨ يناير ٢٠١٩م
كتاب رقم	المائة والحادى عشر من المطبوع
سلسلة	أسئلة صوفية - الكتاب الرابع
الداخلى	٢٢٤ ص*٨٠جم /١٤*٢٠، ١ لون
الغلاف	كوشيه مط*٣٥٠ جم*٤ لون، سلوفان مط
إشراف	دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥، المعادى، القاهرة، ت: ٢٥٢٥٢١٤٠-٢-٠٠٢٠، ف: ٢٥٢٦١٦١٨-٢-٠٠٢٠
إيداع محلى	٢٠١٩/٣١٦٣
ترقيم دولى	978-977-9060-866
باركود	9 789779 060866 03163
طباعة	مطابع النوبار بالعبور

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين واسع الفضل والجود، واكرامه لعباده المخلصين بغير حدود، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد النبي الكريم الذي وصفه ربه أنه بالمؤمنين رؤوف رحيم، وبعد،

فإن من فضل الله تبارك وتعالى على هذه الأمة الإسلامية المكرمة أنه تولى بذاته بيان القرآن في كل زمان على حسب ما يحتاجه أهل هذا الزمان، وذلك في قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ (١٩القيامة).

وهذا البيان الإلهي يكون إلهاماً من الله تبارك وتعالى في صدور عباده الصادقين المخلصين، ويمنحهم الله بعد هذا البيان لسان العبارة ليوضحوا مراد الله في كتابه للخلق أجمعين، ويكسو الله تبارك وتعالى كلامهم طلاوة لتشتاق إليه وتحن إلى سماعه قلوب المتقين، وذلك سر قول الله سبحانه وتعالى عن البيان الإلهي الذي يلهم به العارفون من الله سبحانه وتعالى مباشرة: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ (٤٩العنكبوت)، ويبين ابن عطاء الله السكندري تأثير هؤلاء الأفراد في غيرهم فيقول: (**تسبق أنوارهم أقوالهم فتجذب القلوب وتؤهلها لسماع الغيوب**) ويوضح كذلك حالة الانشراح والسرور التى تحدث للسامعين لهذه العلوم فيقول:

(إذا كان الكلام عن النور حصل لسامعيه السرور)

ومن لطف الله تعالى لعباده المؤمنين وحكمته سبحانه وتعالى في تأييد هذه الدين أن جعل في كل موضع من الأرض رجالاً مخلصين يهبهم فتحاً إلهيا وعلما لدنيا يكشفون به الحجب عن قلوب السالكين ويلهمون به الجواب الشافي الكافي لأسئلة المسترشدين وفيهم يقول عبدالله بن مسعود ﷺ: **(لا تزالون بخير ما إن وجد في صدر أحدكم شيء وجد من يخبره عنه).**

وهذا الكتاب الذي نقدمه لقراءنا الكرام هو عبارة عن أسئلة جاشت في صدور السائلين وبحثوا عن أجوبة شافية لها فيمن يعرفونهم من العلماء والعارفين فلم يجدوا جواباً شافياً لها، فأرسلوا إلينا هذه الأسئلة عن طريق وسائل الإتصال العصرية من الفيس بوك والماسنجر والواتس آب وغيرها من مواقع التواصل الاجتماعي[1] ...

وقد قمنا بتوفيق الله تعالى بالإجابة عليها بحسب ما ألهمنا الله تعالى به من الإجابات الوهبية [2]قاصدين بذلك وجه الله تبارك وتعالى أولاً، وتوضيح الحقيقة وإبانتها لأهلها من السائلين والطالبين ثانيا، وإفادة جموع السالكين والمسترشدين والمسلمين ثالثاً.

---

١ رابط الموقع وصفحات الشيخ المختلفة على الفايس بوك: www.fawzyabuzeid.com
https://www.facebook.com/fawzy.abuzeid
https://www.facebook.com/shbabmoaser
https://www.facebook.com/fawzyabuzeid.library
https://www.facebook.com/khotab
https://www.facebook.com/alsoufia
https://www.facebook.com/esharatelaarfeen
https://www.facebook.com/sfaa

٢ صدر لنا فى ذلك من قبل كتاب فقه الجواب (فى الإجابة على أسئلة موقعنا على الشبكة).

والله تبارك وتعالى نسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به كل من قرأه بالتوفيق للعمل بما فيه في الدنيا وأن يرزقه العفو والعافية ورضوان الله تعالى الأكبر في الآخرة.

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد النبي الحبيب وكل عبد لله تعالى تقي ونقي وقريب.

الجميزة – غربية

في مساء الجمعة؛ الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر ١٤٤٠ هـ
الموافق الرابع من يناير ٢٠١٩م.

فوزي محمد أبوزيد

البريد: الجميزة ـ محافظة الغربية ،جمهورية مصر العربية
تليفون: ٠٠٢٠-٤٠-٤٣٤٠٥١٩
موقع الإنترنت: WWW.Fawzyabuzeid.com
البريد الإليكترونى: fawzy@Fawzyabuzeid.com
fawzyabuzeid@hotmail.com,
fawzyabuzeid48@gmail.com,
fawzyabuzeid@yahoo.com

الباب الأول

أسئلة شرعية

١. مقامات الدين

٢. القضاء والقدر

٣. كبائر القلوب

٤. المحكم والمتشابه في الأحاديث

٥. الناسخ والمنسوخ

٦. فائدة أسباب النزول

٧. الدعاء والعبادة

٨. حكمة السنن وختام الصلاة

٩. الاقتداء بالإمام في الصلاة

١٠. الآذان بالحج

١١. النداء للحج

١٢. زواج المسيار ونكاح المتعة

الباب الأول: أسئلة شرعية

١. مقامات الدين

نرجو من فضيلتكم إلقاء الضوء على مقام الإسلام، ومقام الإيمان، ومقام الإحسان، ومقام الإيقان؟

مقام الإسلام والإيمان والإحسان فصَّل أوصافه الله ﷻ في القرآن، وبين حال أهله النبي ﷺ في سنته الشريفة، فكان يسأل أصحابه، وذات مرة قال لهم:

{ أَمُؤْمِنُونَ أَنْتُمْ؟ فَسَكَتُوا، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ عُمَرُ فِي آخِرِهِمْ: نَعَمْ، نُؤْمِنُ عَلَى مَا أَتَيْتَنَا بِهِ، وَنَحْمَدُ اللَّهَ فِي الرَّخَاءِ، وَنَصْبِرُ عَلَى الْبَلاءِ، وَنُؤْمِنُ بِالْقَضَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مُؤْمِنُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ }[٣]

وفي رواية أخرى لغير عمر:

{ وَالصِّدْقُ عِنْدَ اللِّقَاءِ }[٤]

هذه أحوال أهل الإيمان، إذا كان تجمَّل الإنسان بهذه الأوصاف يكون من أهل الإيمان، فإذا حدث لقاء مع أعداء الله يصدق ولا يفر ولا يزوغ ولا يهرب، إن كان معرضاً لهذا الأمر في المواجهة.

أو إن كان في الجبهة الداخلية فلا يهتم بشائعات الأعداء، ولا إلى ما تطلقه الأبواق الإعلامية والصُحف الأجنبية نحو وطننا وجيشنا

---

٣ معجم الطبراني عن أنس رضي الله عنه

٤ رواه البيهقي وأبو نعيم عن سويد بن الحارث رضي الله عنه

ودولتنا، ولكن يصُم آذانه عنهم لأنه يعلم أنهم يريدون القضاء علينا عن طريق القضاء على الروح المعنوية.

ويصبر عند البلاء، والصبر ليس معناه ترك البحث عن الأسباب، بل أبذل ما في وسعي من الأسباب، وأرضى بقضاء الله ﷻ بعد ذلك.

مريض يذهب للطبيب، ويتناوب على الأطباء إذا لم يُفلح الطبيب الأول، ويأخذ الدواء، لكن يعلم علم اليقين أن الشفاء من الله، وليس من الطبيب، وليس من الدواء.

وصبره على البلاء يعني أن لا يشكو الله إلى خلق الله، وهذه النغمة التي انتشرت في زماننا الآن، يقول: لماذا أنا يا رب ابتليتني بكذا وكذا؟!، لماذا لا تحبني؟!، الله لا يريد لي الخير ... ويستمر في شكوى الله إلى خلق الله، وماذا يصنع لك خلق الله؟!! هم مثلك، وربما أكثر منك، لكن المؤمن يرضى بقضاء الله، فلا يشكو الله إلى خلق الله في نَفَس ولا أقل، وهذا ما كان حضرة النبي يعلِّمه للصحابة المباركين.

رجل من أصحاب حضرة النبي كان هو وزوجته ليس لهما إلا جلباباً واحدًا وكان صالحًا للإثنين، فلم يكن هناك ملابس للنساء وملابس للرجال، وليس تحته شيئاً، فلم يكن يلبس تحت الملابس شيئًا غير بعض الأغنياء، فكان يذهب للمسجد ليُصلي مع رسول الله، وهي تنتظره وتقف خلف الباب حتى يرجع بسرعة بعد الصلاة ليخلع الجلباب وتلبسه حتى تُصلي في الوقت الأول للصلاة، لقوله ﷺ:

﴿ أَوَّلُ الْوَقْتِ رِضْوَانُ اللَّهِ، وَوَسَطُ الْوَقْتِ رَحْمَةُ اللَّهِ ، وَآخِرُ الْوَقْتِ عَفْوُ اللَّهِ ﴾[٥]

فالذي يُصلي في الوقت الأول غير الذي يُصلي في الوقت الأخير، فهذه درجة وهذه درجة.

سيدنا رسول الله ﷺ كان ألمعي وشديد الذكاء وقوي الملاحظة، فلاحظ أن الرجل يُصلي ثم يخرج بسرعة، وأصحاب حضرة النبي ﷺ ورضوان الله تبارك وتعالى عليهم علَّمهم حضرة النبي أنه لا ينصرف أحدٌ من المسجد إلا بعد أن ينصرف الإمام، وكانت هذه السُنَة الواردة عنهم، فنادى عليه النبي ﷺ ذات يوم وسأله عن سبب خروجه مسرعًا بعد الصلاة، وكانوا صادقين فأخبر النبي، فدعا النبي أصحابه أن يُعينوا أخاهم بما يستطيعون، بأن يتصدقوا عليه، فكل واحد منهم تبرع بما يستطيع، وجمع الرجل الصدقات وذهب لزوجته، ولكنه تأخر عليها، فوجدها قلقة لأن الوقت الأول سيفوتها، فسألته: ما الذي أخَّرك؟ فحكى لها، فانظر إلى فقهها في دينها! قالت:

أتشكو الله إلى رسوله ﷺ؟!![٦]

هي لا توافق على أنه يشكو الله إلى حضرة النبي ﷺ ..

فما بالنا نشكو الله ﷻ لكل من حولنا، فبدلاً أن أشكى لهذا

---

٥ سنن الدار قطني والبيهقي عن أبي محذورة القرشي رضي الله عنه
٦ حديث ضعيف وقيل فيه أتشكو ربك لرسوله! ويؤخذ به فى الحث على الصلاة فى ميعادها، وقيل سألوا المرأة كم غاب عنك زوجك فقالت مقدار مائة تسبيحة، وقيل أن رسول الله أعطاه قميصه، فقال لزوجته إنما أخذته ليكون كفني.

وذاك، أشكو له مباشرة، فأقول: يا رب، وهو أقرب إليَّ من أي إنسان في أي زمان ومكان.

فلا بد للإنسان إذا أراد أن يكون من أهل الإيمان الكامل أن يصبر عند البلاء، وأن يشكر الله عند الرخاء فيكون من الشاكرين، فإذا أنعم الله عليه بأي نعمة يشكر الله عليها، والشكر ليس كلمة (الحمد لله رب العالمين) فقط، فهذه لا تكفي الشكر، ولكن الشكر أن أُخرج شيئًا ممن منحني الله من عطاياه لمن يحتاجونه من خلق الله.

رجل من الصالحين رأى أحد الأغنياء مجتهدًا في قيام الليل، فقالوا له: فلان هذا مجتهد في العبادة ويُصلي في الليلة كذا ركعة، فقال رحمه الله: لقد دخل في باب من العبادات غير بابه، فقالوا: كيف؟ قال: هذه عبادة الفقراء، لكن عبادته بأن يُطعم الطعام ويكفل المساكين والأرامل والأيتام!!.لأن عنده المال، فتكون هذه عبادته، ولا يترك هذه العبادة ويجمع الأموال وينافس الفقراء في صلاة القيام بين يدي الله في جُنح الظلام، فكل واحد له عبادته التي تليق به.

فمثلاً أكرم الله رجلاً بالعلم، فتكون له صدقة من هذا العلم يُعلِّم الناس ابتغاء مرضاة الله، لو أكرم الله إنساناً بالوجاهة والمركز المرموق، فيُعين المحتاجين والمساكين الذين ليس لهم من يوصلهم ويقضي لهم حاجاتهم ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى، فهذه عبادته، وهي خيرٌ له من قيام الليل، ومن صيام النهار.

وهذا هو الشكر:

بأن يشكر الله على نعمة الجاه، ويشكر الله على نعمة المال، ويشكر الله على نعمة العلم، ويشكر الله على نعمة الصحة بمساعدة الفقراء والضعفاء، وصيام بعض أيام ابتغاء وجه الله ﷻ.

فكل نعمة أعطاها لنا الله لها شكرها من بابها، وهذا هو الشكر لله ﷻ على النعماء، فإذا استوفى الإنسان هذه الاشياء يُصبح من أهل الإيمان الكامل.

مقام الإحسان

أما أهل مقام الإحسان قال فيهم ﷺ عندما سُئل ما الإحسان؟ فقال: { أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ }[٧]

إذا وصل الإنسان إلى درجة المراقبة لله في كل أحواله إن كان بمفرده أو في جماعة، في الخلأ أو في الملأ، ويتيقَّن أن الله يطَّلع عليه ويراه، ويعلم ما في صدره وما في حناياه، فهذا من أهل مقام الإحسان.

لكن الذي يراقب الناس؛ إذا رآه الناس أحسن، وإذا لم يره الناس ترك العمل، فهذا ليس له شأن بمقام الإحسان! مثلاً: إذا كان في المسجد ويراه الناس يُحسن الصلاة ويتم الركوع والسجود، فإذا لم يره أحد يُسرع في الصلاة، فهذا لم يصل إلى هذا المقام وهو مقام المراقبة.

متى يعرف الإنسان أنه وصل إلى مقام المراقبة؟ إذا كان يؤدي العمل بمفرده بينه وبين مولاه كما يؤديه أمام الجماعة والخلق، لا ينقص

٧ جامع الترمذي وأبي داود عن عمر بن الخطاب ﷺ

عن ذلك أنملة، لأنه يُراقب الله ﷻ، وهذا مقام الإحسان.

مقام اليقين

أما مقام اليقين فهذا كُشف القناع عن قلبه، وفُتحت عين بصيرته، وأراه الله ﷻ قبساً من النور الإلهي في عالم الملكوت الأعلى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥الأنعام) يعني ليس بمفرده.

٢. القضاء والقدر

ما الفرق بين القضاء والقدر؟

رسول الله ﷺ لم يفرق بينهما، فكيف لنا أن نفرق بينهما؟!! عندما جاء سيدنا جبريل إلى رسول الله ﷺ وسأله:

(مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ حُلْوِهِ وَمُرِّهِ)[٨]

القضاء باختصار شديد هو ما قضاه الله تعالى لخلقه قبل إيجادهم، فإن الله قضى لكل عبد ما يحدث له إلى أن يخرج من هذه الحياة الدنيا.

والقدر هو الوقت الذي يتحقق فيه هذا القضاء أثناء حياته الدنيا، إن كان اليوم أو الساعة أو الشهر الذي سيحدث فيه هذا

٨ صحيح ابن حبان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الأمر.

قضى الله ﷻ أن يوجد فلان في يوم كذا في ساعة كذا، وهذا قضاء أزلي، والقدر تحقيق هذا القضاء لحظة الولادة لهذا الرجل، وزمنها في الترتيب الإلهي الذي رتَّبه الله تعالى: ﴿ قَضَىٰٓ أَجَلاً ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ (٢الأنعام).

لماذا جعل الله ﷻ القضاء وجعل القدر؟ لأن الله عنده محو واثبات، فقد يقضي بأمر ويفعل العبد شيئًا يجعل الله ﷻ يمحو هذا القضاء، وهذا موجود في الكون على الدوام في الأعمال الصالحة التي يتوجه بها العبد إلى الله، أو في الأعمال الطالحة التي يخالف العبد فيها مولاه. .. قضى للعبد برزق ثم خالف العبد مولاه، وخالف في هذا العمل شرع الله، قال ﷺ:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ }[9]

الرزق مقدر له، ولكنه عند عمل الذنب حرم نفسه من هذا الرزق، وأضرب لذلك مثلاً: أنت متفق مع جهة العمل التي تخصك على راتب تأخذه في آخر الشهر، ولكنك قمت بعمل مخالفة وتحولت للشئون القانونية، فحكمت الشئون القانونية عليك بخصم يومين من راتبك، لماذا هذا الخصم؟ لعدم التزامك بواجبات العمل، لكنك لو التزمت بالعمل فإنه سيتم المراد وستأخذ الأجر الوافي الكافي ومعه وافر الشكر والتقدير والاحترام ... إذًا القضاء هو ما سبق للعبد في لوح

٩ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن ثوبان ﷺ

الأقدار مما خطَّه الواحد القهار، والقدر هو ما يحل على العبد من الأقدار في ليل أو نهار مما سبقت به قدرة القادر القهار ﷻ، وهذه قابلة للتبديل والتغيير والمحو والاثبات بحسب ما يعين الله هذا العبد على عمله وعلى التزامه بأوامر ربه ﷻ.

٣. كبائر القلوب

ما كبائر القلوب؟ وكيفية تكفيرها؟

١. الشرك بالله

كبائر القلوب أولها الشرك بالله، والشرك في هذا الباب أن ينسب الفعل للأسباب وليس لمسبب الأسباب، لأن الله ﷻ يفعل عبر الأسباب، فالموحِّد حقًا من يرى الأسباب تفعل، ولكن يرى الفاعل فيها هو مسبب الأسباب ﷻ، وهذا بالنسبة لأفعال الخير، وأفعال البر، وأفعال الاكرام والتبجيل والتعظيم لله على الدوام.

أما المعاصي فيرى أفعالها من النفوس، ولا ينسبها أبدًا إلى المليك القدوس، وعلَّمنا الله هذا الأدب العلي على لسان سيدنا إبراهيم النبي الصفيّ حين قال: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾ (الشعراء) مع أنه يتناول الطعام، ويتناول الشراب ولكنه نظر إلى مسبب الأسباب ونسب إليه الفعل، لأن الحقيقة هي فعله تبارك تعالى، والأسباب قائمة به تبارك وتعالى.

وعندما جاء إلى المرض، والمرض عرض، وقد يكون نقص،

فقال: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ ﴾ (الشعراء) نسب المرض إلى نفسه، لأنه عيب أن ينسبه إلى ربه، ونسب الشفاء إلى الله ﷻ، وفي هذا المقام يقول إمامنا أبو العزائم ﷺ:

من يشهد الغير فعالاً فمنقطع لأنه مشرك قد مال للسفل

من يشهد غير الله يفعل فهو منقطع عن التوحيد، وعن جمال التفريد، لكن الصادق في قصده يشهد مسبب الأسباب هو الذي يفعل في الأسباب.

سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام ورد في بعض الأثر أنه شكا إلى الله وجع في أضراسه فأمره الله أن يذهب إلى مكان كذا، وفيه نبات هيئته كذا، وخذ منه فتُشفي بإذني، فذهب ووضع النبات على أضراسه فشُفيت في الحال، وبعد فترة من الزمن عاوده وجع أضراسه، لكن: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولاً ۝١١ ﴾ (الإسراء) والعجلة غير مطلوبة بالنسبة للأنبياء والمرسلين والصالحين: ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۝٣٧ ﴾ (الأنبياء) الشرط ألا تستعجل، ولكن تتأنَّ.

فذهب موسى فورًا إلى النبات ووضع من هذا النبات على أضراسه فزاد الداء وزاد الألم!! فتذكَّر، فقال: يا رب أليس هذا النبات الذي أرشدتني إليه وشفى وجع أضراسي، فلِم زاد الألم؟! قال: يا موسى في المرة الأولى رجعت إلينا فجعلنا الشفاء في النبات، وفي المرة الثانية ذهبت إلى النبات ولم ترجع إلينا فنزعنا الشفاء من النبات!!.

لا يوجد شيء في الكون يفعل إلا بأمر من يقول للشيء كن فيكون، فالسِكين لا يقطع إلا إذا جاءه الأمر من الله، فعندما أمرها الله أن لا تقطع لم تقطع، مع أنها كانت في يد أبو الأنبياء، وكان يُنفذ الوحي الذي جاءه من السماء، إلا أنها تُنفذ أمر الله، ولا تُنفذ طلب العبد، إلا إذا وافق مشيئة الله جل في علاه: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (٣٠الإنسان).

قد يظن البعض أن النار تحرق من بنات نفسها، لكن الله أخبرنا في واقعة قرآنية أنها لا تحرق إلا بإذن ربها، فندما أُلقي فيها الخليل جاءها أمر الجليل: ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (الأنبياء) فلم تحرق منه إلا قيوده وأحباله التي قيدوه وربطوه بها، وقال بعض الصالحين: لو قال الله: يا نار كوني بردًا فقط لمات إبراهيم من ثلوجة النار!! لكن الله من رحمته وشفقته وعطفه بإبراهيم ومودته قال: ((يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً)) يعني بردًا لا يؤذي، فالتزمت أمر العزيز الحكيم تبارك وتعالى.

لو كانت الأسماك تأكل من نفسها، ولا تتلقى الأوامر مباشرة من ربها !!!! لأكل الحوت يونس في طرفة عين أو أقل!، وحوت يونس كان وزنه أكثر من مائة وخمسين طناً، ويستخرج منه حوالي ثلاثة أطنان زيت من كبده، وخمسون طنا من الدهون، ومع ذلك لما ابتلعه؛ جاءه الأمر من العلي الكبير:

﴿ أَنْ لا تَخْدِشَنَّ لَهُ لَحْمًا، وَلا تَكْسِرَنَّ لَهُ عَظْمًا ﴾[10]

مع أن هذا الحوت يبلع الحديد ويهتكه!! فما بالك بإنسان عبارة عن لحم وجلد وعظم، لكن ما دام جاء أمر الله، ولا يُنفذ إلا ما يحبه وما يريده مولاه ﷻ.

فالمؤمن لا يرى فعالاً في نفسه، أو في كونه، أو في غيره إلا الله ﷻ، وهذه حقيقة التوحيد لأهل التفريد الذين هم المفردون لرب العالمين ﷻ.

٢. القنوط من رحمة الله

الكبيرة الثانية: أن ينتاب الإنسان في الدنيا بعض الابتلاءات، وبعض الشدات، سواء في نفسه، أو في اسمه، أو في ماله، أو في أولاده، أو من خلق الله حوله، فيصل الأمر به إلى أنه ييئس من رحمة الله، ويقنط من فرج الله ﷻ: ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الحجر) ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (يوسف).

لكن المؤمن مهما ابتلي بأنواع من الشدائد، ومهما تواردت عليه المتاعب والآلام فهو على ثقة أن الله ﷻ سينجيه في أي وقت، وفي أي حين، ولذلك يلح بالدعاء، ودائمًا وأبدًا يتعبده بالاكثار من الرجاء:

﴿ أَنَا عِنْدَ حَسَنِ ظَنِّ عَبْدِي بِي ﴾[11]

---

١٠ كشف الأستار لنور الدين الهيثمي عن أبي هريرة رضي الله عنه

وما دام حسن الرجاء في الله، فإن الله يُفرّج كربه مهما حدث له، فأيوب نبي الله ابتلاه الله ففقد ماله ومات أولاده وزوجاته وأحفاده، وكان عنده من كل أموال الدنيا في زمانه من بقر وغنم وجمال وكل أنواع الزرع، ففقدها كلها، ولكنه لم يقنط من رحمة الله، مع أنه ابتلاه في جسمه بداء شديد، لا نفسره ولا نؤله لأن الله لو يعلم في تفسيره شيء نافع لنا لذكره لنا، ولا نركب المشاق التي ركبها المؤلون والمفسرون، فمنهم من قال جاءته الحمى، ومنهم من قال غير ذلك، ويلجئون إلى الإسرائيليات ويذكرون أحداث لا تليق بعصمة الأنبياء.

لا بد أن تضع أمام عينيك دائمًا عصمة الأنبياء، ولا تذكر شيئًا يتنافى مع عصمة الأنبياء، لأن البعض كان يقول على سيدنا أيوب أن الدود كان يأكل منه، والدودة التي تسقط يعيدها ويقول لها كلي مرة أخرى!!، هل هذا كلام يليق بعصمة الأنبياء؟!! لا، وهذه كلها إسرائيليات لا شأن لنا بها.

زوجته قالت له: يا أيوب ألا تدعو الله أن يكشف ما بك، وأنت دعاؤك مستجاب؟! فقال: كم سنة عشت أنا وأنت في غنى وستر ورخاء؟ قالت: سبعين عامًا، فقال عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام: وكم سنة ابتليت بهذا المرض؟ قالت: ثماني عشرة سنة، قال: إذا تساوت أيام البلاء مع أيام الرخاء يحق لي أن أسأل الله عز وجل في السماء!!.

إنه يُعلِّمنا الصبر الجميل، فنحن قد يكون أحدنا في رخاء تام،

١١ فوائد تمام الرازي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

ويأتيه بلاء لساعة أو ساعات أو أيام فينسى كل الرخاء الذي أفاضه عليه الملك العلام، ويشكو الله!! لكن لماذا نسيت الرخاء؟! وحتى الابتلاء فهو رحمة لك، وشفقة عليك، وعطف عليك، وحنان بك، حتى لا يكون عليك حساب يوم القيامة ولا حتى لوم ولا عتاب.

وحتى لمَّا دعا لم يقل: رب إني أصابني الضر، مع أنه مصاب، ولكن انظر إلى الأدب العالي في خطاب الله، قال: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾ (٨٣الأنبياء) مس خفيف، أدب عالي يجب أن نتعلمه من أنبياء الله لنمشي على هداه.

ولم يقل: اشفني أو عافني، ولكن قال: ﴿ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ ﴾ (الأنبياء) يعني أنا راض بما تقسمه لي، إن شفيتني فهي رحمة وأنا راض، وإن لم تشفني فهي رحمة وأنا راض، وهذا هو الرضا بمر القضاء، لكن لا يأس ولا قنوط من رحمة الله ﷻ لأن هذه كبيرة من كبائر القلب.

٣. أمن مكر الله

الكبيرة الثالثة: أن يأمن الإنسان مكر الله، إذا أملى له الله، وأغدق عليه النعم، ووالاه بصحة الأجسام، وأصناف الطعام والمال والولدان، فتضحك عليه نفسه، وقد يقول: سأؤخر العبادات حتى أحال إلى المعاش، وعندما يقترب الموت وأتعبد إلى الله تعالى!!. أو إذا وقع في ذنب، فيقول: سأتوب بدءًا من يوم الجمعة القادمة، أو من رمضان القادم، أو إذا كان معه مال فيقول: أفعل الآن ما أريد وكما يقول الجهال ديِّتها حجة وتمسح كل الذنوب الماضية!!.

لكن من أين تضمن أنك تعيش إلى أن تتوب؟!! ويُبعث المرء على ما مات عليه، من الذي يضمن لك أن تعيش إلى يوم الجمعة أو إلى رمضان؟!! من الذي يضمن لك أنك ستحج إلى بيت الله الحرام ومعك كل ما يحتاجه الإنسان من المال؟!! وكما نرى الآن فالكثير من الناس معه المال ولكنه لا يستطيع أن يحج!!.

إذًا الإنسان الذي يأمن مكر الله هو الذي يؤجل التوبة، وتسول له نفسه الوقوع في المعاصي، والوقوع في الغفلة، والوقوع فيما لا يحبه الله ولا يرضاه، طمعًا في مغفرة الله، وهذا قال فيه ﷺ:

{ لَيْسَ الإِيمَانُ بِالتَّمَنِّي وَلا بِالتَّحَلِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ }[١٢]

ويقول الحسن البصري رضي الله عنه:

((ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، وإن قوماً غرتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، قالوا: نحن نحسن الظن بالله وكذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل)).

ولذلك المؤمن دائمًا وأبدًا له جناحان في قلبه يطير بهما إلى ربه، جناح الخوف وجناح الرجاء، الخوف من سوء الخاتمة، ولا يعرف متى هي، والخوف من لحظة الختام، والخاتمة حاكمة:

---

١٢ دليل تاريخ بغداد لابن النجار عن أنس رضي الله عنه

{ يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ }[١٣]

وفي نفس الوقت يرجو رحمة الله، ويرجو عطف الله، ويرجو إكرام الله تبارك وتعالى! ولا يرجح جناحٌ منهما على الآخر، فلو غلب عليه الخوف يئس وقنط، ولو غلب عليه الرجاء أمن، وهذه كبيرة وهذه كبيرة ... لذلك لا نُغلِّب الخوف، ولا نُغلِّب الرجاء، .. وإنما كما قيل: **((لو وُزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا))** الاثنان في خط واحد متساوي ليبعد عن كبائر القلب التي ذكرها الله في كتاب الله، وقال فيها ﷻ:﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (يوسف)، وكبائر القلب كثيرة، ولكن نكتفي منها بهذه الثلاث.

٤. المحكم والمتشابه في الأحاديث

نزل القرآن مشتملاً على المُحكم والمُتشابه، فهل أحاديث رسول الله ﷺ فيها المُحكم والمتشابه؟

القرآن فيه المُحكم يعني الذي لا خلاف فيه، والمتشابه الحمَّال لعدة وجوه في التفسير، فكلٌ يفسر بقدر ما يفهم، ولكننا نقف عند من يُفسر بما أفاء الله تبارك وتعالى عليه ببركة الإخلاص، ولا يبغي بتفسيره إلا وجه الله ﷻ، لا هوى ولا مذهبية ولا أي شيء من هذا القبيل.

أما الحديث النبوي الوارد عن رسول الله ﷺ فهناك الأحاديث

١٣ صحيح مسلم ومسند أحمد عن جابر ﷺ

الصحيحة المتواترة التي يرويها أكثر من صحابي، وهي الدرجة العُليا في الصحة.

وهناك الأحاديث التي يرويها الأفراد، يعني واحد فقط الذي يرويه أو اثنين أو عدة أفراد، وهي تكون أقل في الصحة.

وهناك الأحاديث التي تُسمى الأحاديث الضعيفة التي رواها فرد وكانت في موقف خاص بينه وبين رسول الله ﷺ، وربما لم يسمع هذا الحديث غيره، فلذلك من ناحية المتن والسند يكون فيه شيء من الضعف.

وهناك الأحاديث الموضوعة –كفانا الله شر من وضعها– لأن هؤلاء وضعوا أحاديث عن رسول الله ﷺ لتشويه الصورة النبوية، وهؤلاء الوضّاعون معظمهم إما اليهود وإما المغرضون، يعني مثلاً: تاجر يريد أن تشتهر بضاعته فيؤلف حديثًا عن هذه البضاعة ليشتري الناس منه، وعلى سبيل المثال: تاجر يتاجر في الحلبة فيدعى أنه ﷺ قال: لو تعلم أمتي ما في الحلبة من الفوائد لاشتروها ولو بوزنها ذهباً!! وهو يريد أن يُحفز الناس لشراء الحلبة، ومن هذا الحديث كثير.

وبالتأكيد تكون علامة الوضع ظاهرة لأنه وضع الحديث ليروِّج بضاعته، ومن هذا الباب كثير من الأحاديث السياسية التي وُضعت للناحية السياسية، يعني جماعة يُحبون الإمام علياً فوضعوا أحاديث تقدس الإمام علي، وجماعة وضعوا أحاديث في نفس الوقت تُنزل مكانة معاوية، وأحباب معاوية بالعكس.

فهذه الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ، وليس فيها مُحكم ومتشابه، .... ولكن منها حديث قوي الإسناد، ومنها حديث ضعيف، ومنها حديث متواتر، ومنها حديث أفراد، فهذه أحاديث رسول الله ﷺ

٥. الناسخ والمنسوخ

هل هناك ناسخٌ ومنسوخٌ في حديث النبي ﷺ؟

الرسول ﷺ كان يتدرج مع الناس في دعوته إلى الله ﷻ:

والتدرج يقتضي أن تتغاير الأقوال في كل مرحلة، فليس نسخاً، ولكن ترتيب مراحل، لأن طبيعة الإنسان أنه لا يستطيع أن يُقلع عن عادة تمكنت فيه مرة واحدة ولكن بالتدريج.

فكان ﷺ يأخذ الناس في أمورهم بالتدريج حتى لا يقسوا عليهم، وحتى لا يشتد الوقع الإسلامي عليهم، فيشعرون باشمئزاز من العمل الذي طالبهم به، وهذا يقتضي أنه ﷺ ينوع الأحاديث لكل مرحلة، وهذه واحدة.

الأمر الثاني: أن الإسلام يخاطب جميع البشر في كل المراحل، فكل حكمٌ شرعي فيه جانب للرجال، وجانب للنساء، وجانب للشباب، وجانب للشيوخ، فليس من الحكمة أن نطالب الشباب بما نطالب به الشيوخ، أو نحكم على الشيوخ أن يعملوا بما يعمل به الشباب، ولكن لكل مرحلة ما يناسبها من الأحكام الشرعية، ومن

هذا القبيل ما ورد في سنن أبي داود:

{ أَنَّ رَسَولَ اللهِ اسْتَأْذَنَه إِنسَانٌ فِي التَقبِيل فَأَذِنَ لَه، واستَأْذَنَه آخَر فَلَم يَأذَن لَه، فَإِذَا الَّذي أَذن له شَيخ كَبير، والَّذي لم يُؤذَن لَه شَاب }.

قال ﷺ للشيخ: نعم، وقال للشاب: لا، فهل يحدث نسخ لأحد هذين الحكمين؟ لا، ولكنه أعطى لكل واحد منهما ما يناسبه، لأن النسخ هو نسخ الحكم السابق بحكم لاحق، ولم يحدث ذلك، فهو أباح للشيخ ما منع منه الشاب لأن الشاب قد لا يستطيع أن يضبط أعصابه فيجُره هذا الأمر إلى ما لا يستطيع دفعه، ويكون فيه مخالفة لله ﷻ، لكن الشيخ ما دام يستطيع أن يضبط أعصابه فأباح له أن يفعل ذلك.

ومن هنا فلو كان شيخٌ في السن لكن لا يستطيع أن يضبط أعصابه في هذا الأمر فيأخذ حكم الشاب على الفور، لأنه قد يُجر إلى مثل هذا الصنيع.

فتنوع الأحاديث لتنوع أحوال البشر، لأن الرسول ﷺ رأى ما يصلح للبشر جميعًا على اختلاف أعمارهم، وعلى اختلاف قوتهم، وعلى اختلاف أحوالهم، فهذا في بلد باردة، وهذا في بلد حارة، وكل واحد منهم له ما يناسبه في شرع الله ودين الله، والذي وضَّح ذلك وبيَّنه سيدنا رسول الله ﷺ.

٦. فائدة أسباب النزول

هل أسباب النزول حاكمة في فهم القرآن الكريم؟ أم هي أدوات تعين على فهم النص؟

أسباب نزول آيات القرآن الكريم يقول فيها سيدنا عبد الله بن مسعود ﵁: والله ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأعلم أين نزلت، وفيم نزلت، ولأي شيء نزلت!!

هذه الأسباب تعين الإنسان المؤمن على تفهّم أسرار هذه الآية، وسر هذه العناية للنبي ﷺ وأمّته.

لكن ليس معنى الآية قاصر على سبب نزولها، لأن القرآن كتاب نبي الختام، وهو الكتاب الممتد لآخر الزمان، فلو كان المعنى قاصر على أسباب النزول لكان – حاشا لله – القرآن لا يصلح إلا في زمن وجود النبي بجسمه وروحه، لكن القرآن لأنه صالح لكل زمان ومكان ففي الآية معاني إلهية، ومعاني ربانية يكشفها الله ﷻ لأهل كل زمان، ولأهل كل مكان إلى أن تقوم الساعة.

وفي ذلك يقول الله ﷻ: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ (١٩القيامة) هذا البيان على الله، لأن الله يبين لأهل كل عصر على حسب ثقافتهم، ودرجة فهمهم، ومراتب عقولهم، وما يحتاجون إليه في حياتهم وشئونهم.

فالقرآن يخاطب الخلق أجمعين إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها، فلا نقف عند معنى الآية مع أسباب النزول فقط، بل نعمم المعنى لأن القرآن صالح لكل زمان ومكان.

٧. الدعاء والعبادة

هل يأتي الدعاء بمعنى العبادة؟

قال ﷺ: { الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ }[١٤]

العبادة كلها دعاء، وخير العبادة الصلاة، والصلاة كلها دعاء، حتى ما نتلوه فيها من سورة الفاتحة فهي دعاء، فنقول: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ (الفاتحة).

وسيدنا رسول الله ﷺ في أدبه مع مولاه علَّمنا أدب الدعاء لحضرة الله، وأخذ ذلك من كتاب الله من سورة الفاتحة، فكان يبدأ الدعاء أولاً بالثناء على الله: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ (الفاتحة) وبعد ذلك الدعاء.

ولذلك قنوت سيدنا رسول الله على اختلاف المذاهب إن كان الذي أخذه الإمام مالك، أو الذي أخذه الإمام الشافعي، تجد أن القنوت يبدأ بالثناء على الله، ثم بعد ذلك يدخل في الدعاء.

والعبادات يقول فيها الرسول ﷺ:

{ وَإِذَا سَجَدْتُمْ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ

١٤ جامع الترمذي والطبراني عن أنس رضي الله عنه

فَإِنَّهُ قَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾[15]

وقَمِن يعني جدير، فالدعاء في السجود لا يُرد: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (١٩العلق) والصلاة كلها دعاء لله ﷻ.

والصيام قال فيه ﷺ:

﴿ إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً مَا تُرَدُّ ﴾[16]

ولذلك دائمًا نوصي الأحباب عند الفطر وقبل بداية الطعام أن له دعوة لا تُرد فلا تتركها.

وكذلك الحج، فإنه كله دعاء، وأعظم الدعاء دعاء يوم عرفة لأنه فيه قبول الدعاء.

فالعبادات كلها مبني أمرها على الدعاء لأن الدعاء فيه إظهار العبودية لله ﷻ، فأنت تدعو الله يعني أنك محتاج وطالب، والله ﻷ يريد منك ذلك، يريد أن يرى العبد يطلب منه ومحتاج له، والذي لا يدعو معناه أنه مستغني، ومن استغنى فالله عنه أغنى.

حتى لو سيقرأ القرآن، فقد أوصانا السلف رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أن نمشي على منهج النبي العدنان، فقالوا: كان ﷺ إذا مرَّ بآية رحمة دعا، وإذا مرَّ بآية للجنة دعا الله أن يدخله الجنة، وإذا مرَّ بآية فيها ذكر للنار استعاذ بالله من النار، يعني لا يتلو فقط، ولكن يدعو الله في كل موطن بما يليق بهذا الموطن في دعاء الله، فالدعاء هو

١٥ سنن البيهقي عن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما
١٦ سنن ابن ماجة والبيهقي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

لب العبادات كلها لله تبارك وتعالى.

٨. حكمة السنن وختام الصلاة

لماذا نصلي السنن القبلية والبعدية ونختم الصلاة؟

أنا أرى في هذه الأيام أن معظم شبابنا – من يُصلِّي منهم – يكاد يُصلِّي الفريضة ويقول: يكفي هذا، وتسأله لِمَ تترك السنن؟ يقول: يكفيني الفريضة وهي كل شيء!!.

وقد شاهدنا آباءنا وأجدادنا – وكانوا أُميين ولكنهم كانوا منتبهين – كانوا لا بد أن يصلوا السنن القبلية والبعدية لكل فريضة، ولا يقوم من المسجد إلا بعد أن يختم الصلاة، لماذا؟ لأنهم عرفوا وتعلموا أن النبي ﷺ أخبر عن أن الصلاة التي نصليها لله لا يتقبل الله منها إلا ما حضر قلب الإنسان فيها مع مولاه، قال ﷺ:

{ إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلاَةَ، مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلا عُشْرُهَا، تُسْعُهَا، ثُمُنُهَا، سُبُعُهَا، سُدُسُهَا، خُمُسُهَا، رُبُعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا }[١٧]

لا يُكتب للمرء من صلاته إلا ما عقل منها، إذا صلى الصلاة ولا يحضر إلا في بعض أوقات الصلاة فهذه الصلاة غير كاملة في ميزان القبول عند المولى تبارك وتعالى، وهذا بالنسبة للصلاة الفردية.

أما الصلاة الجماعية التي يجب أن نحرص عليها فسيدنا رسول

١٧ مسند أحمد وابن حبان عن عمار بن ياسر رضي الله عنه

الله كان يُركز عليها تركيزًا شديدًا، حتى أنه قال ذات يوم لأصحابه:

{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلاةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلا فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ }[18]

لماذا؟! للخير الذي حُرموا منه، لأن صلاة الجماعة لو تقبَّل الله فيها من رجل واحد صلاته، سيقبل صلاة الجميع لأجله، ولذلك فصلاة الجماعة يجب أن نحرص عليها لأن فيها ضمان القبول.

فإذا لم يُوجد واحد من الجماعة كانت صلاته كاملة، ولكن حضر في ركوع، والآخر حضر في سجود، والثالث حضر في التلاوة، فإن الله يُكمل من حضور المصلين صلاة كاملة ويقبلها، ويقبل صلاة الجميع من أجلها.

فصلاة الجماعة مقبولة على الدوام، ولذلك لا نفرِّط فيها، ولا نتكاسل عنها مهما كانت الظروف، إلا إذا كان هناك أمرٌ فوق طاقاتنا، وفوق قدراتنا، فإن الله تبارك وتعالى أعلم بأحوالنا كلها في كل وقت وحين.

لكن إذا صليتُ وحدي فمن منا يستطيع أن يُصلي صلاة يحضر فيها كاملة؟! لا يوجد غير الحبيب ﷺ، أما نحن فكل واحد منا على حسب حضوره مع مولاه تبارك وتعالى.

والتائهة والغائبة عن الإنسان لا تأتيه ولا تحضره إلا في

١٨ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

الصلاة!!، ذهب رجلٌ لسيدنا الإمام أبي حنيفة ﷺ، وكان أبو حنيفة ذكي ألمعي، فقال الرجل: يا إمام أنا وضعتُ مالاً في مكان ما ولكنني نسيتُ هذا المكان، وبحثت كثيرًا فلم أجده، فماذا أفعل؟ قال له: توضأ وصلِّ ركعتين بإخلاص لله تبارك وتعالى، فذهب الرجل وتوضأ وبدأ في الصلاة، وصلَّى الركعة الأولى بتأني، وفي الركعة الثانية أسرع، وكان الإمام أبو حنيفة يلاحظه، فقال الإمام: قد وجد ما يريد، وبعد أن أنهى الرجل الصلاة قال الرجل: وجدته، فقال له الإمام: هل كان في الركعة الثانية؟ قال: نعم، وما أدراك؟! قال: إن الشيطان لم يكن ليتركك تتلذذ بالعبادة مع الله تبارك وتعالى!.

لابد أن يدخل عليك ليُفسد هذه اللذة، ويُفسد هذه الحلاوة، ويُفسد الطاعة التي بينك وبين ملك الملوك تبارك وتعالى.

فالشيء الغائب عنك هنا وهناك لا يأتي إلا في الصلاة، فبمجرد أن يقول الإنسان (الله أكبر) يُذكِّروه بأمور في البيت، وأمور في العمل، وبكلمتين كان يتكلم بهما مع فلان وفلان اليوم، فلان قال لي كذا، وكان يجب أن أرد عليه بكذا وكذا، حتى أن كثيرًا يُصلي وبدلاً من قراءة الفاتحة يقرأ التشهد، وبدلاً من التشهد يقرأ الفاتحة، ولا ينتبه إلا بعد أن يُنهي الصلاة!!، وهذه الحقائق لابد أن نعرفها كلنا.

كيف يكون الحساب يوم القيامة؟ قال ﷺ:

{ إِنَّ أَوَّلَ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ مِنْ دِينِهِمُ الصَّلاةُ، وَآخَرَ مَا يَبْقَى الصَّلاةُ، وَأَوَّلَ مَا يُحَاسَبُونَ بِهِ الصَّلاةُ، يَقُولُ اللَّهُ: انْظُرُوا فِي صَلاةِ عَبْدِي، فَإِنْ كَانَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ تَامَّةً، وَإِنْ

وُجِدَتْ نَاقِصَةً، قَالَ: انْظُرُوا، هَلْ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَإِنْ وُجِدَ لَهُ تَطَوُّعٌ تَمَّتِ الْفَرِيضَةُ مِنَ التَّطَوُّعِ ﴾[١٩]

من رحمة الله بنا، ومن شفقته وعطفه علينا يكمل الصلاة الناقصة من التطوُّع من السنن القبلية، والسنن البعدية، ومن ختم الصلاة.

فنحن عندما ننظر في الحقيقة الآن فهل يوجد منا – إلا ما ندر – له سنن يؤديها في الصلاة؟! أبدًا، لأن سُنننا تُعتبر فريضة لأننا نُكمل بها الفريضة، ومتى تكون سننًا؟ لو أنني أديتُ الفريضة كاملة كما ينبغي، لكن لو لم أقم بها كما ينبغي، فإن السنن هي التي تُكمل الفرائض

ولو تركتُ السنن فأكون قد قصرت في حق نفسي، وتأتي الفرائض يوم القيامة ناقصة ولا تجد شيئًا يُكملها أمام ملك الملوك ﷻ.

السنن القبلية، والسنن البعدية، وصلاة الضُحى، وقيام الليل .. كل هذه العبادات وهذه الطاعات تُستكمل منها الصلاة إذا وُجدت غير كاملة، والله ﷻ يقول لنا في الحديث القدسي:

﴿ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ﴾[٢٠]

يظن كثير من الناس أنه عندما يُكثر من النوافل يدخل في

١٩ مسند أبي يعلي الموصلي عن أنس ﷺ
٢٠ صحيح البخاري وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ

الحديث، وهذا صحيح، ولكن متى؟ بعد أن يُكمل الفرائض، فإذا أكمل الفرائض فإن الذي يأتي بعد ذلك يكون سنن ونوافل يُرزق بها حب الله ﷻ.

فالسنن القبلية، والسنن البعدية، وختام الصلاة .. كل هذه نُجهِّزها لنُكمل بها الصلاة التي هي أول ما نحاسب بها عند الله ﷻ، وهذا هو الأمر الأول.

الأمر الثاني: إذا استكملتُ الفرائض ولا يزال لي سنن فأدخل في محبة الله:

{ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ }[٢١]

يمنحني الله محبته، ويجعلني من خيار أحبته، لأنني استكثرتُ من هذه النوافل.

الأمر الثالث والهام أن هذه النوافل ستكون هي الرُخصة التي بها أطلب الشفاعة من النبي ﷺ يوم الزحام، وقد ورد في الأثر: **((من ترك سنتي لم ينل شفاعتي))**[٢٢].

فهل يكون من حقي أن أقول له اشفع لي وأنا تاركٌ للسنن كلها ولم أؤديها؟!! ولا يوجد أحدٌ منا سينجو من عذاب الله، ويدخل الجنة إلا بشفاعة سيدنا رسول الله ﷺ، قال ﷺ:

---

٢١ صحيح البخاري وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه

٢٢ أورده التفتازانى فى التلويح على التوضيح وقال حديث نبوى ولم نقع له على تخريج بكتب السنن والآثار وإن كان يعضد معناه قوله ﷺ الذى أخرجه البخارى ومسلم وغيرهم (فمن رغب عن سنتى فليس منى).

{ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: وَلا أَنَا، إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ }[٢٣]

وفي رواية أخرى:

{ إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ }[٢٤]

الأمر الرابع: عندما أدخل المسجد قبل الصلاة وأتوضأ وأُصلي ركعتين تحية المسجد وسُنَّة الوضوء، ثم أجلس أذكر الله، أو أستغفر الله، أو أقرأ في كتاب الله، إلى أن يحل وقت الصلاة، ومع الأذان أُردد كلمات الأذان، ثم أُصلي النافلة القبلية وأستمر في ذكر الرحمن، هذه الأمور تُؤهل القلب، وعندما يدخل الإنسان في الصلاة فيكون القلب أقرب إلى الخشوع والحضور بين يدي مولاه ﷻ.

لكن الذي يأتي إلى الصلاة مباشرة، وكان قبلها خارج المسجد يتكلم مع جماعة، ويقول لهم: انتظروا حتى أُصلي، ويدخل في الصلاة وهو مشغول بهذا الحديث، وكيف سيستكمله؟!! وماذا سيقول لهم؟!!.

وهناك من هم أشد من ذلك - هداهم الله - يكونوا جالسين على المقهى يلعبون الطاولة أو غيرها، والأذان يؤذن، فيقول أحدهم: اتركوا الدور كما هو ولا يلمسه أحد حتى نصلي الركعتين ونرجع، فبالله عليكم كيف تكون هذه الصلاة؟!!.

---

٢٣ مسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

٢٤ معجم الطبراني عن طارق بن شريك رضي الله عنه

لكن عندما يُجهِّز الإنسان نفسه للقاء الله، ويستعد ويُحضِّر قلبه، فعندما يسمع (الله أكبر) سيكون في حالة حضور وخشوع مع الله، والله ﷻ يقول عن الصلاة التي يُحبها ويطلب منا أداءها: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ (المؤمنون) العبرة بالخشوع وليس بتطويل الركوع والسجود، أو بإطالة القراءة،

سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ يقول: كانت صلاة أصحاب رسول الله ﷺ خفيفة، لكن فيها حضور قلب، فسُئل: لِمَ لم تكونوا تطيلوا الصلاة؟ قال: حتى لا نترك فرصة للشيطان فيُعكِّر علينا صفوها.

فأنا عندما أطيل لا بد للشيطان أن يدخل، لكن إذا قرأتُ الفاتحة وما تيسر من القرآن، ثم الركوع والسجود فلن يجد الشيطان فرصة للدخول في الصلاة، والمهم في الصلاة التي يريدها منا الله الخشوع، والخشوع هو حال القلب أثناء الصلاة لرب العالمين تبارك وتعالى، وهذا يحتاج للتجهيز قبل الصلاة، ولا أدخل فيها مباشرة.

بعض شبابنا – هداهم الله – يجلس يشاهد مباراة كرة، وبين الشوطين يقوم ليُصلِّي، ويترك التليفزيون يعمل ليسمع ما يدور فيه، فما هذه الصلاة؟!! الصلاة يجب أن تكون صلة بينك وبين الله، فهل يصح أن تتكلم في تليفون مع شخص، وأثناء كلامك تنشغل بشخص آخر؟!! لا، كذلك نفس الأمر، فالصلاة عبارة عن محادثة بينك وبين الله، قال الله تعالى في الحديث القدسي:

{ قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ،

فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: "الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ"، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ"، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ﴾[٢٥]

فهذه محادثة بينك وبين الله، ويقول ﷺ في حديثه الذي يبين عتاب الله لمن انشغل عنه في الصلاة:

﴿ إِذَا قَامَ الرَّجُلُ فِي صَلاتِهِ أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ، فَإِذَا الْتَفَتَ قَالَ: يَا ابْنَ آدَمَ ! إِلَى مَنْ تَلْتَفِتُ؟ إِلَى مَنْ هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنِّي؟ أَقْبِلْ إِلَيَّ، فَإِذَا الْتَفَتَ الثَّانِيَةَ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَإِذَا الْتَفَتَ الثَّالِثَةَ صَرَفَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَجْهَهُ عَنْهُ ﴾[٢٦]

فهو يعاتبنا ولكننا لا ننتبه، لأن بطارياتنا ضعيفة ولا تأتي بهذا الإرسال العالي، لكنه عتاب شديد لأهل القرب من الحميد المجيد ﷻ.

فلا بد للإنسان أن يُجهز نفسه قبل الصلاة، حتى يتذوق لذة الخشوع، ويتذوق حلاوة الإيمان، ويحضر بين يدي الرحمن، ويكون بينه وبين الله ﷻ أنوار وأسرار لا يعرفها إلا الأخيار والأبرار.

---

٢٥ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

٢٦ كشف الأستار للهيثمي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

٩. الاقتداء بالإمام في الصلاة

هـل الحـديث النبـوي: { إِنَّمَـا جُعِـلَ الإِمَـامُ لِيُـؤْتَمَّ بِـهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا قَالَ: سَـمِعَ اللَّـهُ لِمَـنْ حَمِـدَهُ، فَقُولُـوا: رَبَّنَـا وَلَـكَ الحَمْـدُ، وَإِذَا سَـجَدَ فَاسْـجُدُوا، وَإِذَا صَـلَّى جَالِسًـا فَصَـلُّوا جُلُوسًـا أَجْمَعُـونَ }[٢٧] .... هل هو حديثٌ منسوخ؟

ما الذي نسخ هذا الحديث؟!!

هذا الحديث ليس بمنسوخ، فالإمام في الصلاة جُعل ليؤتم به من خلفه، فلا يُكبرون تكبيرة الإحرام حتى يُكبِّر، ولا يبدأون في قراءة الفاتحة حتى ينتهي من قراءة الفاتحة ويصمت، ولا يركعون حتى يستوي ظهره راكعًا، ولا يقومون من الركوع حتى يستوي واقفاً، وهكذا، لأنه إنما جُعل الإمام ليؤتم به، وهذا هدي رسول الله ﷺ وصحبه المباركين، وهذا الذي أخذ به أئمة الفقه في الدين على اختلاف المذاهب إلى يوم الدين.

فإذا خالف الإنسان، وخرج عن متابعة الإمام تكون أولاً صلاته باطلة، وثانيًا كما قال ﷺ:

{ أمَا يخشَى أحدُكُم إذا رفعَ رأسَهُ قبلَ الإمامِ أنْ يجعَلَ اللهُ رأسَهُ رأسَ حمَارٍ }[٢٨]

الذي يرفع رأسه قبل الإمام يُبعث يوم القيامة ورأسه كرأس

---

٢٧ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
٢٨ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

حمار، فطالما نويت الجماعة تلتزم السمع والطاعة واتِّباع الإمام في كل أحواله في الصلاة، ولا تخرج عن المتابعة طرفة عين ولا أقل.

وبعض المأمومين يطيل في سجوده في صلاة الجماعة، وهذا مخالف، لكن لا بد أن يقتدي بالإمام وإلا تكون صلاته باطلة، وإذا أردت أن أُطيل فأُصلي وحدي، ولا أصلي خلف الإمام، فهذه السُنَّة، ما دمت أنا خلف الإمام أكون مع الإمام.

والإمام أعطانا المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام أوصافه فقال: **{ يَؤُمُّ الْقَوْمَ، أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ }**[٢٩]

العلماء الذين فسروا هذا الحديث قالوا: الأولى بالإمامة أولاً الأعلم، لأنه قد يكون هناك قارئ لكتاب الله لكنه غير فقيه في الصلاة فيكون الأعلم أولى منه، ثم قارئ القرآن الذي هو على علم بالصلاة، فإذا تساووا يتقدم المتزوج منهم، فإذا تساووا يكون الأكبر في السن، وهكذا، ثم أوصى رسول الله الإمام وقال لكل الأئمة:

{ مَنْ أَمَّ قَوْمًا فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْكَبِيرَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ، وَإِنَّ فِيهِمْ ذَا الْحَاجَةِ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ وَحْدَهُ، فَلْيُصَلِّ كَيْفَ شَاءَ }[٣٠]

من صلَّى لنفسه فليطوِّل ما شاء، ومن أمَّ بالناس فليُخفف، فإن فيهم يعني المريض، والضعيف، ومَن لديه مصلحة ويريد أن يقضيها، فلا بد أن يمشي الإمام على هذا المنوال.

٢٩ صحيح مسلم والترمذي عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه
٣٠ صحيح مسلم ومسند أحمد عن عثمان بن العاص رضي الله عنه

شكا لي شخص فقال: كنت على سفر، وحانت صلاة الجمعة وأنا في موقف الحافلات، والمتعارف عليه أن الخطبة في المساجد التي تقع داخل المواقف والمحطات لا تزيد عن سبع دقائق، فقال لي: استغرق الخطيب في الخطبة ثلاثة أرباع ساعة!!، والناس مسافرون ومعهم مصالح، فماذا يصنعون؟!! وإذا كلمته فمعه الحُجَّة فيقول: المسافر ليس عليه صلاة جمعة، يصليها ظهر وينتهي الأمر، لكن لماذا يا أخي تحرمني من صلاة الجمعة؟!! خفف واجعلني أُصلي الجمعة ولا تحرمني من صلاتها. ومثل هذا قد خالف سيدنا رسول الله ﷺ، فعندما ذهب رجل يشكو معاذ بن جبل لسيدنا رسول الله ﷺ بأنه يُطيل الصلاة، فغضب النبي ﷺ وقال له:

{ يا معاذُ، أفتَّانٌ أنت! ثلاث مرات؟! فلولا صليتَ بسَبِّحِ اسْمَ ربِّكَ، وَالشَّمسِ وضُحَاهَا، وَاللَّيلِ إِذَا يَغْشَى؛ فإنَّه يُصلِّي وراءَك الكبيرُ والضعيفُ وذو الحاجة }[٣١]

فالإمام يجب عليه أن يُخفف الصلاة، ما دام يُصلي بالجماعة، فإذا أراد أن يطيل فليُصلي وحده، ويطيل كما يشاء. .. ولا يجوز للإمام أن يُصلي جالسًا إلا إذا كان عنده عُذرٌ شرعي، وليس هناك من هو مساوي له في الحاضرين، فإذا وُجد آخر يُصلي لأنه أصبح هو الأولى، وأنا في هذا الوقت أتنازل عن الإمامة ... لكن وأتمسَّك بالإمامة وأُصلي وأنا جالس فهذا تعنُّت في دين الله، وليس مقبولاً عند

٣١ البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي لله عنه

الله ﷺ، وهذا ما يقول فيه ﷺ: { هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ }[٣٢]

الرجل الحكيم يُصلِّي وهو واقف، فإذا عجز يُصلِّي وهو جالس، ويقوم غيره ليُصلِّي بالناس بشرط أن يُحسن الصلاة، فإذا لم يوجد من يُحسن الصلاة غيري، فهذه ضرورة، والضرورات تبيح المحظورات.

١٠. الآذان بالحج

قال اللّه تعالى لسيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ (٢٧الحج) لماذا لم يقُل: في المسلمين أو في المؤمنين، مع أن الحج عبادة المسلمين والمؤمنين؟

الذي ورد في الروايات الصحيحة أن سيدنا إبراهيم بعد أن أتم بناء البيت هو وابنه إسماعيل عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، أمره الله أن يدعو الناس جميعًا إلى حج البيت الحرام.

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾ (٢٧الحج) فأذَّن في الناس الحاضرين، وكذلك الذين يأتون بعد حين إلى يوم الدين، فوقف على جبل أبي قبيس وقال: { **أَيّهَا النَّاس كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْحَجّ إِلَى الْبَيْت الْعَتِيق فَحُجُّوا! قَالَ: فَسَمِعَهُ مَا بَيْن السَّمَاء وَالْأَرْض، أَفَلَا تَرَى النَّاس يَجِيئُونَ مِنْ أَقْصَى الأَرْض يُلَبُّونَ** }[٣٣]

---

٣٢ صحيح مسلم وأبي داود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
٣٣ الحاكم في المستدرك والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

فكلنا سمعنا، وكنا لا نزال في أصلاب الآباء الأولين، وقال الجميع كما ورد ببعض الأثر: ((**لبيك اللهم لبيك، فمن لبَّى مرة حج مرة، ومن لبَّى مرتين حج مرتين، ومن زاد على ذلك فبحساب ذلك**)) .. فإبراهيم عندما نادى؛ نادى الناس أجمعين، ولم يكونوا قد دخلوا في حظيرة الإيمان بعد، لأن معظمهم لم يكن قد وُلد، والإيمان يأتي بعد أن يُولد الإنسان وتبلغه الرسالة، وينطق بالتصديق لله ولصاحب الرسالة، فيدخل في دائرة الإيمان.

لكن هل منا أحد دخل في الإيمان عندما استمع إلى نداء إبراهيم؟ لا، فقد كنا كلنا في أصلاب الآباء في هذه الفترة التي نادى فيها إبراهيم على الناس جميعًا إلى يوم القيامة.

١١. النداء للحج

قال الله تعالى لسيدنا إبراهيم: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾ (٢٧الحج) ودعا سيدناإبراهيم ربه وقال: ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (إبراهيم) :

الآية الأولى جاءت عامة، والثانية جاءت خاصة، نرجو التوضيح من فضيلتكم؟

بعد أن انتهى سيدنا إبراهيم وولده إسماعيل من بناء البيت الحرام الكعبة أمره الله ﷻ أن ينادي في الناس جميعًا لحج هذا البيت: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (٢٧الحج) فوقف إبراهيم على جبل أبي قبيس

المواجه للكعبة، واتجه مرة نحو المشرق، ومرة نحو المغرب، ومرة نحو الشمال، مرة نحو الجنوب، وفي كل مرة يقول:

{ أَيّهَا النَّاس كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْحَجّ إِلَى الْبَيْت الْعَتِيق فَحُجُّوا! قَالَ ﷺ: فَسَمِعَهُ مَا بَيْن السَّمَاء وَالأَرْض، أَفَلا تَرَى النَّاس يَجِيئُونَ مِنْ أَقْصَى الأَرْض يُلَبُّونَ }[٣٤]

أخرج الله تبارك وتعالى الأرواح من مستقرها، وهبطت الجبال، وارتفعت الأودية، وسمع الأحياء والذين لم يتيسر لهم الحياة بعد نداء إبراهيم، وقالوا جميعًا: **(لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك)**.

كان هذا النداء إقامة حجة على الخلق أجمعين، لأن الرسل يُظهرون حجج الله على الخلق: { رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ } (١٦٥النساء).

ولكنه عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام دعا أن الذي يذهب فعلاً إلى هذا البيت هو الذي هوى قلبه الله ﷻ ورسله وأنبياءه وهذا البيت، فقال: { فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ } (٣٧إبراهيم) يعنى اجعل القلوب هي التي تهوي وتريد أن تزور هذا البيت وتحج، لأن الله لا ينظر إلى ظاهر الأعمال، وإنما ينظر إلى باطن الأحوال التي في قلوب الرجال.

وتهوي إليهم أي تهوي إلى ولده إسماعيل وذريته، وأمه هاجر،

---

٣٤ الحاكم في المستدرك والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

لأنه أسكنه في هذا الوادي، ولم يكن في هذا الوادي في هذا الوقت زرع، ولا ماء، ولا أناس يأتنسون بهم، فدعا الله أن يُرسل إليهم أناساً يأتنسون بهم، ويأتون بالميرة والطعام وما يحتاجون إليه لهم، فكان هذا أمراً خاصاً طلبًا لأن يتولى الله ﷻ أولاده وذريتهم، وهم ولد إسماعيل، وختامهم نبينا ﷺ.

١٢. زواج المسيار ونكاح المتعة

ما الفرق بين زواج المسيار ونكاح المتعة؟ وما رأى الشرع فيهما؟

زواج المسيار زواج مصلحة يتعرض له التجار كثيرو الأسفار، كأن يسافر مدة في السعودية، ومدة في الإمارات، فيتعرف هناك على بعض رجال الأعمال، وهناك رجال أعمال من النساء، فتعمل إحداهن في التجارة، وقد يكون عندها مسكنها، وعندها من المال ما يكفيها ويزيد، وكل ما تحتاجه رجل، فيتفق معها أن يتم عقد الزواج بالشروط الشرعية لتصبح زوجة له، لكنها تتراضى أنه يعطيها حقها في المدة التي يقيم فيها عندها فقط.

فالرجل إذا كان متزوجاً من اثنتين؛ فحق كل واحدة منهما ليلة، لكنها في هذه الحالة تتنازل عن هذا الشرط، وتكتفي بالمدة التي يقضيها معها إن كانت شهراً أو شهرين ... فهذا الزواج شرعي تمامًا بتمام، وغاية كل ما في الأمر أن الزوجة تتنازل عن بعض حقوقها الشرعية نظرًا لظروفه التي تُقدِّرها، وفي نفس الوقت لا تحمله نفقتها

ولا مسكنها، لأنها معها المسكن والنفقة، ولا تحتاج منه قليلاً ولا كثير.

وهذا يحدث في بعض بلادنا ولكن لا يذاع منعًا لحدوث مشاكل مع زوجته وأهلها وكذلك أهله، فهناك بعض التجار يجوبون البلاد، وقد يكون لهم مقر في كل بلد، وقد يقضي في هذا المقرة مدة كبيرة، فعندما يجد أنه بعد عن زوجته فترة كبيرة وهو يريد أن يحافظ على دينه، ولا يريد أن ينحرف، فيبحث عن زوجة ولا يشترط أن تكون تاجرة فيتزوجها ويوفر لها سكناً، ويقيم عندها ولكن في الأيام المتواجد فيها فقط في هذه البلد، وذلك حتى يقضي حاجته في الحلال.

أما نكاح المتعة فهو موجود عند الشيعة فقط، وللأسف يحاولون أن يستقطبوا بناتنا في الجامعات بهذا النوع من الزواج، وكنت حزيناً جدًا جدًا منذ عدة أعوام عندما اطلعت على خبر بالقبض على مجموعة كبيرة من البنات في إحدى الجامعات ينتمين إلى المذهب الشيعي .. هم يحاولون أن ينتشروا بهذا الأمر، لماذا؟ لأنهم في نكاح المتعة يجعلون الحق للمرأة أن تزوج نفسها بدون الرجوع لولي أمرها، والبنات تريدن ذلك!!.

الزواج عندنا أهل السُنة له شرطان، الشرط الأول الإعلان، والشرط الثاني نسميه التأبيد، أي علاقة أبدية، ولا يحدث الانفصال إلا عن طريق الطلاق أو الموت، لكن العلاقة غير ذلك أزلية.

نكاح المتعة يتم حسب الاتفاق، فإن اتفقوا على الزواج لمدة أسبوع، أو شهر، أو ستة شهور، ولا يطيلون عن ذلك، وبعد انقضاء المدة المحددة يعتبروا منفصلين بدون طلاق، وليس هناك عدة!، وهذا

يخالف شرع الله ﷻ .. والبنات الجامحات في الجامعات تحب هذا الأمر، لأنها ستعيش أسبوع مع هذا، ثم تتركه وتعيش أسبوعًا مع آخر، وليس هناك عدة، فتترك الأول في الصباح، وتكون مع الآخر في المساء!، ولا يوجد استبراء للرحم ولا غير ذلك!!.

وزواج المتعة غالبًا يضعون في حساباتهم أن لا يتم فيه إنجاب، لأنها لو أنجبت من رجل سترتبط به، أو أن المولود سيربطها، ولكنها تريد أن تظل حرة، تبقى مع هذا مدة، وتتركه وتذهب لغيره!! وهذا هو نكاح المتعة، وهو نكاح حرَّمه الإسلام .. أباحه النبي ﷺ في بعض الغزوات في بداية الدعوة الإسلامية لحكمة يعلمها الله، ثم حرَّمه نهائيًا.

والشيعة هداهم الله يقولون أن الذي حرَّم نكاح المتعة هو عمر بن الخطاب وكذبوا، لكن الذي حرَّم نكاح المتعة سيدنا رسول الله ﷺ.

إذًا باختصار نكاح المتعة حرَّمه النبي ﷺ، وحرام لأنه لفترة محددة، وهذا يتنافى مع صريح الدين، وليس فيه طلاق عند الانفصال، وليس فيه عدة شرعية لاستبراء الرحم.

الباب الثاني

أسئلة صوفية

١٣. مخاوف من التصوف
١٤. بين الحمد والشكر
١٥. التسليم والرضا
١٦. الدعاء والتسليم
١٧. العبادة والعبودية والعبودة
١٨. الإثم حزّاز القلوب
١٩. ثبات القلب
٢٠. علامات صحة القلب
٢١. وسعني قلب عبدي المؤمن
٢٢. مشاكل السير والسلوك
٢٣. أعمال القلوب
٢٤. حياة القلب
٢٥. علوم اليقين
٢٦. الفؤاد والقلب
٢٧. آثار الشوق
٢٨. بين الفؤاد والسر
٢٩. حياة القلب والفؤاد
٣٠. الأدب القلبي
٣١. التفريد
٣٢. الاتصال بالشيخ
٣٣. استحضار صورة الشيخ
٣٤. استنارة السريرة والبصيرة
٣٥. إيثار المريدين
٣٦. الورد الخاص
٣٧. الفتح في طريق الله

الباب الثاني: أسئلة صوفية

١٣. مخاوف من التصوف

لماذا يخاف بعض الناس من التصوف؟

هذا الكلام أنا رأيته بعيني في أُناس كثيرين، فالتصوف قبل سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ كان منصرفًا إلى الزُهد في الدنيا، والتفرغ لعبادة الله تبارك وتعالى.

فكان الإنسان لكي يتصوف لا بد أن يترك الدنيا وما فيها، ويبحث لنفسه عن جبل، أو حُجرة في بيت، أو خِلوة في أي مكان ويتعبد لله ﷻ فيها.

فلما جاء سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ غيَّر هذه المفاهيم ورجع إلى ماكان عليه الحبيب المصطفى ﷺ وصحبه الكرام، فقال لسيدي أبي العباس المرسي ﷺ حينما أراد أن يفعل ما فعله السابقون: **((اعرف الله وكن كيف شئت))**.

إذا نمت كن ذاكرًا، إذا مشيت كن ذاكرًا، وإذا أكلت كن ذاكرًا وشاكرًا، وإذا تزوجت كن ذاكرًا وشاكرًا وتاركًا أثرًا ربانيًا يدعو لك بعد لقاء الله، فلماذا نترك الدنيا؟!!.

كثيرٌ من الناس في زماننا لا يزال يُسيطر عليهم المفاهيم السابقة للتصوف، فإذا حدثته ليتصوف يقول لك: هل تريد أن أترك الدنيا كلها وأترك الزوجة والأولاد وأبحث لي عن مكان في الجبل وأتعبد فيه؟!! فهم أن التصوف هكذا، وهذا ما يخيف الناس من التصوف.

وكثيرٌ من الناس دعوناهم وكانوا يجالسوننا، وأقمنا حلقة ذكر ليدخلوا فيها، فوجدت بعضهم لا يستريح، فسألته لماذا؟ فقال لي: أنتم تريدونني أن أغيب عن الدنيا كلها!!، ظنَّ أنه عندما يدخل في حلقة الذكر يغيب عن الدنيا والوظيفة والأهل وسينشغل بالله فقط!! وهذه المفاهيم الخاطئة هي التي جعلت كثير من الناس لم تصل إليهم المفاهيم الصحيحة للتصوف، ولا يريدون أن ينضموا إلى أهله، بل ربما يخافون بسبب المخاوف التي ذكرناها من الدخول في طريق الصوفية.

١٤. بين الحمد والشكر

ما الفرق بين الحمد والشكر؟

الحمد لا يكون إلا لله ﷻ:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾(الفاتحة) لأنه مصدر كل نعمة، وسبب كل خير لنا في أنفسنا أو حولنا أو للخلق أجمعين.

الحمد لا يكون إلا لله لأنه مسبب الأسباب، وواهب النعم الظاهرة والباطنة كلها تبارك وتعالى.

أما الشكر فيكون لسبب من الأسباب، أوصل الله إلينا النعمة على يديه، ليس هو سبب النعمة ولكن النعمة جاءت على يديه، فأشكره على هذه النعمة.

أول سبب من هذه الأسباب الوالدين، فهما السبب المباشر في نشأتي ووجودي، لكنهما لم يوجداني، فالذي أوجدني الله ﷻ، ولذلك:

﴿ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٤ ﴾ (لقمان) اشكر الله أولاً ثم الوالدين، تشكر مسبب الأسباب، ثم تشكر السبب المباشر.

فأي سبب مباشر قدَّم لي معروفًا أو جميلاً أو خيرًا أشكره، لقوله ﷺ:

{ إِذَا حَشَرَ اللَّهُ الْخَلائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ، اصْطَنَعَ إِلَيْهِ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِهِ مَعْرُوفًا: هَلْ شَكَرْتَهُ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ عَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ مِنْكَ فَشَكَرْتُكَ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: لَمْ تَشْكُرْنِي إِذْ لَمْ تَشْكُرْ مَنْ أَجْرَيْتُ ذَلِكَ عَلَى يَدَيْهِ }[٣٥]

إذًا من الذي يُجري النعم؟ الله، لكن حكمة الله أنه جعل لكل شيء سببًا، لو مرضت سأذهب للطبيب، مَن الذي يُلهم الطبيب بالتشخيص السليم؟ الله، ومَن الذي يُلهمه بالدواء الذي يُشفي الداء؟ الله، الطبيب يعرف كل الأدوية لكن التشخيص منَّة من الله، وكتابة الدواء تفضل من حضرة الله، أخذت الدواء وشُفيت، فمَن أشكر؟ الطبيب لأنه سبب أجرى الله ليَّ الشفاء على يديه.

العلم كله من حضرة العليم، وجاءنا به نبينا الرءوف الرحيم، لكن لنتعلم لا بد أن نجلس في حلقات التعليم نتعلم من السادة العلماء الذين تعلموا ممن قبلهم من العلماء الأجلاء، والذين قبلهم من الذين قبلهم، حتى يصل الأمر إلى سيدنا رسول الله ﷺ، فلا بد أن أشكر هؤلاء العلماء الذين علَّموني مما علَّمهم الله تبارك وتعالى.

٣٥ معجم الطبراني وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها

هذا العلم ليس منهم ولكنهم نقلوه إلينا، فكونهم نقلوا العلم إلينا فيستحقوا أن نشكرهم على هذا العلم الذي أسدوه إلينا.

أنا أحضرت طعامًا بأنواعه من السوق إلى البيت، وزوجتي جهَّزته، ووضعته على المائدة وقدمته لي، هذا الطعام مَن الذي كوَّنه وأنشأه؟ رب العزة ﷻ، وقدَّر القدير للمزارع أن يزرعه، ويبيعه للتاجر، وأشتريه من التاجر وأذهب به لزوجتي، وزوجتي تُصنِّعه وتحضره لي على المائدة، هل هي التي صنعت هذا الطعام؟! لا، وإنما الله، ولكن كونها قدَّمت لي هذه المائدة الربانية فالإسلام يعلِّمنا أن نشجعها ونحسها على مزيد من هذا العمل الطيب فنشكرها على هذا الصنيع.

فالإنسان يشكر الأسباب التي تفعل بأمر مسبب الأسباب، ولكنه لا يحمد إلا الله، ولذلك السيدة عائشة رضي الله عنها وكانت من الطالبات اللامعات في فصل المتفوقين في مدرسة النبي الأمين، لمَّا حدث لها حادث الإفك، ولكنها لم تكن تعرف، وبعد حوالي شهر علمت من إحدى قريباتها، فزاد مرضها، واستأذنت رسول الله أن تذهب عند أبيها أبو بكر، فأذن لها، وذهب رسول الله بعد فترة ليزورها، وفي اللحظة التي كان يزروهها فيها نزلت البراءة من الله، ونزل الوحي سيدنا جبريل على سيدنا رسول الله، فقالت لها أمها كما ورد:

{ قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: لا وَاللَّهِ، لا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلا أَحْمَدُ إِلا اللَّهَ }[36]

---

٣٦ الصحيحين البخاري ومسلم ومسند أحمد

لا أحمد إلا الله فهو الذي برأني من فوق سبع سماوات، ولكن رسول الله له الشكر، فهي المعية تعرف أن الحمد خاص بالله ﷻ، فلا يجوز أن أقول لأحد الحمد لك، لأن هذا شرك والعياذ بالله، لكن أقول الشكر لك أن صنعت لي كذا وكذا.

فالشكر يكون للأسباب التي سبَّبها مسبب الأسباب، ويكون بيننا كلنا، أما الحمد لا يكون إلا لمسبب الأسباب القادر الخالق الصانع الباريء المبدع الذي لا يشاركه أحد من خلقه في صنعه وإبداعه تبارك وتعالى.

١٥. التسليم والرضا

ما الفرق بين التسليم والرضا؟

التسليم معناه أن يُسلِّم الإنسان للأمر مضطرًا ولكنه داخليًا غير راضٍ عنه.

لكن الرضا أن يُسلِّم الإنسان مع كمال الرضا ظاهرًا وباطنًا، فيكون الرضا أعلى.

١٦. الدعاء والتسليم

هل الأفضل مقام الدعاء، أم التسليم؟

لكل مقامٍ مقال، ونأخذ مثالاً واحدًا، سيدنا إبراهيم كان

في مقام التوكُّل فكان حاله التسليم، لأنه متوكل على الله، يقول له جبريل: ألك حاجة؟ قال: علمه بحالي يُغني عن سؤالي.

وعندما ارتقى أخذ يسأل الله: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (الشعراء).

فكل مقام له مقال، وهي لأصحاب الأحوال، فصاحب حال التوكل يستسلم لأمر الله، ولا يسأل الله ﷻ، لأن مقتضى المقام يقتضي التسليم الكامل للملك العلام.

لكن صاحب مقام العبودية سئَّال، فيدعو الله على الدوام، لأنه لا يرى لنفسه حالاً ولا قالاً، وإنما يطلب من الله على الدوام فيما يرى في نفسه، عسى الله أن يُصلح شأنه، ويردَّه إلى أصوب أحواله، وإلى خير أموره، وهو حال نبينا ﷺ، وهو الحال الأكمل.

فالحال الأكمل أنني أدعو الله، لأن الدعاء مُخ العبادة، والله ﷻ يُحب من عبده أن يسأله، لماذا؟ لأنه طالما يسأله فهو يشعر بالعبودية، ويشعر بالاضطرار، ويشعر بالمسكنة، ويشعر بالحاجة إلى الله، ويشعر بأنه فقير فيسأل الغني، ويشعر بأنه جاهل فيسأل العليم، وهكذا.

فكمال العبودية في التوجه بالسؤال في كل أمر إلى رب البرية،

سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام كان يسأل الله من أول رغيف العيش إلى النظر إلى وجه الله، يريد أن يأكل، فقال: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (٢٤القصص) يريد أن يتمتع بالمواجهات الفردانية فقال: ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ (١٤٣الأعراف).

لماذا؟ لأن الله قال له ذلك: ((**يا موسى اسألني كل شيء حتى ملح عجينك - وروي: فى شسع نعلك وعلف دابتك - فقال يا رب إنه ليعرض لي الحاجة من الدنيا** - يقصد قضاء حاجته - **فأستحي أن أسألك! قال سلني حتى ملح عجينك وعلف حمارك**))[٣٧]

يعني لو نعلك قُطع وتريد أن تذهب لإسكافي يخيطه اسأل الله أولاً، حتى يهيئ لك الإسكافي ويجعل بابه مفتوحًا ومنتظرك، لكن إن لم تسأل الله، فقد تبحث في كل الأنحاء وتجد المحلات كلها مغلقة.

حتى لو احتجت قليل من الملح فاسأل الله أولاً، ولا تقول البقالة مليئة بالملح، لأنك قد تذهب للبقالة فلا تجد فيها ذرة ملح، لذلك اسأل الله أولاً.

حتى قضاء الحاجة طلب الله من موسى أن يسأله قضاءها!، لأنه هل تقدر أن تقضي هذه الحاجة إلا بإذن ممن يقول للشيء كن فيكون؟!! فلو أصيب الإنسان بإمساك وتناول كل الحبوب المسهلة، ولم يشأ رب العباد تسهيل هذا الأمر، فماذا تصنع له الحبوب؟!!

---

٣٧ جامع العلوم والحكم

ستزيد الإمساك، لكن لو شاء الله فإنه بأوهى الأسباب سينتهي الأمر.

فالأكرم والأعظم أن يكون الإنسان سئَّال، كما قال ﷺ:

{ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُلِحِّينَ فِي الدُّعَاءِ }[٣٨]

إن الله يُحب العبد الذي يُلِّح في السؤال، قد تغضب الناس ممن يُلح عليهم بالسؤال في أمرٍ، لكن – سبحان الله – الله يُحب من يُلحّ عليه في هذه الأمور!!،

لو أنك ألححت على أحد مرتين أو ثلاثة يزهق منك، ويقول: يا فلان أنت كذا وأنت كذا، لكن الله يريدك أن تُلح، وسبحان الله! هل تترك من يريدك أن تُلح وتذهب لمن يغضب عندما تُلح؟!! فتسأل الله في كل الأحوال، وهو حال الكُمَّل من عباد الله الصالحين.

١٧. العبادة والعبودية والعبودة

ما الفرق بين العبادة والعبودية والعبودة؟

العبادة هي أداء الفرائض التي أمرنا بها الله، أو اتيان السنن التي كان عليها سيدنا رسول الله ﷺ.

يعني الفرائض والسنن مع النية الخالصة أن يكون هذا العمل ابتغاء وجه الله ﷻ.

العبودية أن يتخلق العبد بأضداد الأسماء الإلهية ليكون عبدًا لله

٣٨ أورده الطبراني في الدعاء وابن عدي في الكامل

ﷻ، فالله ﷻ من أسمائه العزيز، فيكون العبد بين يدي مولاه ذليل، والله ﷻ غني، فيكون العبد عندما يقف بين يدي مولاه فقير، والله ﷻ عليم، فيكون العبد عندما يناجي الله ويتعبد إلى الله يشعر في قرارة نفسه أنه جاهل بين يدي العليم ﷻ.

قال سيدي أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه عندما كان في حالة قرب بين يدي مولاه: يار ب بم يتقرب المتقربون إليك؟ قال: بما ليس فيَّ، قال: وما الذي ليس فيك؟ قال: الفقر والمسكنة الجهل والذل.

وقال فيها الإمام أبو العزائم رضي الله عنه: ((**بأضداد الصفات أنال قربي**)) لأن الله قال في حديثه القدسي:

{ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ }[٣٩]

لأن الله عظيم، فهل يصح أن أدخل بين يدي العظيم وأنا أشعر في نفسي أنني عظيم!! عظيم سيقابل عظيم! حاشا لله ﷻ!! ولكن أدخل وأنا حقير أمام الله ﷻ.

فهذه أوصاف العبودية التي جمَّل الله بها الحبيب المصطفى ﷺ وأثنى عليه وقال في آياته القرآنية في ثلاثة مواضع قرآنية، الموضع الأول: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ ﴾ (١الإسراء) والموضع الثاني: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ (١الكهف) الموضع

٣٩ سنن أبي داود وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

الثالث: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ (١الفرقان) وصفه بالعبودية، فالعبودية التخلق بأخلاق العبدية في مواجهة الأخلاق الإلهية.

أما العبودة فهي الفناء بالكلية في الحضرة الإلهية، يفنى الإنسان عن ذاته، وعن صفاته، وعن كله، ويُبقيه الله ﷻ بما يتفضل عليه به من أنواره، ومن جماله، ومن أوصافه، ويدخل في قول الله: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ (١٢٢الأنعام).

١٨. الإثم حزّاز القلوب

ما معنى قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ((الإثم حزاز القلوب))[٤٠]؟

الإنسان الذي عنده بصيص من الإيمان، وقلبه فيه مراقبة لحضرة الرحمن إذا ارتكب إثمًا يظل يحز في نفسه، يعني يحدث بداخله لوم وتأنيب على هذا الذنب حتى يتوب منه إلى الله تعالى، أو يعتذر إلى من أساء إليه إن كان الذنب في حق أحد من الخلق، أو يرد ما أخذه إن كان استولى على شيء ليس من حقه.

وهذا ما نطلق عليه (ضميره مستيقظ) فما دام ضميره مستيقظ

٤٠ قيل هو من كلام ابن مسعود وقيل حديث شريف أخرجه البيهقى في " شعب الإيمان " عن عبد الله بن مسعود قال رسول الله ﷺ: (الإثم حواز القلوب، و ما من نظرة إلا و للشيطان فيها مطمع) قال الألباني في " السلسلة الصحيحة " موقوف .. وهذا اسناد على أنه حديث نبوى وأخرجه والطبرانى فى الكبير على أنه حديث شريف وقال كله بأسانيد رجالها ثقات، وروى (حواز الصدور) و (حواز القلوب) و (جزاز القلوب) وذكره الهيثمي في المجمع.

فإنه لن يرتاح أبدًا بعد عمل ذنب في حق الله إلا إذا تاب، وإذا ارتكب شرًا أو إثمًا في حق أحد لن يرتاح إلا إذا اعتذر إليه أو أخذ منه السماح، لماذا؟ لأن نفسه تلومه، وهذه اسمها النفس اللوامة التي يقول فيها الله: ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾ (القيامة).

والنفس اللوامة هي التي احتيت بنور الإيمان، وتلوم صاحبها إذا فعل شيئًا يخالف القرآن، أو يخالف سُنَّة النبي العدنان، أو يخالف حضرة الرحمن تبارك وتعالى في أي وقت، ولا ترتاح النفس إلا إذا تابت وأنابت، أو ردَّت ما عليها، أو اعتذرت لمن أساءت إليه في هذه الحياة الدنيا.

١٩. ثبات القلب

القلب متقلب، فكيف يثبت على حال يُرضي ربه ﷻ؟

سُمِّي القلب قلبًا لأنه يتقلب، تارة ينظر إلى الدنيا وتستهويه فيريد أن يتمتع بطيباتها، وتارة تغلب عليه الشهوات الدانية والدنية وينزع إليها ويريد أن يستمتع بها، وتارة يميل إلى جانب الله، ويسعى للعمل الصالح الذي فيه رضاء الله تبارك وتعالى، ما الذي يُثبِّت القلب؟ كان ﷺ يقول في دعائه كما ذكر سيدنا أنس ﵁:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ }[41]

٤١ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أنس ﵁

الذي يُثبِّت القلب أن الإنسان يكون أمله الأعظم، وعشمه الأكبر في ارضاء الله، أو الفوز في الدار الآخر، فيُسخِّر كل الجوارح، وكل القوى التي معه في الوصول إلى هذه الغاية.

فلا يُسخرها لشهوات دنية، أو لحظوظ دنيوية، أو لأهواء نفسية، لكن تكون رغبته عالية، إما رضاء الله، وإما الفوز بالجنة يوم لقاء الله ﷻ.

ما دام سيشغله هذا المراد فطبعا سيبتعد عن كل ما لا يعينه، وعن كل ما يبعده عن تحقيق هذا المراد، لأنه يريد ذلك.

وأضرب مثالًا: شاب دخل الجامعة، وهو مجتهد ومتفوق، وكل أمله أن يكون معيدًا في الجامعة، ويواصل الدراسة ليكون أستاذًا فيها، ولو حاول كل شاب من شباب الكلية أن يعيقه فسوف يفر منه، والذي يحاول أن يساعده ويعاونه سيهتم به ويُقبل عليه، لأن كل همه أن يحقق هذا الأمل.

لو جاءه شاب وقال له: هيا نذهب للمكتبة، فسيذهب معه لأن هذا يحقق أمله، ولو جاءه شاب وقال له: هيا ندخل على بعض المواقع الالكترونية لنقتبس منها بعض المعارف العصرية الحديثة، فسيوافقه.

لكن لو جاءه شاب وقال له: هيا نذهب لنلعب رياضة في النادي، فهل سيُنصت ويستمع إليه ويذهب معه؟! لا، ولو قال له شاب آخر: هيا نروح عن أنفسنا فنذهب لكافيتريا ونشرب شيشة،

فكيف سيرى هذا؟! سيراه شيطان جاء ليباعد بينه وبين هدفه وغايته التي هو يبغيها.

فدائمًا المؤمن غايته عالية وهدفه راق، غايته رضا الله، أو إذا كان أقل من ذلك في الغاية فيكون دخول الجنة لأنه الموضع الذي يتنعم فيه للنظر إلى وجه الله، ليس للجنة والنعيم الذي فيها ولكن لأنها الموضع الذي سيتنعم فيه بالنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى، فكل الذي يعينه على هذا الأمر سيُقبل عليه.

إذا كان الأمل عال وغال يعمل على ثبات القلب على حالة واحدة وهي الإقبال على الله، وطاعة الله، والسعي في رضاه، والتمسك بسُنَّة حبيبه ومصطفاه، والتمعن والتدبر في كتاب الله.

ما الذي يجعل القلب يثبت على هذه الحال؟ الأمل والغاية، وكما قيل: ((**علو الهمة من الإيمان**)) كلما كانت همته عالية فهذا دليل على أن إيمانه أغلى وأعلى وأرقى، وكان الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه يقول:

علـــوا عـــزائمكم هيـــا وارتقـــوا   لتشـاهدوا عـدن الجنـان وحورهـا

٢٠. علامات صحة القلب

هل القلب يصح ويمرض؟

وما العلامات الدالة على صحة القلب ؟ ومرض القلب؟

القلب يمرض لأن الله قال في حق قوم ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ (١٠البقرة). ما أمراض القلب؟ أخطر أمراض القلب على الإطلاق النفاق، حفظنا الله وإياكم أجمعين، لأن المنافقين يقولون ما لا يفعلون، ويظنون أنهم يخادعون الناس بينما يقول فيهم رب الناس: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ ﴾ (البقرة).

النفاق يعني إظهار الإنسان خلاف ما يُبطن، مثلاً هو لا يحب إنسان، وعندما يقابله يبش في وجهه، ويأخذه بالأحضان، ويُظهر له أنه شديد الحب، وعندما يُغادر يُكثر الخوض فيه والسب والشتم فيه، وهذه ليست من أوصاف المؤمنين، ولكنها أوصاف المنافقين، والقرآن مليء بأوصاف المنافقين التي ذكرها رب العالمين ﷻ.

المرض الثاني: القسوة عن ذكر الله: ﴿ فَوَيۡلٌ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ (٢٢الزمر) يسمع القرآن فلا يؤثر فيه، ويسمع المواعظ فلا تحرك فيه ساكنًا، وكأنه لم يسمع شيء لأن القلب مريض بمرض القسوة، ما علاجه؟ قال ﷺ:

(مُعَالَجَةَ جَسَدٍ خَاوِي مَوْعِظَةٌ بَلِيغَةٌ)[٤٢]

عندما تحضر تغسيل ميت، وتنظر كيف كان هذا الرجل يذهب هنا وهناك، وتنظر في شكله وهم يقلبونه يمينًا وشمالاً، ولا يسمع ولا يرى ولا يتحرك ولا يتكلم، وتعلم أن هذه نهايتك، فهذه ترقق القلب.

٤٢ الحاكم في المستدرك وسنن البيهقي عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه

ذهب رجل لرسول الله ﷺ يشكو إليه قساوة قلبه، وكل إنسان له علاج عند الطبيب الأعظم والحبيب الأكرم ﷺ، فقال ﷺ:

{ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يُلَيِّنَ قَلْبُكَ فَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ وَأَطْعِمْهُ }[٤٣]

البعض اعتقد أن يضع يده فوق رأس يتيم، وهذا علاج قسوة القلب!!، لكن ليس وضع اليد فقط على رأسه، وإنما مساعدته بشيء في حياته ينفعه ويرفعك، فتنظر طلباته وحاجاته وضروراته وتقضيها له، فإذا قضيتها له فإنك وضعت يدك على رأس أمره – مصالحه – فينظر إليك الله بعطف ورحمة ولين، فيلين قساوة قلبك كما أخبر وأنبأ سيد الأولين والآخرين ﷺ.

وهناك مرض ثالث: وهو الإعراض عن الله، نسأل الله الحفظ والسلامة: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (طه) وهؤلاء موجودون في كل زمان ومكان، فهناك أناس منهم لا يدخلون المسجد إلا مرة واحدة عند موته وهو على الخشبة ليُصلُّوا عليه صلاة الجنازة.

يقولون له: هيا لنُصلي، فيقول: ماذا أخذ الذين يُصلون؟! وربما يستهزأ أكثر ليستكثر من غضب الله عليه فيقول: سأدخل الجنة قبلكم، ويزيد في الكلام الذي فيه استهزاء بالله ورسوله والمسلمين، ويرفض رفضًا تامًا أن يدخل بيت الله!!، ما هذا؟!! إعراض عن الله ﷻ.

٤٣ سنن البيهقي وحلية الأولياء لأبي نعيم عن أبي الدرداء ﷺ

وظهر في العصر الحديث شيء آخر لم يكن في السابق وهو أن بعض المسلمين يأتي في رمضان ويُصرّ على عدم الصيام، مع أنه قوي وصحيح الجسم، وليس معه عذر شرعي، وتحاول معه زوجته وتقول له: نحن مسلمون، وماذا ستقول لربك عندما تقابله؟! فيسبها وقد يضربها، وهذا اسمه الإعراض عن الله ﷻ.

ما شكل معيشته؟ قال الله: ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (١٢٤طه) لا بد أن تصيبه في الدنيا الهموم والغموم إن آجلاً أو عاجلاً، وكذلك الأمراض، حتى يرى أن الله ﷻ أملى له ولكنه لم يرتدع !! ولم يرجع إلى الله ﷻ، وتطبق عليه القاعدة الأخرى ....: ﴿ وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (طه).

وهناك مرض رابع: وهو الصدود عن طاعة الله ﷻ، فيقول: كلما حاولت أُصلي أجد عندي عدم قابلية للصلاة، ويقول: كلما حاولت فتح المصحف أجد عندي عدم قابلية للقراءة، ويقول: لو استمعت القرآن من التلفزيون أو الإذاعة أجد نفسي غير متلذذ وغير سعيد، وأسعد عندما أنتقل إلى الأغاني والكلام الفارغ ....!!! لكن القرآن لا!!.

وهذا الصدود سببه: ﴿ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ (المؤمنون) هذا الرجل إما أنه ظلم نفسه، أو ظلم غيره، ظلم نفسه بتعدي حدود الله: ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾ (١الطلاق) أو ظلم غيره ظلما بيّنا ورفض أن يرد لهؤلاء الأقوام حقوقهم التي قررها الله ﷻ لهم، فتكون عقوبته الصدود عن ذكر الله وطاعة الله ﷻ.

أمراض القلب أمراض كثيرة نكتفي منها بهؤلاء الأربع، ونسأل الله السلامة أجمعين من أمراض القلوب.

ماعلامة صحة القلب؟ ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ ﴾ (١٢٥الأنعام) يجد صدره منشرحاً دائمًا للطاعات، ويفرح عند سماعه لآذان الفجر، فيستيقظ ويذهب للصلاة، ويفرح عندما يجد مجلس علم، فيسارع إليه حتى يكون له نصيب من هذا المجلس، ويفرح عندما يجد قومًا يذكرون الله تعالى ويسارع ليلحق بهم حتى ينال من الخير الذي قدَّره الله تبارك وتعالى لهم.

ويفرح إذا جاء خير لأي مسلم من المسلمين حتى ولو كان عدوًا له!، ويحزن إذا نزل شر أو ايذاء بأي مسلم من المسلمين ولو كان عدوًا له!، يفرح للمسلمين، ويحزن على ما يحدث من ضر وشر للمؤمنين.

ويفرح أكثر إذا وجد أنه عندما يقرأ كتاب الله يأتيه الفهم من مولاه، فيعلم أن الله خصَّه بألطافه ويرعاه بعنايته، فيفرح كثيرًا لأن هذا دليل على أن هذا القلب قلب سليم.

علامات القلب السليم: ﴿ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الشعراء) كما قال الصالحون: أن لا يكون فيه حظ دنيوي يشغله عن الله، ولا ميل للهو يشغله عن طاعة الله، ولا حقد ولا حسد لأحد من خلق الله، لأنه يحب الخير للناس أجمعين، وليس فيه غرور ولا تعالي ولا كبرياء على خلق الله، وإنما يكون كما قال الله: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (٥٤المائدة) يتواضع دائمًا لإخوانه المؤمنين،

ويتكبر على الآخرين.

هذه بعض علامات القلب السليم الخالي من العيوب، والله ﷻ يبدأ بعد خلوه من العيوب يكاشفه ببعض الغيوب، فيبدأ أولًا بأن يكاشفه منامًا بالرؤيا الصادقة، ثم يكاشفة إحساسًا بالفراسة الصادقة، كما قال ﷺ:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }[٤٤]

والفراسة إحساس داخلي، ثم يمن الله تبارك وتعالى عليه فيكاشفه عيانًا بما في عالم الملكوت الأعلى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾(الأنعام) قال ﷺ:

{ لولا أنَّ الشَيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلَى قُلُوب بَنِي آدَمِ لنَظَرُوا إِلَى مَلَكُوتِ السَمَاءِ }[٤٥]

ولا يزال الله يرفع شأنه ويزيد في قدره حتى يُقرّبه من نور حبيبه فيتمتع بمواجهته، ويتمتع بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

٢١. وسعني قلب عبدي المؤمن

ما صحة حديث: { مَا وَسِعَنِي سَمَاوَاتِي وَلا أَرْضِي،

٤٤ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ
٤٥ ورد ذكره في الإحياء، وفي التفسير الكبير للرازي

وَلَكِنْ وَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ)[٤٦]؟

هو ليس بحديث وإنما قول منسوب لأحد الصالحين، ولكنه هاتف على لسان رب العالمين ﷻ، والذين ذكروا أنه حديث فقد نسبوه للحديث الضعيف.

أما معناه: لم يقل عبادي المؤمنين، لكن عبد واحد فقط وهو سيدنا رسول الله ﷺ الذي وسع جمال الله، وكمال الله، وتنزلات الله، وأسرار الله، والمشاهد العلية التي يتفضل بها حضرة الله.

٢٢. مشاكل السير والسلوك

ما حل المشاكل التي تعترضنا أثناء السير والسلوك إلى اللهّ؟

رأى نفسه أنه في حالة روحانية طيبة، ثم جاءته حالة جمود وخمود، فيستدعي ذلك أن يعرف من أين أتاه هذا الجمود؟! لكي يظل في الحالة الطبيعية الروحانية العالية.

كل هذا في السير والسلوك، ولذلك المشاكل التي نتعرض لها

---

٤٦ حديث مَا وَسِعَنِي سَمَائِي وَلا أَرْضِي ، وَلَكِنِّي وَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ " ، ذكره الغزالي في الإحياء بلفظ : قال اللَّه لم يسعني، وذكره بلفظ: ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع، وقال مخرجه العراقي : لم أر له أصلا ، وكذا قال ابن تيمية : هو مذكور في الإسرائيليات ، وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ، وفي الإسرائيليات ما أخرجه أحمد في الزهد عن وهب بن منبه قال : إن اللَّه فتح السموات لحزقيل حتى نظر إلى العرش فقال حزقيل : سبحانك ما أعظمك يا رب ، فقال اللَّه تعالى: إن السموات والعرش ضعفن عن أن يسعني ، ووسعني قلب المؤمن الوادع اللين.

كثيرًا أن كثير من الأحباب والمريدين يريد أن يُفرغ عندنا مشاكل الدنيا التي تعترضه فقط، لكن ما شأني ومشاكلك التي تعترضك؟ وكثير منهم يرتكب المحظورات التي تنهى عنها القوانين ويقول لي: معذرة أنا فعلت كذا والبركة فيك، لكن أنا ما شأني؟!!.

مثلاً: بني على أرض زراعية بالمخالفة، ويقول لي: أنا فعلت كذا وقلت البركة في الشيخ! فماذا أصنع لك! ولِمَ تخالف القوانين! وهكذا.

يمشي مثلاً بسيارته على طريق سريع ويزيد عن السرعة المقررة ويقول معي بركة الشيخ، وبركة الشيخ ما شأنها ومخالفة القوانين؟!! أين: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ (٥٩النساء) أنت يجب أن تطيع أُولي الأمر.

كثيرٌ منهم يريد أن يتقاعس عن العمل – وهذا من النفس البشرية – وفي نفس الوقت يريد أن يكون في حياة كلها رخاء وسخاء، فكيف تأتي هذه الحياة بدون عمل؟!! ونحن أمامك أفلا تفعل مثلنا؟!!. ويقول: أريد أن يفتح الله لي الباب وتُساق معي الأرزاق من غير حساب، لكن الباب موجود: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٢-٣الطلاق) ولكن لا بد أن يكون له عمل:

{ مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ }[47]

هو يريد أن يكون كبعض الشباب في هذه الأيام، يقولون له:

---

٤٧ صحيح البخاري والبيهقي عن المقدام بن معدي ﷺ

يوجد كنزٌ تحت البيت، فيحفر ليجد الكنز ويُصبح من كبار الأغنياء في لحظة وانتهى الأمر، لكن نحن طرقنا العمل.

كل هذه مشاكل دنيوية ليس لنا شأنٌ فيها، وإنما نحن تخصصنا في الأمور السلوكية التي تعين المريد على الوصول إلى الدرجات العلية، أو إلى المواهب الربانية، أو إلى القرب من الله ومن الحضرة المحمدية، فهذا طرقنا وهذا تخصصنا.

٢٣. أعمال القلوب

ما أعمال القلوب؟

أعمال القلوب يتوقف عليها قبول الأعمال من حضرة علام الغيوب، لقوله ﷺ:

{ إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى }[٤٨]

ومحل النية القلب، فإذا كان الإنسان ينوي في قلبه بهذا العمل وجه الله، فيا هناه وهذه هي الدرجة العُظمى.

وإذا كان ينوي بهذا العمل أن لا يُخزيه الله يوم القيامة ينال مُناه، ولا ينال غير ما تمناه.

وإذا كان ينوي بهذا العمل دخول الجنة، يفتح الله له أبواب الجنة ويبلِّغه ما يتمناه.

٤٨ البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وإذا كان يريد بهذا العمل أن يكون بجوار رسول الله فيكون له ذلك، وكلٌ على حسب نيته.

النوايا والطوايا بأعمال القلوب!

والذي يُصلحها ويؤهلها للقبول من حضرة علام الغيوب الإخلاص، والإخلاص أهم أعمال القلوب:

والإخلاص أن يكون العمل لله خالصًا ليس فيه شائبة رياء ولا شُهرة ولا سُمعة ولا حظٌ ظاهرٌ أو خفيٌ، ولا شيء غيبي أو جلي إلا وجه الله ﷻ، ولذا قال الله تعالى: ﴿ لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ ﴾ (٥البينة) وقال في الآية الأُخرى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾ (٣الزمر) وقال الله تعال في الحديث القدسي:

{ الإِخْلاصُ سِرٌّ مِنْ سِرِّي (أو من أسراري) اسْتَوْدَعْتُهُ قَلْبَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ مِنْ عِبَادِي }[49].

وفي بعض الأثر:

((لا يطَّلع عليه ملكٌ فيكتبه، أو شيطانٌ فيُفسده)) [50]

الذي يُحبه الله يضع في سرِّه الإخلاص، ليكون من الخواص، فأساس عمل الخواص هو الإخلاص لله ﷻ في كل وقت وحين.

---

٤٩ رواه القزويني في " مسلسلاته " والديلمي في " مسند الفردوس " عن علي وابن عباس رضى الله عنهم أجمعين، وذكره القشيرى فى رسالته عن حذيفة بن اليمان، و في الموسوعة الحديثية: الدرر السنية، ورد بلفظ: سألت جبريل عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت عنه ربَّ العزة، فقال: الإخلاص سر من أسراري أودعته قلب من أحببت من عبادي.

٥٠ وفى مدارك السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين: قيل: ورد عن الجنيد بمقولة: الإخلاص سر بين الله وبين العبد؛ لا يعلمه ملكٌ فيكتبه، ولا شيطانٌ فيفسده، ولا هوى فيميله.

فإذا جمَّل الله ﷻ العبد بالإخلاص، تجلى عليه في قلبه بمواهب المخلِصين، أو بأحوال المُخلَصين، على حسب درجته، فيمنُّ عليه بالخشوع في طاعته، وهذه حالة قلبية فورية تأتي عطاءًا من الذات الإلهية، لأنه هل يوجد أحد يُجمل نفسه بالخشوع؟ لا: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ (المؤمنون).

وقد يمن الله تبارك وتعالى عليه بالحضور مع حضرته، فلا يغيب عن الله طرفة عينٍ ولا أقل، ويكون متجملاً بقول الله في القرآن ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾ (٧المجادلة) حتى يصل إلى حال: ﴿ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾ (٧المجادلة) وصل إلى درجة المراقبة.

ودرجة المراقبة هي مقام الإحسان التي يقول فيها الرحمن: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥ ﴾ (البقرة) فالله ﷻ يرفعه إلى مقام الإحسان، يعني يراقب الله في كل أحيانه، ويشهد الله ﷻ في كل ما يراه، لأنه جمَّله ربه بمقام الإحسان:

فهذه أعمال القلوب، ومنن القلوب، والتي تُوهب لهم من حضرة علام الغيوب، فإذا تجمَّل بهذه المنن الإلهية، وحافظ على هذه العطايا الربانية، فإن الله ﷻ يفتح له حواسُّه الباطنية، فتتنزل عليه الملائكة ويراهم ويرونه، ويحدثهم ويحدثونه، ويستمع إلى حديثهم بالحواس الباطنية.

وقد يمُن الله عليه بالحواس الباطنية فيفتح عين سريرته، ويجعل

عين بصيرته تجول في الآفاق العُلوية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥الأنعام) ليس وحده ولكن كل الموقنين.

وقد يمنُّ الله تبارك وتعالى عليه ويجعله وهو في أي موطن من الدنيا يطَّلع على اللوح المحفوظ، ويفُكُّ الله له ما فيه من الرموز: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠ ﴾ (المطففين) ومرقوم يعني ملغوز أي فيه ألغاز، من الذي يقرأه؟ لا يقرأه أحد، ولكن: ﴿ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ (٢١المطففين) الذي وصل إلى مقام الشهود.

وقد يمن الله تبارك وتعالى عليه فيرزقه السياحة النورانية الروحانية في الملكوت الأعلى، فتسبح روحه وتسوح، نحن نسوح في الدنيا في البلاد المختلفة، وهذه سياحة أرضية على قدرنا، لكنهم في سياحة ملكوتية، مرة في قصور الجنة، ومرة في الفردوس، ومرة في جنة الخُلد، ومرة في جنة المأوى، ومرة في جنة عدن.

وقد تكون سياحات قدسية، مرة في حضرة المعية، ومرة في حضرة العندية، ومرة في حضرة اللدنية.

فالسياحة الملكوتية تكون في الملكوت والجنان، والسياحة العالية ة القدسية تكون في عالم حضرة الرحمن ﷻ.

كل هذه عطاءات يهبها الله ﷻ خاصة للقلوب بعد تحليها بالنية السديدة، والإخلاص لرب البرية في كل وقت وحين.

٢٤. حياة القلب

كيف يحيا القلب؟

الصالحون السابقون دلّونا على وسائل لإحياء القلب، والإمام أبو العزائم اختصر لنا الطريق لإحياء القلب، منهم من قال: إحياء القلب يكون بذكر الله، وهذه حقيقة، قال ﷺ:

{ الْقَلْب يَصْدأُ كَمَا يَصْدَأ الحَدِيد، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللّه، وَمَا جِلاؤُه؟ قَالَ: تِلاوَة الْقُرْآن وَذِكْرُ اللّه تَعَالَى }[٥١]

ومنهم من يعمل على احيائها بالصمت، وتخفيف الكلام مع الأنام، والجوع وعدم الشبع من الطعام، والسهر وعدم الاستغراق في المنام، وذكر الله ﷻ على الدوام.

لكن الإمام أبو العزائم قال: القلب لكي يحيا لا بد أن يواجه قلب حيٌّ، فعندما يواجه قلب حيٌّ وينال رضاه، فورًا يأخذ هذه الحياة من هذا القلب الذي أحياه مولاه:

هذا هو العبد الذي إن جاءه قلبٌ سليمٌ لحظة أحياه

قلب عمر بن الخطاب احتيا في كم سنة؟! في لحظة!! فقد كان ذاهبًا وممسكًا بالسيف ليقتل رسول الله ﷺ، فجاءته العناية توَّجته بتاج الولاية، ونظر إليه الحبيب ﷺ نظرة عناية فبدَّل جفاءه إلى قُربٍ من القريب ﷻ، وأحياه بحياته.

٥١ الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين للدمشقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

ولذلك كان يقول الإمام أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه:

((بسر حياته حييتُ)) ليس الشأن أن تقول:

يا حيُّ !! ليُحييك الحيُّ!!، لكن الشأن أن يواجهك صاحب قلب حيٍّ فيُحييك بأمر الحي الذي لا يموت سبحانه وتعالى.

فهذه حياة القلوب كما بينها إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه.

٢٥. علوم اليقين

ما علوم اليقين؟

وهل هناك آليةٌ لتحصيلها واكتسابها؟ أم هي هبةٌ ومنحة؟

علوم اليقين يقول فيها رب العالمين: " كَلا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ " (٥التكاثر) فعلوم اليقين تُعلَّم، وكيف نتعلمها؟ قال صلى الله عليه وسلم:

{ تَعَلَّمُوا الْيَقِينَ كَمَا تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ حَتَّى تَعْرِفُوهُ فَإِنِّي أَتَعَلَّمُه } [52]

من أين يتعلموه؟ من أهل اليقين:

علـم اليقـين مفـاتح الجنـات وبـه ينـال العبـد أرفـع الـدرجات
علمٌ يُصبُّ بقلب صبّ مخلَصٍ باع النفـيس ونفسـه للـذات

٥٢ رواه أبو نعيم في الحلية من رواية ثور بن يزيد و الحديث ضعيف السند، قال فيه العراقي في تخريج أحاديث الأحياء: أخرجه أبو نعيم من رواية ثور بن يزيد مرسلاً وهو معضل. اهـ. وقد رواه ابن هبة الله في تاريخ مدينة دمشق عن خالد بن معدان موقوفاً و مثله ابن أبى الدنيا فى كتاب اليقين عن خالد أيضاً.

علم اليقين من العلوم الوهبية التي تأتي من الحضرة العلية إلى القلوب التقية النقية، وما البداية؟ البداية أن نتعلم اليقين من أهل اليقين، إلى أن يؤهلوننا ويجهزوننا ويجعلوننا من أهل اليقين، ونصبح صالحين للتلقي من رب العالمين ﷻ، وكل واحد على حسب حاله، وعلى حسب ما له من العطاء عند صاحب الفضل والعطاء ﷻ.

منهم من يأخذ من باب: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٢البقرة) ومنهم من يأخذ من باب: ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥الكهف) وهذا من حضرة اللدنية، وهي حضرة عليه جدًا، غير حضرة " وَاتَّقُوا الله وَيُعَلِّمُكُمُ الله ".

ومنهم من ينزل عليه روحٌ من الله، يقول فيها الله في كتاب الله: ﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ ﴾ (غافر) تنزل الروح من حضرة الكريم السبوح على هذا العبد، ويكون معه الروح يعني معه الحال، فيُجَمَّل بالحال، وهذا الذي يقول فيه الرجال: **((حال رجل في ألف رجل، خيرٌ من كلام ألف رجل في رجلٍ واحد))**

ومنهم من يأخذ من باب الفهم؛ من كنوز الفهم الإلهي: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (٧٩الأنبياء) ومنهم من يأخذ من حضرة الإيتاء: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (١٤القصص).

وكل واحد يأخذ من الحضرة الإلهية التي تليق به، وهي أحوال أهل مقام الفرَدَانية الذين أفردوا الله ﷻ بالقصد.

ومَن دونهم يتلقَّى، فالبعض يتلقى من بعض الحضرات الملكوتية، يخُصه الله بملكٍ يُغذيه ببعض علومه الخاصة، ومنهم من يُكرمه الكريم ﷻ على قدره ببعض الأرواح السابقة النورانية، تأتيه وتُغذيه.

سيدنا الإمام أبو العزائم ﷺ عندما كان يزور سيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ، قال فيه جملة من الأوصاف العظيمة، ومن جملة ما قال: ((**عليه أبو ذر الغفاري قد أملى**)) الذي أملى عليه هذه العلوم هو سيدنا أبو ذر.

فهناك من يأخذ من أرواح الصالحين، ومنهم من يأخذ من أرواح الملائكة المقربين، ومنهم من يقتطف من أزهار الحقائق نفسها، فتأتيه وتكشف له عن خواصها خضوعًا لحضرته بأمر رب العالمين، ومنهم من يأخذ من الحضرات العلية التي ذكرناها.

وكل هذه علوم اليقين:

وهي علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين:

فعلم اليقين علمٌ لا يشك فيه المرء، بل يُوقن بكل ما يسمعه أو يأتيه، ولكنه لا يُكاشَفُ بالأنوار التي فيه.

وعين اليقين يستضيئ بأنوار الكلام، وتُشرق عليه أنوار المعارف، أما حق اليقين فهو علمٌ شهودي كما قال الله:

﴿ **يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ** ﴾ (٢١المطففين) وكلها كما قلت: بدايتها كما ورد فى الحديث الشريف:

{ تَعَلَّمُوا الْيَقِينَ كَمَا تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ حَتَّى تَعْرِفُوهُ

فَإِنِّي أَتَعَلَّمُه) [٥٣]

يعني عندما تتعلم اليقين من أهل اليقين تتأكد وتجزم بأنك جالسٌ في حضرة سيد الأولين والآخرين ﷺ، لأنه قال (فإنى أتعلمه) وقيل: (وإني متعلم معكم) في هذه المجالس، يحضر بذاته وصفاته وكله في هذه المجالس؛ مجالس أهل اليقين صلوات ربي وتسليماته عليه.

٢٦. الفؤاد والقلب

هل الفؤاد هو محل الشوق والحنين أم القلب؟

اختلف العلماء قديمًا وحديثًا في المسميات التي تُطلق على القلب، كالقلب والفؤاد واللب وما شابه ذلك، فبعضهم قال: إن هذه الأسماء مترادفة، يعني أسماء لحقيقة واحدة هي القلب.

وبعضهم فصَّل وقال: القلب هي الحقيقة الباطنة التي في باطن الإنسان، والتي بها الإنسان إنسان، والفؤاد هو حدقة القلب التي تنظر بعين البصيرة بعد صفاء السريرة واستنارتها بنور الله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥الأنعام).. وكلا الرأيين على صواب إن شاء الله.

٢٧. آثار الشوق

يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

٥٣ أنظر تخريجه بالحاشية للحديث السابق.

الشـوق خـمر يُسـكـر الأرواح بـل يُخـفـي الـرموز أفـر مـنـه إلى الجـنـاب

نرجـو تـوضـيـح معـنـى هـذا البـيـت؟

إذا اشتاق الإنسان إلى ربه ﷻ، أو إلى نبيه صلوات ربي وتسليماته عليه، وزاد شوقه، وقَوي شوقه، فإن هذا الشوق يجعله يُغطي كل مطالبه، ويتشبث بهذا المطلب يريد تحقيقه والوصول إليه، فكأنه يُسكره عما سواه، يعني يجعله يغفل عن كل ما سواه من الأغراض والأعراض.

حتى أن صاحب الشوق قد ينسى الطعام، وقد ينسى الشراب، وقد لا يستطيع النوم، مع أنها ضرورات حياتية لا غنى للجسم عنها، لماذا؟ لما به من شوق إلى الله ﷻ.

وقد وضح هذا المثال في الصحابي الجليل خادم حضرة النبي ثوبان ﵁، فقد رآه النبي ﷺ يومًا ويظهر عليه الضعف واصفرار اللون، وكأنه مريض يعاني من ألم ومرض، فقال له رسول الله ﷺ سائلاً:

(يَا ثَوبَان، مَا غيَّر لَونك؟ فَقَال: يَا رسُولَ اللّه مَا بِـي مِـن ضُـرِ ولا وَجَع، غَيْر أَنّي إِذَا لَم أرَك اشْتَقتُ إِلَيْكَ، واستوحَشْتُ وَحْشَةً شَدِيدَة حَتّى أَلقَاك، ثمَّ ذَكرتُ الآخِرة وأَخافُ أَن لا أَرَاك هُنَاك، لأَنّي أَعرفُ أَنَّك تُرفَع مَعَ النَبِيِّينَ، وأَنّي إِن دَخلتُ الجنَّة كُنْت في مَنزِلة أَدْنَى مِن مَنزِلَتِكَ، وإِن لَم أدخُل الجَنَّة فَذَاكَ أَحْرَى أَن لا أَرَاكَ أَبَداً، فَنَزَل قَول اللّه تَعَالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ

وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ عَلِيماً ﴾) "[٥٤].

هذا سر ما حدث له مما يشبه المرض نتيجة شدة شوقه إلى نبيه وحبيبه وحبيبنا ﷺ، فأنزل الله ﷻ فورًا من أجله وأمثاله:﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ (النساء) وليس بالعمل، ولكن: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ (النساء) هذا فضل من الله يتفضل به على هؤلاء المشتاقين، وهؤلاء المحبين لسيدنا رسول الله ﷺ.

فعندما يزيد الشوق يغطي حتى عن حاجات الإنسان الضرورية، فلا يتذكرها، لأنه مشغول بالكلية بمن يشتاق إليه إن كان حضرة النبي، أو كان الرب العلي تبارك وتعالى.

٢٨. بين الفؤاد والسر

ما الفرق بين الفؤاد والسر؟

هذه حقائق باطنية جعلها الله ﷻ فينا، في غيوبنا المعنوية التي لا يطّلع عليها إلا القلوب التقية النقية.

الفؤاد هو القلب الذي فيه موضع الإيمان، والذي قال فيه

٥٤ ذكر الواحدي هذه القصة في كتابه أسباب النزول في طبعة دار الكتب العلمية تاريخ النشر ٢٠٠٠ عند تعرضه لأسباب النزول لهذه الآيات من سورة النساء.

الرحمن: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ ﴾ **(٢٢المجادلة)**.

والسر هو الجزء الذي في الفؤاد والذي فيه السر الذي استودعه الله فينا، والذي قال لنا فيه: ﴿ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ ﴾ **(١٠١آل عمران)** وهذا هو السر، وقال لنا: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ ﴾ **(١٧الحجرات)** أين فينا؟ في هذا السر الذي في الفؤاد، فيه نور سيدنا رسول الله ﷺ.

كل واحد فينا جماعة المؤمنين فيه جزء على قدره من نور رسول الله ﷺ، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ }[55]

من أصابه ذلك النور وفق واهتدى، ومن لم يصبه ذلك النور ضل وغوى، أين هذا النور؟ في عالم السر، فقد ورد في الاثر عن حضرته ﷺ: **((إن في القلب لغيب، وإن في الغيب لسر ، وإن في السر لأنا))**.

فهو سر حياتنا، وسر قلوبنا، وسر ولايتنا، وسر كل عمل صالح ونية طيبة نتوجه فيها إلى الله تبارك وتعالى.

٢٩. حياة القلب والفؤاد

٥٥ جامع الترمذي ومسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

هل هناك من يحيا حياة القلب، ومن يحيا حياة الفؤاد؟

أنا لا أُحب أن نشغل أنفسنا بفلسفة المصطلحات، ففلسفة المصطلحات يسمونها التصوف الفلسفي، والتصوف الفلسفي اهتم بالقضايا الصوفية وجعلها فلسفية ومنطقية وهذا يتنافى مع حقيقة الصوفية.

فالصوفية أذواقٌ قلبية تأتي هباتٌ من الحضرة العلية على القلوب التقية النقية، ليس لها شأن بالنظريات الفلسفية، ولا بالتجهيزات الفكرية، وإنما ينزل الكلام فورًا من الله وينطلق به اللسان لمن يتذوق فحواه، ويكون الناطق والقائل هو أول من يسمع هذا الكلام، مع أنه يُنطق به على لسانه!!.

وهذا ليس فيه ترتيب فلسفي، ولا تجهيز منطقي، ولا حتى نظر إلى أنواع الكلمات وفنون العبارات، وإنما كل هذه التجهيزات ينزل بها الله ﷻ، ولذلك قالوا في ذلك: إذا كان الكلام عن النور، حصل لسامعيه السرور!!.

هذا الكلام النوراني عندما يسمعه الإنسان يجد انشراح في الصدر، وانبساطٌ في القلب، لأنه كلام فوري نازلٌ من عند المولى العلي ﷻ.

فالكلام عن الفؤاد وعن القلب وعن السويداء، كل هذه مقامات، لا يستطيع الإباحة بها أهل المشاهدات، وإنما يتفلسف في ذكرها وتعريفها أهل الفلسفة.

ماذا نقول فيها؟!! ما الفؤاد؟ وما القلب؟ وما الفرق بينهما؟ أمور لا شأن لنا بها، ولا دخل لنا فيها، وإنما غاية ما نتمناه أن نحيا الحياة القلبية التي بها يكون الحبيب ﷺ دائمًا لنا رأي العين، حتى لا نزل عن اتِّباعه، والسير خلف حضرته طرفة عين ولا أقل.

٣٠. الأدب القلبي

ما الأدب القلبي للمؤمن والمحسن؟

الأدب القلبي للمؤمن وللمحسن جمعه سادتنا السابقون فقالوا: إذا جالست العالم فاحفظ لسانك كي تَرِد إليك علومه، وإذا جالست العارف فاحفظ قلبك – من الخطرات، ومن الهواجس، ومن الوساوس – حتى يَرِد على قلبك عوارفه ولطائفه، وإذا جالست العالم العارف فاحفظ قلبك ولسانك.

فإذا كان الإنسان من أهل الإيمان يحفظ جوارحه من العصيان حتى إذا جالس العلماء كان العلم له تزكية لنفسه، وصقلاً لمرآة قلبه، وتقريبًا له إلى ربه ﷻ، ولذلك قال إمامنا أبو العزائم ﷺ: (زَكِّ نفسك قبل السماع تُشرق عليه أنوار الكلام).

يعني أنت ذاهب لسماع العلم، فقبل أن تذهب لسماع العلم عليك أن تمارس بعض الرياضة الروحانية، فتتوب إلى الله مما جنيت من المعاصي التي تعلمها والتي تجهلها، وتُقبل على أعمال صالحة تُزكي الحواس، وتفتحها لسماع كلام العلماء، فعندما يذهب الإنسان ليسمع

العلم، وبمجرد السماع يجد هذا العلم ينتقش في آفاق قلبه، فيسمع الدرس ولا ينساه بعد ذلك أبدًا.

حتى لو كان هناك تسجيل ربما يحدث له عطب، أو تلف، لكن إذا كان التسجيل في القلب لا ينتابه أي شيء مما ذكرناه، بل يكون ثابتًا أبدًا حتى يلقى الله تبارك وتعالى، فيكون القلب كما قال الله: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ (٢٢المجادلة).

ولكي يصل الإنسان لهذا المقام لا بد أن تكون بدايته محرقة ((من كانت بدايته محرقة كانت نهايته مشرقة)).

معظم العلوم التي نتكلم فيها البعض يظن أننا أخذناها من الكتب، لكننا أخذنا أغلبها سماعًا من العارفين، وكنا نقوم بعملية التزكية، لذلك الدرس الذي سمعته إلى وقتنا هذا أعرف أين ألقى الشيخ هذا الدرس، وفي يوم كذا، ومن بدايته إلى نهايته لا يفوت حرف منه، لأنه كان هناك تزكية للنفس قبل سماع هذا الكلام!!.

إذا جالس الإنسان العارف بالله عليه بتصفية القلب من الأغيار، والخواطر التي تشغل عن حضرة الستار، وملؤه بالأنوار، واستحضار صورة النبي المختار فيه على الدوام ليل ونهار.

فيظل الإنسان طوال جلوسه مع العارف يتجمل بالأحوال النبوية، والأوصاف المحمدية، لأنه كما قال بعض السادة العارفون السابقون: إن النبي ﷺ في كل نَفَس من أنفاسه تُساق إليه خلع إلهية، ودرجات علوية ربانية، وهو كما قال الله في شأنه: ﴿ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠

﴾(الحاقة) فكل من رآه على حالة من هذه الحالات وهبها له، خلع عليه ما يراه من المقامات وعلو الدرجات، والله ﷻ في الوقت والحين يخلع عليه غيرها.

فإذا جالس الإنسان الأكابر من الصالحين، وقلبه فارغ من شواغل الدنيا وخواطر النفس والهوى يُخلع عليه في كل أنفاسه ما لا يستطيع أحد ذكره ولا توضيحه ولا عدَّه من الأحوال العلية النبوية، ولذلك قيل: ((بالحال تزكية النفوس وليست وبالفلوس ولا بالدروس)) هو الحال الذي يُزَكِّي:

وتجملوا بالحال من باب سما بالفضل ناولكم رحيق مدامي

أحوال الصالحين هي التي ترقق القلوب، والتي تكشف المحجوب، والتي تُري الإنسان ما يستطيع أن يراه من مساتير الغيوب، ببركة النبي المحبوب ﷺ.

٣١. التفريد

قرأتُ في كتاب فضيلتكم: (الإمام أبو العزائم المجدد الصوفي): ((من أدب المريد مع شيخه أن يجعل ذات المرشد هي المقصودة له لا لكرامة يبتغيها، أو مكانة يرجوها أو دنيا يُصيبها، أو علم يُنال، أو فقه يفهمه، لأن أهل خصوصيته هم خاصة سيدنا رسول الله ﷺ)) فنريد من فضيلتكم القاء الضوء على هذه العبارة؟

أول درس في روضات الصالحين للمريد الصادق في طلبه لرضوان رب العالمين، أن يؤدبوه على إفراد الله تبارك وتعالى بالقصد، وأن لا يبغي من سلوكه الطريق، ومن ملازمته لأهل التحقيق، لا دنيا، ولا شهوة، ولا حظاً زائلاً، ولا أملاً مائلاً.

وأغلب المريدين في زماننا يدخلون في هذا الذي ذكرناه، ولذلك يظل مريدًا إلى أن يلقى الحميد المجيد، ولم يتحقق له غاية ولا أمل مما يبغيه الصادقون من الصالحين.

منهم من يصحب الصالحين من أجل الدنيا، إما لمصالح عاجلة كأن يعرف أن فلان يحضر مع الصالحين وهو صاحب مركز مرموق، وهو له خدمة عنده.

وإما مع حُسن النية أصحب هؤلاء ليوسع لي الله الأرزاق، ويُكرمني بوظيفة جيدة، أو يُكرمني بسفر إلى أحد البلاد العربية، أو يُكرمني بنجاح وفلاح المحصول في الأراضي الزراعية، وهي كلها أمور لا ينبغي أن تقع في بال الصادق في طريق الله تبارك وتعالى.

وأما إذا كان من طلاب الآخرة فيريد أن يصحب الصالحين ليفتح عليه الله، ويظهر على يديه بعض الكرامات، والناس يروا هذه الكرامات فيتعلقون به، ويقولون له: بركاتك يا شيخ فلان، دعواتك يا شيخ فلان، ويلتفون ويجتمعون حوله، وهذا شيء يُشجي النفس، لأن النفس تفرح بهذه الأمور، وهذا المرض يقول فيه سيدي أبو الحسن الشاذلي: ((آخر داء يخرج من قلوب الصديقين - وليس الناس العاديين - حب الرياسة))!! يريد أن يكون رئيسًا وله مريدين، وأُناس

حوله، وهذا مُنى النفس.

أو يرى أن الله فتح على هذا الرجل بعلوم وهبية، فيريد أن يمشي معه ليفتح عليه الله من هذه العلوم، فيُشجي الناس، ويقف على المنابر ويهز الناس، فيقولون: إن فلان هذا يقول علم لم نسمعه قبل ذلك، وهذه تجعله في غاية الانبساط، لأن الناس يُثنون عليه ويذكرون العلم الذي يقوله وينسبونه له.

لكن الذي يريد الله ماذا يفعل؟ لا يطلب من الله إلا الله:

وجنة الخُلد لو ظهرت بطلعتها   لفارقت حُسنها بالزهد همتهم

حتى لو عُرضت عليه الجنة، فيقول: وماذا أصنع بها؟ الشيخ عمر بن الفارض ﷺ في أنفاسه الأخيرة رأى مقامه في دار الخلود في الجنة – وأظن أن الكل يفرح عندما يرى شيئًا من ذلك – لكنه حزن وقال في وقتها وفي حينها مخاطبًا الحق:

وإن تكُ منزلتي في الحب عندكم   ما قد رأيتُ فقد ضيعتُ أيامي

هل مكثتُ هذه السنين الطوال لأنال قصرًا في الجنة؟! وماذا أصنع به؟! فماذا تريد؟ يريد صاحب الجنة ﷻ.

ومن يُفرد الله بالقصد يُحقق الله له كل قصد، رجل من الصالحين أعطى درسًا عمليًا لبعض المريدين عنده، فضرب لهم مثلاً فقال: أحد الملوك طلب كُمَّل المحيطين به، وقال لهم: كل واحد منكم يتمنَّى ما يريده وأنا أُعطيه له، فقال أحدهم: أتمنَّى أن أكون أميرًا على المحافظة

الفلانية، فقال لهم: أصدروا له قرارًا بأن يكون أميرًا على المحافظة الفلانية.

ثم سأل الملك الثاني وقال له: ماذا تريد؟ فقال: أُريد كذا وكذا من المال، فقال لهم: أعطوه ما يريد من المال.

وأعطى كل واحد طلبه، وبقيت جارية في القصر، فسألها: لماذا لم تطلبي شيئًا؟ فقالت: لا أطلب شيئًا إلا أنت، فقال لها: القصر والمملكة وكل ما في المملكة طوع أمرك.

كذلك الذي يُريد الله، فإن كل ما في السماوات وما في الأرض مُسخرٌ له بأمر الله.

فالناس الذين يطلبون طلبات عاجلة أو آجلة أناس خائبين، لأنه يطلب طلبًا محددًا، لكن إذا أردت كل شيء فاطلب الله، ولا تطلب غير الله ﷻ، وكان الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه عندما يأتيه أحد ويطلب منه شيئًا من الدنيا، يقول له: أرحتني يا بني، فطلبك سهل وبسيط فخذه وتوكل على الله، ومن قال له: أُريدك أنت، يقول له: قد شغلتني في الدنيا والآخرة.

وبداية التفريد لا بد للمريد أن يُفرد شيخه بالقصد، ثم يُنزله شيخه منزلة نفسه ويكون منه لرسول الله، فيُفرد رسول الله بالقصد، ثم يفنى في ذات رسول الله ويكون منه لله، فيُفرد الله بالقصد، فيتمتع بوجه الله، ويكون كل ما في الأكوان ملكٌ له، لأن الله يقول له ولأمثاله: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾

(١٣الجاثية) لأنك سخَّرت نفسك لله ﷻ:

أفــردن بالقصــد مــولاك العلــي تشــــهدن غيبًـــا مصـــونًا أولي

وهذا طريق القلة الذين يريدون أن يكونوا من الثُلة الذين يقول فيهم الله: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْأَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (الواقعة) نسأل الله أن نكون منهم أجمعين.

٣٢. الاتصال بالشيخ

هــل يتوجَّــب علــى المريــد أن يكــون دائــم الاتصــال بشيخه، يعرض عليه ما ينتابه من أحـوال؟ أم يتصـل بـأخ أكـبر، سبقه في الطريق، ومرَّ بهذه الأحوال، وذلـك نظـراً لإشـفاق المريـد على صحة شيخه من كثرة المهام التي يقوم بها ليل نهار؟

إذا صدق المريد، وتجلَّى الصدق في قلبه، أصبح قلبه مرآة تظهر فيها أحوال شيخه، فلا يتحوَّل إلى غيره ولو كان من كُمَّل الصادقين في نظره إلا بإذنه.

فإذا قال له: اذهب إلى فلان فلا مانع، لكن قد أذهب لفلان وهو في نظري أنه من أصحاب الوقت، وهو في الحقيقة من أصحاب المقت!!، وأنا لا أعرف.

لكن الشيخ إذا أقامه الله أصبح كالشمس يعم نورها كل أرجاء الدنيا، فلا تحتاج إلى قمر، ولا تحتاج إلى نجم، ولا تحتاج إلى شيء مطلقًا.

كثيرٌ من المريدين يُحبون الظهور، وحب الظهور يقسم الظهور، فبعضهم يقول لإخوانه: الشيخ مشاغله كثيرة، والذي يُريد شيئًا من الشيخ يتصل بي أولاً وأنا أتصل بالشيخ.

ومن الذي قال لك أن تفعل ذلك؟! فهل أقمت نفسك، أم أن الشيخ أمرك بذلك؟! هو أقام نفسه، ومن أقام نفسه يدور في لَبْسِه، فهو مُلبَّس عليه ولا ينبغي للإنسان أن يعرض شيئًا عليه.

لكن متى أعرض عليه؟ إذا قال الشيخ لي ذلك، فإذا لم يقُل لي ذلك انتهي الأمر، ومعذرةً سأضرب مثالاً، وليس حديث نفس، ولكن لتتضح الأحوال بالمقال: كان الأحباب يذهبون لشيخنا الشيخ مُحَمَّد علي سلامة ﷺ وأرضاه، فيقول لأحدهم: هل ذهبت لفوزي؟ فيقول له: لا، فيقول له: لماذا لم تذهب إليه؟! وإذا قال له: نعم ذهبتُ إليه، فيقول له: وماذا قال لك؟ يقول له: قال لي كذا، يقول له: افعل ما قاله لك.

فالأمر هنا للشيخ، والذين جعلوا أنفسهم مشايخ بيننا كثيرون، فيجب أن لا نساعدهم على ذلك، لأننا نريد أن يتخلصوا من هذا الهم الذي هم فيه، ليُقبلوا على الله ﷻ بصدق النية، وصفاء الطوية، ويفوزون بالمقامات الهنية العلية عند الحضرة المحمدية.

فإذا أكرمني الله ﷻ بالصفاء سأكون مثل مرآة تظهر فيها أحوال الشيخ أولاً بأول، أعرض عليه أحوالي ببالي ويُخبرني إما بمدد من عنده، أو بإلهام من ربه، أو بكشف في مواجهته، حتى أمشي على المنهاج القويم، على الصراط المستقيم إن شاء الله.

فإياكم ثم إياكم ثم إياكم من قُطَّاع الطريق على عباد الله ﷺ، وأكبر مصائب الطريق في هذا الزمان قطَّاع الطريق، الذين يقولون كما ذكرنا: الشيخ مشغول، وغير ذلك، وأنا موجود معك حتى أُجهزك وأُدخلك!، وهل أنت جهزت نفسك أولاً ودخلت، وأُذن لك؟!!، وفاقد الشيء لا يُعطيه، فكيف تُدخل هذا وأنت لم تدخل بعد؟!

أغير تقيِّ يأمر الناس بالتقى   طبيبٌ يداوي والطبيب سقيم

٣٣. استحضار صورة الشيخ

كيف نستحضر صورة الشيخ؟

المريد يستحضر صورة الشيخ قلبيًا، فبمجرد تَذكّر الشيخ يصبح معي الشيخ.

ولكن كيف أستحضر هيئته؟ كلنا مطالبين بأن نستحضر صورة سيدنا رسول الله ﷺ قبل أداء أي عمل حتى يتحقق لنا الأمل، فإذا مشيتُ أستحضر هيئته في المشي لأمشي مثله، وإذا أكلت أستحضر طريقته في الأكل لآكل مثله، وأشرب وأنام وأتكلم مثله أيضًا.

ولكنني لم أرَى رسول الله، فأنظر إلى أقرب الناس في زماني شبهًا برسول الله من الذين رأيتهم، وتكون صورته بداخلي، فأستحضره على أنه صورة مصغَّرة جداً جداً من سيدنا رسول الله ﷺ.

وأحاول أن أتشبَّه به في كلامه، وفي عمله، وفي حكمته، وفي صمته، وفي كل أمر من أموره، فهذه هي الطريقة التي قرَّبها لنا

الصالحون، وهذا هو السبب الذي جعلنا نمشي معهم لكي يوصلونا لسيد الأولين والآخرين ﷺ.

٣٤. استنارة السريرة والبصيرة

متى تنفتح للسالك عين بصيرته وتستنير سريرته؟

متى للوقت، ولا يقول أي إنسان عاقل لله ما الوقت الذي تفتح به عليَّ؟! لأنه يفتح في الوقت الذي يريد، لا في الوقت الذي أنا أُعينه لنفسي أو للمريد، والفتح الإلهي فضلٌ من الله، وعطاءٌ من حضرة الله، ومنّة من سيدنا ومولانا رسول الله، ليس له مقابل من العمل، فلو كان هناك عملٌ يؤدي إلى فتح البصيرة فذكِّروني به، ما العمل الذي يؤدي إلى فتح البصيرة؟! وما مقداره؟!

كل ما أشار إليه حضرة النبي قوله ﷺ:

{ القَلْب يَصْدأُ كَمَا يَصْدَأُ الحَدِيد، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللّه، وَمَا جِلاؤُه؟ قَالَ: تِلاوَة القُرْآن وَذِكْرُ اللّه تَعَالَى }[٥٦]

وترك الأمر، فلم يحدد كم مرة، أو أي ذكر!!

وترك هذا للأطباء الرحماء الحكماء الذين رباهم على عينه ليضعوا لكل إنسان ما يليق به، وما يستطيع تحمله حتى يصل إلى فتح عين البصيرة بفضل حضرة الرحمن ﷻ.

---

٥٦ الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين للدمشقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

فلا يوجد عمل يُبلغ الأمل، وهل يوجد عمل يُدخل الجنة؟

لا، كما قال ﷺ:

{ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ }[٥٧]

لكن الفتوحات الإلهية: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ (الحديد)، ولذلك قالوا: قد يُمنح الولاية والفتح رجلٌ أميٌّ، وقد يُحرم منها شيخٌ أزهري!.

لأنها لا دخل لها بهذه المقاييس، فهي فضل إلهي يتفضل الله به ﷻ على من يشاء من عباده.

مَن الذي يحمل هذه الرسالات؟ ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (١٢٤الأنعام) هو أعلم بالقلوب، وهو الذي يضع في القلوب ما تستطيع تحمله من عوالم الغيوب، ..... من المواهب الإلهية لتنشره للمرادين والطالبين والسالكين ،،،، بإذن صريح من رب العالمين تبارك وتعالى.

فلا يقول أحد: ماذا أفعل لكي تُفتح عين البصيرة؟!

ولكن كل ما عليك :

هو أن تأخذ بالوسائل والأسباب التي أخذ بها السابقون.

وبعد ذلك الفتح بيد رب العالمين، وإياك أن تأخذ بالوسائل والأسباب ويتأخر الفتح، فتعاتب الله وتقول: لِمَ لم تفتح علي يا رب؟!!

٥٧ مسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

فقد فعلتُ مثل فلان وفلان!! هو لا يُسأل عما يفعل يا أخي، فأنت قد تكون فعلت ظاهراً مثل فلان وفلان، ولكنك باطنًا لست كحالتهم أو كهيئتهم.

وفي هذا يقول رجلٌ من الصالحين وهو سيدنا شاه كرماني ﷺ، وكان من جلة أقطاب الصالحين في عصره وأوانه:

من حفظ بطنه عن الحرام، وحفظ جوارحه عن الاسترسال في الشهوات، وتأسَّى بالنبي ﷺ في القيام بالفرائض والطاعات، ولم يسلو عن ذكر الله نَفَسًا من الأنفاس، فإنه لا تكاد تُخطئ له فراسة.

يعني يتجلى الله عليه بالفراسة النورانية التي يقول فيها ﷺ:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }[٥٨]

وهذه هبة بدائية من بدايات الفتح، يأخذها صغار الطلاب في فصول الكريم الوهاب ﷻ، فأول ما يُعطيهم الفراسة النورانية، يعني يعطيه بصيرة مُضية يعرف بها الصادق من الكاذب، ويعرف بها الحسن من السيئ، ويعرف بها الحسن من الأحسن، ويعرف بها الطيب من الخبيث.

فهذه فراسة نورانية يُعطيها له الله لا ليُظهر بها كرامات، ولكن ليتبين بها أفضل الأحوال وأحسن الأعمال التي يتقرب بها إلى الواحد المتعال ﷻ، وهذا غاية ما يُقال في هذا الباب.

---

٥٨ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ

٣٥. إيثار المريدين

هناك قاعدة شرعية تقول: (إن الإيثار بالقرب ممنوع، وفي غيره محمود) فهل هذه القاعدة لها نفس المعنى في عالم الحقيقة؟ وهل يجوز أن يؤثِر المريد إخوانه على نفسه في القرب من شيخه؟

هل يوجد أحد يؤثِر غيره بما وصل إليه من مراتب القرب؟! هذا شيء لن يحدث، فأنا أستطيع أن أؤثر غيري بالقرب في عالم المظاهر، مثلاً أقول: يا فلان تعالى اجلس بجوار الشيخ، أو خذ يا فلان طعام الشيخ، أو شراب الشيخ، فهذا سهلٌ.

لكن معاني القرب النورانية والمعنوية لو ذاق أحد منا لذتها هل يستطيع أن يستغني عنها ويهبها لغيره؟! مستحيل، لكن يستطيع أن يُحبب غيره ويأخذه معه، كما قال الله لحضرة النبي: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (٨٨الحجر) فيتنزل له، ويجالسه، ويؤانسه، ويُذيقه لذة معاني القرب، حتى يأخذه معه ليشربا سويًا من بحر الحب، بحر سيدنا رسول الله ﷺ.

فطريق الله ليس فيه حرمان، بمعنى أن أحرم نفسي وأُعطيه، وهذا الكلام يحدث عند الأكابر فقط وهم الأفراد، وهؤلاء كلهم بدايتهم مقام الكشف.

والمريد بينه وبين الكشف مقامات كثيرة، لأن أول الكشف لمن يريد الكشف أن يكشف الله له عن عيوب نفسه ليُصلحها، وأغلب المريدين لم يصل إلى هذه الدرجة، فكل واحد منهم يُمجِّد نفسه، ويُثني

على نفسه، ويحمد نفسه، ويريد أن يعمل شيخًا على غيره، وهو لم يرى عيوب نفسه، بل يرى نفسه كلها فضائل.

لكن أهل مقام الكشف يكونوا كما قال أبو العزائم ﵁ لسيدنا رسول الله: ((عشقتك كشفًا لا سماع رواية)) أنا عشقتك عن مشاهدة، ورسول الله ﷺ كريمٌ، وليس عنده ذرة من البُخل، وقال فيه الله: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٍ ﴾ (٢٤التكوير) ليس بخيلاً أبدًا، وهناك قراءة: ((وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ)) يعني متهم، يعني لا تتهموه بهذه الأمور.

فمن يرى رسول الله ﷺ في مقام ومشهد من المشاهد العلية اقتضت فُتوَّته أنه لا بد أن يخلع عليه هذا المقام، أي يُنزله فيه، والله يخلع على رسول الله مقاماً أرقى، وهكذا.

ومن يصل إلى هذا الحال من كُمَّل الأفراد والأبدال الذي يراه من أهل الكشف واليقين والمشاهدات يخلع عليه المقام الذي يراه فيه، وهو يُخلع عليه من مقام الحبيب الأعظم الذي رآه فيه، وتتوالى الخلع والعطاءات على حسب هذه المكاشفات.

لكن الذي لا يزال في عالم التراب والطين ما شأنه وشأن هذا الكلام؟! هو يحتاج إلى سُموّ بعد أسفل سافلين وعجيبٌ سرُّ رب العالمين، يحتاج أن يسمو أولاً بنفسه الطينية، وبنفسه الإبليسية، وبنفسه الحيوانية، ويُهيِّم قلبه في الذات العلية وفي الحضرة المحمدية، ويُطهر سِره بالكلية من كل الأفكار الردية والدنيا الدنية، ولا يبقى في سره بقية إلا في الحضرة العلية.

٣٦. الورد الخاص

إذا خصَّ الشيخ أحد مريديه بوردٍ خاص، هل له أن يُطلع إخوانه المقربين منه في الطريق بهذا الورد؟ أم أن لكل مريد ورد خاص به؟

الأوراد العامة مباح لك أن تُعطيها للكل، والأوراد العامة هي الاستغفار، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، والصلاة على حضرة النبي، وتلاوة القرآن، والتنافس في النوافل كقيام الليل وصلاة الضُحى، وأن لا يزال لسانك رطباً بذكر الله تبارك وتعالى، فهذه الأوراد نُعطيها لكل الناس، سواء إخوانك أو حتى عامة المسلمين حتى يدخلوا في العمل الصالح الذي يُقرِّبهم إلى رب العالمين.

لكن إذا خصَّك الشيخ بوردٍ خاص، فلا تُبيح به إلا إذا أخذت منه إذناً خاص، وهذا شيء واضح وطبيعي!!

أقول للشيخ: إذا طلب مني أحدٌ هذا الورد هل أُعطيه له أم لا؟ فيُجيبك ويفيدك، وهذا الكلام لو كانت الأوراد أوراداً قولية.

لكن إذا ارتقينا بعد ذلك إلى الأوراد القلبية، أو ارتقينا بعد القلبية إلى اللطائف البرزخية، فلمن أُعطيها؟!!

هذه نسمع عنها فقط!!

لأن الأوراد القلبية لا تكون إلا لمن دخل في الحياة القلبية: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الشعراء) لأن اللسان فيها لا

يتحرك، وكلها بالقلب.

واللطائف البرزخية يكون الإنسان فيها في عالم البرزخ، ويرى أهل البرزخ ويحادثهم ويكلمهم، هذه اللطائف لمن يُعطيها؟!!

هذه بضاعة خاصة لمخصوصين، وهذه يقول فيها الله:

﴿ يَـٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا ﴾ (٥يوسف) هم إخوتك، ولكنهم لم يصلوا إلى هذه المنزلة!.

حتى لو حكيت أمامهم شيئًا وقلت: أنا رأيت كذا وكذا، سيكون شيء من اثنين: إما أن يكذبوني ويقولوا عني صفتي كذا وكذا، وبذلك يقعوا فيَّ، وإما أن يكبروني، ويزيدوا في تفخيمي، ويعظموني، وهذه مضيعة لي.

لأن الذي يحفظني رتبة العبودية، طالما أنا في العبودية فأنا محفوظ بالحفظ الذي حفظ به الله خير البرية ﷺ.

٣٧. الفتح في طريق الله

ما معنى كلمة فتح؟

وما معنى الفتح في طريق الله؟ وفي كلام الصالحين؟

كلمة الفتح؛ كثيرٌ من الناس في زماننا وقبله وضعوا لها تصورًا معينًا محددًا، صحيح في جانب، لكنه غير صحيح في معظم جوانبه ... والتبس الأمر على من بعدهم، فظنوا أن هذا هو المعنى

الوحيد للفتح، فلان مفتوح عليه، أو فلان من أهل الفتح، ومعنى هذه العبارة فهمه كثير من الناس أن هذا الرجل بصيرته فُتحت، وأصبح يرى وهو في مكانه عالم الملكوت، ويرى الملائكة الصاعدين والنازلين، ويرى الجنة والنار، ويرى اللوح المحفوظ وما كُتب فيه، فيعرف ما يحدث لهذا، وما يجرى على هذا.

وقصروا المعنى على هذا التوضيح الذي ذكرناه، مع أن هذا ليس بالفتح الذي يقصده الله في كتاب الله.

فكلمة الفتح في كتاب الله: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ ﴾ (الفتح). ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ ﴾ (النصر) ،﴿ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ (١٣الصف) وغيرها، أكبر فتح يفتح به الله ﷻ على عبد مؤمن أَن يوجهه إليه، ويجعله يديم الإقبال عليه، ويجعله يحاول أن يعرف السبل والعبادات الموصلة إلى مراضيه ليسلكها، والأحوال التي يُحبها من عباده ليتجمل بها، والأخلاق التي يُريدها من خلقه ليمشي على منوالها، فهذا أكبر فتح يفتح به الله ﷻ على عباده.

وهذا ما يُسمَّى بالاستقامة، وهي غير الذي ذكرناه، فهذا يُسمَّى كرامة، يُكرمه الله فيُريه، وهي بشرى، عجَّل الله البشرى له ليفرح بفضل الله، لكن البُشرى تكون نتيجة الاستقامة، فبعد أن يستقيم ويُلازم الاستقامة ويُديم عليها، فيريد الله أن يُفرِّحه بأنه مقبول، أو أنه له قبول عند الله، أو له نصيبٌ من المحبة والوجاهة والمحبة عند مولاه، فيُفرحه ويُبشره، إن كان برؤيا منامية صادقة، أو يُبشره برؤية الحبيب ﷺ في المنام، أو يكشف القناع عن قلبه ويُريه بعض أسرار

ملكوته بعد تحصينه، لأنه لو كشف له الملكوت ولم يُحصنه الحي الذي لا يموت ربما يزل أو يضل.

لكن هذه الفتوحات تحتاج أولاً إلى تحصين من رب العالمين ﷻ، حتى إذا رآها لا يغتر، ولا يُعجب بنفسه، ولا يتباهى على الخلق، ولا يظن أنه أفضل من غيره، وإنما يحفظه الله بحفظه وصيانته عن كل هذه الأمراض والأعراض وغيرها، ثم يكشف له بعد ذلك من باب: ﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ (٦٤يونس).

ولذلك كان سادتنا الصالحون يقولون هذه الحكمة العالية، ويا ليتنا نحفظها: كن طالبًا للاستقامة، لا طالبًا للكرامة، فإن الله ﷻ يطلب منك الاستقامة، ونفسك تطالبك بالكرامة، ومراد الله خيرٌ من مراد نفسك.

كن طالبًا للاستقامة، لا طالبًا للكرامة، يعني إذا جلس في مجلس مع بعض أصدقائه أو بعض الناس يقول: أنا رأيتُ كذا في المنام، وأنا حدث لي كذا، وأنا اطَّلعت على عالم كذا وكذا، وماذا يعني هذا الكلام؟!! فالاستقامة خيرٌ من ألف كرامة.

وأعطانا الله مثلاً في القرآن فقال: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ ﴾ (١٧٥الأعراف) من هذا؟ رجل كان معاصر لسيدنا موسى، وكان قريبًا منه نسبًا ودينًا، وتعلم على يده، وجاهد نفسه، ولكنه لم يُحصنه ربه، وبعد أن جاهد نفسه كما تروي كتب الصحاح وصل إلى مقام أنه كان يطَّلع على اللوح المحفوظ، وكان مستجاب الدعاء، ففُتن به الناس،

فأصبح أتباعه أكثر من سبعين ألفًا، وهذه هي الفتنة، لأن الخلق فتنة:

والخلق فتنة من أردت صدوده وشهود أهل البعد في الأدوار

أما الذين حصَّنهم الله:

فإذا دعاهم أن يدلوا غيرهم قاموا بحولٍ منه لا بفخار
يدعون والرهبوت ملء قلوبهم بالهدي هدي المصطفى المختار

يرون أنهم يمشون بتوفيق الله، ومعونة الله، ورعاية الله، ولا يرون لأنفسهم حالاً، ولا قالاً، ولا طولاً.

وهذا يحتاج من المريد أن يدخل ورشة عند أحد العارفين، يمكث فيها عدة سنين حتى يجهزوه ويطهروه من هذه الآفات.

لكن المصيبة أن كثير من المريدين يكون متعجلاً على المشيخة، ويريد أن يكون شيخًا، فبمجرد أن يحضر مع الشيخ بعض جلسات، ويحفظ بعض الكلام، فيتخيل أن معه بضاعة، ويريد من المريدين أن يشتروا منه هذه البضاعة، وهو لا يُدرك أسرار هذه الصناعة، فنفسه تغُره وتضرُه.

فهذا الرجل مشى على هذا المنوال، ولما أصبح حوله سبعون ألفًا، وموسى ليس معه عشر هؤلاء، مع أنه نبي وكليم، فوقع في نفسه: أنا بذلك أولى من موسى، وأنا صاحب الرسالة وليس موسى طالما معي هذا العدد من الأتباع.

ما المانع لهذا الأمر؟ طالما موسى موجود فلن ينال هذا الامر،

ولن ينال هذا المنصب، فماذا يفعل؟ هو مستجاب الدعوة، فاستخدم ذلك استخدامًا سيئًا، فأخذ يدعو الله ليتوفَّى موسى حتى يحل محله، فغضب الله ﷻ،وقال له كيف تدعو على موسى حبيبي وصفيي وكليمي؟!! كل ما أنت فيه من فتح سببه موسى!!.

هذا مثله كمثل رجل ماهر في صنعة، وتعلم على يديه شخص بعض الصنعة، فتركه وفتح ورشة خاصة به وقال للناس: لا تذهبوا لهذا الرجل والكل يأتي عندي أنا، فهل يصح هذا في أصول الأدب والأخلاق؟!!.

وكذلك نفس الأمر، فكان جزاؤه أن أخذ الله ﷻ منه كل ما منحه له، وهذا الذي نستعيذ بالله منه، ودائمًا يقول الصالحين: نعوذ بالله من السلب بعد العطاء.

فهذه المصيبة الكبرى والعُظمى: ﴿ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾ وأين ذهب؟ ﴿ فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾ (١٧٥الأعراف) لم يعد معه شيء، وأصبح: ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ﴾ (١٧٦الأعراف).

هذا مَثَل للجماعة الذين يستبقوا الظهور، والذين يستعجلوا المشيخة، يريد أن يكون شيخاً، لكن غاية المنى أن تكون عبدًا لله، فاطلب العبودية، ولا تطلب المشيخة على البرية.

من الذي يُحبه الله؟ العبد، وسيدنا رسول الله ﷺ مدحه الله في كتاب الله بالعبودية ثلاث مرات: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾

(١الإسراء) ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ (١الفرقان) ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ (١الكهف) فالعبودية هي الأساس.

سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل وأتم السلام وهو كليم الله؛ نفسه ظهرت مرة، فقد كان يُكلِّم بني إسرائيل وأفاض الله عليه من العلوم، من أين هذه العلوم؟ هبة من الله وفتحٌ من الله، فلم يكن معه ليسانس، ولا بكالوريوس، ولا ماجستير، ولا دكتوراه، من الذي علَّمه؟ كله تعليم الله ﷻ.

وأيضًا من يمشي في طريق الصالحين لا ينفع معها التعليم المدني الذي نتعلمه في المدارس، أو ما نتعلمه في الصُحف، أو من الكتب، فمن كان علمه من الكتاب فالخطأ عنده أكثر من الصواب، لكن من أين علمه؟ ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٢البقرة).

فلما فتح الله على موسى بالعلوم سألوه: من أعلم الناس يا موسى؟ قال لهم: أنا، هي في نظرنا ليس فيها شيء، فهو صحيح أعلم الناس في عالم الإنس، لكن هؤلاء الخاصة لهم أدبٌ مخصوص مع المليك القدوس، فكان يجب أن يقول: أنا إذا علَّمني الله، ينسب العلم لله، أنا إذا أمدَّني الله بعلومه، أنا إذا تفضَّل الله ﷻ عليَّ من علومه الوهبية، حتى ينسب الفضل لله ﷻ.

وهو لأن الله يُحبه، عاتبه على الفور، ومن يُحبه الله يعاتبه أولاً بأول، فأمره الله أن يذهب لرجل لا يعرفه أحد حتى يتعلم على يديه،

فذهب لسيدنا الخضر أو العبد، هذا العبد ماذا قال فيه الله؟ ﴿ ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥الكهف).

هذا الرجل هل كان يعرفه أحد؟ لا، كان لا يعرفه إلا من كان مثله، فليس له ساحة، ولا مسجد يستضيف فيه الناس، لكنه رجلٌ عادي، والناس يعرفون أنه رجلٌ طيبٌ فقط، كالذي يقول فيه حضرة النبي ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ }[59]

لا يريد أحدٌ أن يعرفه إلا الله ﷻ، وسأل موسى عليه السلام ربه عن مكانه، فأعطاه علامات، وأمره أن يأخذ معه تلميذه يوشع بن نون، ويأخذ معه سمكة مشوية، وأمره أن يمشي ولا يركب، وعندما يشعر بالتعب والجوع فيكون هذا الرجل في هذا المكان.

شوى السمكة، ووضعها في مقطف، وحملها يوشع ومشيا، وظلا يمشيان فقال في نفسه: لو مشيتُ ثمانين سنة حتى أصل إلى هذا الرجل سأظل أمشي!!.

حتى لا نستكثر على العالِم العامل المشي إليه، يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه: ((احرص على طلب المرشد الرباني أكثر من حرصك على قوتك الضروري، فأنت إذا متَّ من الجوع والعطش لا تُخلَّد في جهنم، ولكنك إذا متَّ بالجهل خُلِّدتَ في جهنم)) فهذا

٥٩ صحيح مسلم ومسند أحمد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

الأساس الذي تبحث عنه.

مشى إلى أن تعب وجاع فقال لغلامه: ﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا ﴾ (٦٢الكهف) أين السمكة المشوية التي معك؟ قال: أَنا نسيت أن أخبرك أن هذه السمكة احتيت ونزلت البحر، قال له: وكيف احتيت؟ قال: كان هناك رجلٌ يتوضأ، وتطايرت قطرات من ماء وضوئه، فجاءت على السمكة فاحتيت بإذن الله وقفزت في البحر، فقال له: هذا هو الرجل الذي نريده.

فرجعا فوجدا العبد نائمًا على كوم من الرماد ومستغرق في النوم، لا سرير ولا تكييف ولا بطانية وإنما نائم على كوم رماد!!، التحف بالسماء وافترش الأرض، الذي يغطيه مولاه جل في عُلاه.

فلما وصل موسى إلى هناك استيقظ الرجل، ومن عادة العارفين الصادقين المقامين من لدن رب العالمين أنه حتى ولو كان مستغرق في النوم، فعندما يأتيه ضيف يوقظه الله ﷻ في الحال، ليعرف من جاءه.

فاستيقظ، فقال له موسى: السلام عليكم، فقال: وعليكم السلام يا موسى بن عمران، فقال له: وكيف عرفتني ولم تربي من قبل؟! قال: عرَّفني بك الذي أرسلك إليَّ، يا موسى أنت على علمٍ علمكَّه الله لا أعلمه أنا – وهو علم الشريعة التي نزل بها – وأنا على علمٍ علمنيه الله لا تعلمه أنت، وهو علم الحقيقة.

وموسى كان ذاهبًا له ليأخذ علم الحقيقة، حتى يجمع علم الشريعة مع علم الحقيقة، ولذلك لما جاء ختام الأنبياء ﷺ جمع الله

ﷻ له كل علوم الشرائع، وكل علوم الحقائق.

وأثناء كلام العبد مع موسى – والكون كله مُسخرٌ للعارفين ليضربوا به الأمثلة – جاء عُصفور نزل وشرب من البحر، فقال الخضر: وما علمي وعلمك في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر، يعني ما معك وما معي لا يساوي شيئًا أبدًا في علم الله: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ (٧٦يوسف).

وعلَّمنا سيدنا موسى الأدب، فانظر كيف يتكلم معه؟: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ (٦٦الكهف) يعني هل تأذن لي أن أمشي معك؟! لو سمحت تتفضَّل علي وأتعلم منك شيئًا، ليُعلِّمنا أن الأساس كله في الأدب، فقد قالوا:

((لزم الأدب ولو رُقّيت إلى أعلى الرتب،
ومن لم يلزم الأدب فلينتظر العطب)).

قد يجلس الإنسان مع الصالحين، ويأكل معهم، ويشرب معهم، لكن شراب القلوب، وغذاء الأرواح، وفتح الكريم الفتاح، ليس له فيه نصيب!!!!

إذًا الفتح أن يفتح الله ﷻ باب الإستقامة للعبد، أن يفتح عليه في قيام الليل فيقيمه في أحب الأوقات إليه، ويعينه على القيام بين يديه ليناجيه بكلامه، ويتملق إليه بإنعامه.

أن يفتح عليه باب الذكر فيُلهمه ذكره على الدوام، وقد قيل: ((إذا أحب الله عبداً ألهمه ذكره)) فيجد نفسه دائمًا ذاكرًا لمولاه،

وإذا توقف اللسان يسمع صوت القلب والجنان يذكر فيه حضرة الرحمن ﷻ.

أن يجعله الله ﷻ ينتقل من طاعة إلى طاعة، ومن عبادة إلى عبادة، ومن قُربة إلى قُربة، ويجعله في كل هذه الأحوال خالصًا لله، لا يبغي بطاعاته سواه تبارك وتعالى، فيرزقه الإخلاص، ويرزقه الصدق.

أن يرزقه الله محبة سيد الأولين والآخرين، ويجعله يستحضر أحواله في كل وقت وحين، حتى لا يعمل عملاً، ولا يقول قولاً، إلا ويتمثَّل الحبيب أمامه، ويتشبه به في كل أخلاقه وسلوكياته وعباداته طلبًا لمرضاة الله ﷻ.

أن يحفظه الله ﷻ من مجالس الجهالة ومجالسة الغافلين، فعندما يأتيه أحد الغافلين ليأخذه ويجلس معه يُسبب له مسبب الأسباب سببًا يجعله لا يجلس هذه الجلسة، لأن فيها غضب الله ﷻ، قال ﷺ:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فَتَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ، إِلا كَأَنَّمَا تَفَرَّقُوا عَنْ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً }[٦٠]

وفي رواية أخرى:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ ثُمَّ تَفَرَّقُوا مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ وَصَلاةٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلا قَامُوا عَنْ أَنْتَنِ مِنْ جِيفَةٍ }[٦١]

---

٦٠ مسند أحمد وأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه
٦١ شعب الإيمان للبيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

أن يرزقه الله على الدوام مصاحبة الصادقين لقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ (التوبة) أي يجعله معهم على الدوام، إما يذهب إليهم، وإما يأتون إليه، وحتى إذا مشى في الطريق يجدهم، فيكون كالنحلة لا تقف إلا على الزهور والورود والرياحين، وهؤلاء هم الصادقين مع رب العالمين، وفي متابعة سيد الأولين والآخرين ﷺ.

هذا هو الفتح الأعظم لمن أراد الله فلاحه وإصلاحه، وأن يكون من الصالحين، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

٣٨. درجات ومراتب الفتح

ما درجات ومراتب الفتح؟

موجودة كلها في كتاب الله، ونحن عندما نتحدث في هذه الأمور لا ينبغي أن يخرج حديثنا عما هو موجود في كتاب الله، وخاصة مع كثرة المتحدثين في هذا الزمان الذين يدَّعون الفتح، ويأتون بأقوال تخالف المنقول، بل وتخالف المعقول، ولا تُرضي الله ولا الرسول، ويظنون أن هذا فتح، ويريدون أن يخدعوا به الآخرين لحاجة في نفوسهم!!.

مراتب الفتح عند الله ﷻ لا نستطيع عدَّها ولا حصرها ولكن باختصار نوضح بعضها.

المرتبة الأولى: أن يفتح الله عز وجل قلب العبد للإيمان، وهذا الفتح المبين: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ ﴾ (الفتح) بعدما يفتح قلبه بالإيمان يشعر بلذة الطاعة، ويشعر بحلاوة العبادة، وحلاوة المناجاة لله، ويطمئن قلبه إذا ذكر الله.

ويشعر بوقع الذنب، ويتألم، ويوبخ نفسه إذا وقع في شيء يُغضب الله، ويلومها، ويعاتبها، ويزجرها، وهذه علامة الفتح الأول.

ولذلك عندما يقع إنسان في الذنوب، ونفسه لا تحاسبه ولا تعاتبه، ويستسهل الأمر بعد ذلك، فنعرف أن هذا من غضب الله عز وجل عليه، لأن العبد كون الله يحبه يُدخله في قول الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ (٢٠١الأعراف) ولذلك المؤمن دومًا يراجع نفسه على الدوام.

ولا بد لأي مؤمن أن يكون له مراجعة واحدة على الأقل كل ليلة، إما قبل النوم، أو قبل غروب الشمس، فيراجع صفحته، ويسترجع ما فعله وما قاله في هذا اليوم، وفي هذا النهار، وفي هذه الليلة، وهو يعلم والكل يعلم الحلال من الحرام، لأن الحلال بيِّن والحرام بيِّن.

حتى لا يأتي من يقول أنا لا أعرف هذا حلال أم حرام، لأن الحلال والحرام بالذات أي إنسان يعرفهم، حتى أن الطفل بمجرد أن ينطق يعرف اللفظة التي تُرضي، ولفظة السب والشتم التي تُغضب!! من البداية تعليم إلهي من الله عز وجل.

إذًا الفتح الإلهي الأول فتح القلب بالإيمان، وهذا بيَّن علاماته رسول الله ﷺ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ:

(تَلا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ (٢٢الزمر) فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ انْشِرَاحُ صَدْرِهِ؟ قَالَ:(إِذَا دَخَلَ النُّورُ الْقَلْبَ انْشَرَحَ وَانْفَسَحَ. فَقُلْنَا: فَمَا عَلامَةُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالتَّأَهُّبُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِ الْمَوْتِ)[٦٢]

لا تسيطر عليه الدنيا والأهواء الشهوات والحظوظ، وعنده ميل للأعمال التي تؤدي إلى الفلاح والنجاح والصلاح في الدار الآخرة، وفي نفس الوقت دائم الاستعداد للقاء الله، فلا يُسوِّف التوبة، ولا يؤخر الطاعة لأنه يرى أنه ذاهب لله، فلا بد أن يكون جاهز.

وما عليه من المخالفات يقدم طلب إلى الله ﷻ بالإنابة منها، والرجوع عنها، والاستنابة والتوبة والأوبة، وفي نفس الوقت يجهز نفسه، حتى إذا خرج من الدنيا يجد ما يسره في كتابه إذا أمسكه بيمينه إن شاء الله.

المرتبة الثانية: أن يشعر الإنسان في قرارة نفسه بعلامات أهل الطاعة والعرفان، فيستشعر خشية الله، ويستشعر في مناجاة الله أو في الصلاة الخشوع والحضور مع الله، ويستشعر عند تهيأ الذنب الخوف من الله: ﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (٤٦الرحمن) فهذه

---

٦٢ رواه البيهقي والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن مسعود ﵁

العلامات القلبية في المرتبة التالية، وهي مرتبة يكون فيها من أهل الإحسان، وأهل العرفان لحضرة الرحمن ﷻ.

المرتبة الثالثة: أن يُصقل الله ﷻ مرآة قلبه، ويرفع الغشاوة عن عيني قلبه، ويكتحل بإثمد القرآن، ويستنير بنور النبي العدنان، فينظر بنور الله، ويكون كما قال ﷺ:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }[٦٣]

وفي رواية أخرى:

{ احْذَرُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ، وَيَنْطِقُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ }[٦٤]

فيكون معه نور الله عند النظر، فيرى ما في القلوب، ويرى ما في الصدور، ويرى ما بين السطور، ويرى ما في حركات الألسن وبين الكلمات، يرى ذلك بنور الله ﷻ كما كان أصحاب النبي الكريم ومَن بعدهم من الصالحين رضوان الله تبارك الله وتعالى عنهم أجمعين.

كما رأى أبو بكر ﷺ أن امرأته حامل بأنثى، وقال للسيدة عائشة عند وصيته لها قبل موته: إنما هما أخواك وأختاك، فقالت له: ومن أين لي يا أبت بأخت ثانية وليس لي إلا أخت واحدة وهي أسماء؟! قال: انظري إلى بطن بنت أبي خارجة – زوجته – أظن ما في

٦٣ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ
٦٤ جامع البيان للطبري عن ثوبان ﷺ

بطنها أنثى!، وقد صدق في ذلك بهذه الفراسة، وهذه نسميها الفراسة النورانية.

وكذلك عمر عندما نظر وهو على المنبر إلى سارية في بلاد فارس، والأعداء يحاولون أن يحيطون به من خلف الجبل ونادى وقال: يا سارية الجبل، وسمع سارية النداء، مع أن المسافة تزيد عن أربعة آلاف كيلومتر!! والتفت وراءه فرأى ما رآه عمر، وكان ذلك سبب نصر جند المسلمين في هذه المعركة.

وكما رأى عثمان بن عفان ﷺ الصحابي الجليل الذي دخل عليه، وهو في طريقه إليه كانت تمشي أمامه امرأة، وهبت ريح فكشفت عن ساقها، فنظر بعينه إلى ساقها، فقال عثمان عندما دخل عليه: أما يستحي أحدكم أن يدخل عليَّ وفي عينيه أثر الزنا، قال: أوحي بعد رسول الله يا أمير المؤمنين؟! قال: لا، ولكنها فراسة المؤمن، أما سمعت قول النبي ﷺ:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }[٦٥]

والوقائع في هذا المجال كثيرة عن الصحابة المباركين، وعن التابعين، وعن تابعي التابعين، وعن الأولياء والصالحين، إلى يوم الدين، سر قول الله ﷻ: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ **(١٢٢الأنعام)**

٦٥ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري ﵁

المرتبة الرابعة: هذه لخاصة الخاصة، أن يكشف الله الحجاب على قلب صاحب هذا المقام، فيرى أنوار الملكوت، ويرى أنوار الأسماء والصفات في كل ما يراه من عوالم الحي الذي لا يموت، ويرى نور سيد الأنبياء والمرسلين، ويرى أنوار الأنبياء والمرسلين منامًا ثم عيانًا، وهذا هو مقام اليقين: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥الأنعام) نسأل الله ﷻ أن نكون جميعًا من أهل هذه المقامات الكريمة.

٣٩. تنوع فتوحات المقربين

هل كل مريدٍ له فتحٌ خاص يختلف فيه عن بقية إخوانه؟

شيء طبيعي، كما أن لكل إنسان وجهٌ خاصٌ، وله هيكلٌ جسماني خاص، وله لونٌ خاص، وله رائحة عرق خاصةٌ به، وله بصماتٌ في أصابع يديه وأصابع قدمه وفي عينه وفي أضراسه خاصةٌ به، فكل إنسان له عند الله فتحٌ خاصٌ به.

لا يوجد أحدٌ من الأولين أو الآخرين سيأخذ حظ أحد من الصالحين أو العارفين، وإلا يكون معناها – وحاشا لله ﷻ – أننا نُصغِّر عطاء رب العالمين، لكن فضل الله واسع واسمعوه ﷻ وهو يقول:

{ يَا عِبَادِي: لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ

مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي، إِلا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ)[٦٦]

الذي يُريد الدنيا، والذي يُريد الآخرة، والذي يُريد المقامات، والذي يُريد القرب، والذي يُريد الجنة .. وكل شيء، لن ينقص ذلك شيء من ملك الله ﷻ.

فعطاء الله واسع، وكل واحد له ذوقٌ، فانظر إلى الفواكه، والصالحين كالفواكه، كلها حلوة وطيبة، ولكن كل واحدة لها لونها ولها طعمها ولها مذاقها، وكذلك مذاقات الصالحين عند رب العالمين ﷻ.

البذرة واحدة، وشجرة واحدة تخرج من الأرض، كشجرة البرتقال، تجد فيها سبعين أو ثمانين برتقالة، فهل تجد كل واحدة منها كالأُخرى؟ هناك اختلاف بينهم: ﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ﴾ (٤الرعد).

وكذلك فإن الله ﷻ يُعطي أهل الفتح على قدر صفاء قلوبهم، وعلى قدر إشراق نياتهم: ﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ ﴾ (٧٠الأنفال) من الصفاء الذي بداخلكم.

وكل واحد له حاله عند الله ﷻ، فهناك مَن يرزُقه من عالم ظاهر القرآن، وهناك مَن يرزقه من عالم باطن القرآن، وهناك مَن يرزقه من عالم الحد في القرآن، وهناك مَن يرزقه من عالم المطلع في القرآن، وهناك

---

٦٦ صحيح مسلم والبيهقي عن أبي ذر رضي الله عنه

مَن يرزقه من هيكل النبي العدنان، وهناك مَن يرزقه من قلب النبي العدنان، وهناك مَن يرزقه من سر النبي العدنان، وهناك مَن يرزقه من روح النبي العدنان .. وكل واحد له فتحه وله تجلياته الإلهية.

الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه كان في الخُرطوم، وكان يُدرِّس في المسجد الكبير في الخرطوم بحري، وأحد الحاضرين كان صاحب قلب سليم، فهاج عندما سمع الكلام وأسراره، وقال له: كلام من هذا يا مولانا؟ هل هو كلام سيدي عبد القادر الجيلاني؟ قال: انتظر يا بني، وشرح وأعلى في العبارة أكثر، فهاج الرجل مرة ثانية وقال: كلام من هذا يا مولانا؟ هل هو كلام سيدي محي الدين بن عربي؟ فقال له: انتظر يا بني، وتكلم ثانية وأعلى في العبارة، فسأله: كلام من هذا يا مولانا؟ هل هو كلام سيدي أبو الحسن الشاذلي؟ فقال ﷺ: من الذي أعطى الجيلاني؟ قال: الله، قال: ومن الذي أعطى بن عربي؟ قال الله، قال: ومن الذي أعطى الشاذلي؟ قال: الله، قال: الذي أعطى الجيلاني، والذي أعطى ابن عربي، والذي أعطى الشاذلي هو الذي أعطاني!!.

وهل عطاء الله ينتهي؟!! ولذلك أعجب عندما يأتي بعض المتعصبين – وهم ليسوا مريدين ولكنهم مساكين متعصبين – يقول: لن يأتي وليٌّ كالشيخ فلان، لماذا؟!! فالولي فيه سرُّ الولي ﷻ، وهل سر الولي ﷻ له نهاية؟!!

قد أكرم الله أهل العجز علَّمهم أسـرار توحيـده بالحـال والقـال
خـلِّ الملامـة فـإن الله مقتـدر يُعطـي الولايـة للسـاري وللقـالي

كما يريد، يُعطيها لمن يشاء: **((قطرة من بحر جودك تجعل الكافر وليًا، والشقي تقيًا))** قطرة واحدة من بحر جود الله ﷻ!!، فكيف لنا أن نتدخل بعقولنا الكاسدة ونوقف الولاية عند فلان، ولا يأخذها إلا فلان، ولا ينفع أن يكون وليًا إلا فلان؟!!

عطاء الله ليس له نهاية عطاء غير مجذوذ: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ (الإسراء) ليس محظورا على أحد، فقد يكون يهوديًا وفي لحظة يُصبح وليًا لله، فهي أسرار لا يعلمها إلا رب العباد تبارك وتعالى.

فعلينا أن لا نوقف الولاية عند أحد، ولا نوقف أسرارها عند أحد، ولا نقول الولاية عند فلان والباقي لا، فالولاية بابٌ مفتوح، وكل واحد له فيه فتوح، فمن لم يأخذ منكم أسرار الولاية في الدنيا لأنه غير قادر أن يستوعبها أو يسترها، سيأخذها بعد أن يخرج من الدنيا: ﴿ فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (ق).

لأنه لو أخذها في الدنيا قد يفشي الأسرار الإلهية، أو يُضيع نفسه لأنه يريد أن يتباهى بنفسه ويقول: أنا ولي، وأنا معي كذا وكذا، ولكن يسترك الله إلى أن تخرج من عالم الدنيا إلى عالم النور، ويُفاض عليك السرور، وتأتيك ولاية الله ﷻ التي كنت تطمع فيها.

ولذلك لا يوجد أحدٌ من هذه الأمة يأتي يوم القيامة إلا وقد اكتملت ولايته عند الله تبارك وتعالى.

لكننا متعجلين في الدنيا لأن النفس تريد ذلك، فيريد أن يظهر،

ويريد أن يكون له كرامات، ويريد أن يكون له مريدين، والله أعلم، فلو أعطاك في الدنيا، وهو يعلم أنك ستضيع فهل ستوافق أنت على هذا لو شاورك؟! لا، لذلك لو أخر ذلك عنك لأنه يعرف أنك لا تتحمل هذه الأحوال في الدنيا، وادَّخرها لك في الآخرة.

كما ضرب الله مثلاً في القرآن في ولي اليتيم، الذي ينفق على اليتيم من ماله، ولكن يُسلمه له إذا بلغ أشده واستوى.

كذلك الأمر إذا لم يبلغ المريد أشده نهائيًا في الدنيا، فهل يصِّح أن يعطيه الله أمانته؟ لا، بل يدَّخرها له حتى يذهب إلى هناك.

فهكذا الأمر، لكن لكل واحد فتحه الخاص به عند الله تبارك وتعالى، لا يشاركه فيه أحدٌ من خلق الله، سرُّ الوحدانية السارية في كل الهياكل الآدمية المجَّلة بجمال سيدنا رسول الله ﷺ.

٤٠. وسائل الفتح

ما الوسائل التي يصل بها المريد إلى الفتح الصادق؟

أولاً: إفراد الله تعالى بالقصد، ألا يقصد إلا مولاه، ولا يتوجه في أي عمل إلا لله طالبًا لرضاه.

ثانيًا: أن يتحرى الإخلاص في كل أعماله، وفي كل أقواله، وفي كل أحواله، فقد قال الله تبارك وتعالى في حديثه القدسي:

{ الإِخْلاصُ سِرٌّ مِنْ سِرِّي،

اسْتَوْدَعْتُهُ قَلْبَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ مِنْ عِبَادِي ﴾[٦٧]

هذا الإخلاص لا يطلع عليه ملك فيكتبه، أو شيطان فيُفسده.

ثالثًا: الاتباع لسيدنا رسول الله ﷺ، واستحضار هيئته الشريفة في كل حركة أقوم بها، من أكل، ومن شرب، ومن مشي، ومن كلام، ومن صلاة، ومن صيام .. أتبع الرسول في كل أحواله، مع استحضار هيئته الشريفة في كل عمل، ليكون العمل موزوناً بالميزان الصحيح الذي يتقبله به الله تبارك وتعالى.

رابعًا: أن يكون للإنسان رفقة صادقة يمشي معهم، ويجلس معهم، ويتعاونون معًا على بلوغ المراد، ولذلك يلزم عليه مفارقة الأشرار، لكي يحظى بمصاحبة الأخيار.

خامسًا: يستعين بالوسائل التي وضَّحها السادة الصوفية، وهي الإقلال من الكلام، والإقلال من الطعام، والإقلال من المنام، وذكر الله تبارك وتعالى على الدوام.

ونكتفي بهذا القدر، والله الموفق لبلوغ القصد والمرام.

٤١. عقبات الفتح

٦٧رواه القزويني في " مسلسلاته " والديلمي في " مسند الفردوس " عن علي وابن عباس رضى الله عنهم أجمعين، وذكره القشيرى فى رسالته عن حذيفة بن اليمان، و في الموسوعة الحديثية: الدرر السنية، ورد بلفظ: سألت جبريل عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت عنه ربَّ العزة، فقال: الإخلاص سر من أسراري أودعته قلب من أحببت من عبادي.

ما العقبات والفتن التي يواجهها المريد أثناء الفتح؟

العقبات تكون داخله أو خارجه، أما الفتن فتكون غالبًا خارجه وحوله.

أما العقبات التي تواجه المريد فإن أول عقبة وأخطرها على الإطلاق أن يكون غير صادق في طلبه، كأن يريد بهذا العمل شيئًا آخر في الدنيا، كأن يريد أن يكون شيخًا وله أتباع، أو يريد أن تظهر له كرامات، وتنتشر بين الناس، ويُثنون عليه ويمدحون فيه، أو أن يكون له بهذا الأمر شهرة بين الناس، تجعل بعض الناس يجلبون إليه المال ظنًا أنه سيُصلح لهم الأحوال، وهو هدفه جمع هذا المال.

يعني إن كانت شهوة دنيا، أو شهوة رياسة، أو شهوة كرامات، كل هذه عقبات كئود في طريق الله ﷻ تمنع المريد من بلوغ المرام.

ولو بقي في السير إلى الله، وأبقاه الله ألف عام ولم يتخلص من هذه العقبات، فلن يخطو قيد أنملة في طريق الله تبارك وتعالى، ويكون كمن يحسب نفسه أنه يمشي وهو واقف!.

وشبَّهه سيدي أحمد البدوي ﷺ وأرضاه بتشبيه لطيف فقال: هذا مثله كمثل حمار الساقية، الذي يضعون له غمة على عينيه، فيظن أنه قطع خمسين أو ستين كيلو، فإذا كُشف الغيم عن وجهه رأى نفسه أنه لم يتحرك قيد أنملة.

أما الفتن للسالك فهي الفتن الموجودة في كتاب الله: ﴿ إِنَّمَآ

﴿ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (١٥التغابن) فتنة المال، وفتنة الولد، وفتنة النساء، وفتنة الشهوات بأنواعها وأصنافها، وفتنة الحظوظ العاجلة التي يريد أن يأخذها الإنسان ويحصل عليها، وفتنة الرياسة .. كل هذه فتن يتعرض لها الإنسان، والتي قال الله فيها: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (١٤آل عمران) والخيل المسومة تشمل السيارات والطائرات في عصرنا، نسأل الله ﷻ أن يقينا شر الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وهناك فتن باطنية، كأن يمنحه الله بعض الرؤيات المنامية فيظن أنه على شيء ويكتفي بهذا ولا يريد المزيد، والوقفة حجاب، أو يكرمه الله ﷻ فيفتح له بابًا صغيرًا من العلم الإلهامي فيظن أنه بلغ النهاية في العلوم، ويكتفي بهذا، فيُحجب، أو يحظى بقَبَس ولو قليل من أنوار الملكوت، فيظن أنه رأى كل أنوار الحي الذي لا يموت، وهذا أيضًا حجاب له!، ولذلك قال الله لحبيبه معلمّاً لنا: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ (١١٤طه) مع أنه قال له: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ (النساء) ومع هذا أمره أن لا يقف، بل يطلب المزيد، وإذا كان هذا حال النبي الصفيّ فكيف يكون حالنا؟!!.فالإنسان يطلب المزيد على الدوام، ولا يقف الطلب حتى ولو خرجت نفسه من الدنيا لأنه له مطالب شتَّى في الدنيا، وله مطالب في القيامة، وله مطالب في الجنة ... مطالب لا نهاية لها، فيطلب باستمرار من الله ﷻ ولا يقف عند ذلك.

٤٢. الفتح الصادق

ما علامات الفتح الصادق؟

وما الوسائل التي يصل بها المريد إلى الفتح؟

علامات الفتح الصادق حدَّدها سيدنا رسول الله ﷺ فقال:

{ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَقَهَّهُ فِي الدِّينِ وَأَلْهَمَهُ رُشْدَهُ }[٦٨]

فيجد الإنسان منا ميلاً إلى معرفة أحكام شرعه، وسنَّة نبيه، ويجد كذلك قوة على العمل بها، فيلهمه رشده يعني يوفقه للعمل بها.

فإذا وجد الإنسان أنه يرغب على الدوام في المزيد من معرفة شرع الله، وأسرار كتاب الله، وسُنَّة رسول الله، وجوارحه وأعضاؤه تطيعه، ويتلذذ بالعمل بها مطيعًا لمولاه، فهذه علامة أن الله قد فتح عليه وأحبه

أما الوسائل الموصلة إلى الفتح، فإن أولها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ (التوبة) الصُحبة الصالحة، فأختار لي أصحابًا صالحين، وأمشي معهم، وأجلس معهم ليعينوني على البر والخير.

لكن إذا جالست آخرين فسأكون مثلهم، والإنسان على منهج من يجالسه، فالمجالسة تقتضي المجانسة، فإذا جلس إنسان مع جماعة

٦٨ مسند البزار والطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

يجد نفسه دون أن يدري يقلدهم ويعمل مثل عملهم.

ثم بعد ذلك يتحلى بالإخلاص، والإخلاص أن يكون في نيته عند كل عمل أن لا يبغي من هذا العمل إلا رضاء الله، ووجه الله تبارك وتعالى، إذا مشى الإنسان على هذا المنهاج يفتح عليه الفتَّاح ﷻ بفتوح الغيب، ويكون من الرجال الذين يأخذون من فضل الله في أي وقت شاءوا، وكيف شاءوا إن شاء الله.

٤٣. الفتح النوراني والاستدراج الظلماني

هل هناك فتحٌ عُلوي أو نوراني، وفتحٌ سفلي أو ظُلماني؟

لا يوجد إلا الفتح العُلوي الملكوتي النوراني، لكن قد يُشبَّه على المرء فيخدعه الشيطان بوساوسه، وتخدعه نفسه بهواجسها، فيظن أن هذا فتح، وليس هذا بفتح، بل يُسمى في كتاب الله استدراج، يُستدرج بما يراه، لأنه ليس من فضل الله، ولا من عطاء الله، ولا من كفِّ حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

كمن يريد الشيطان أن يقطعه عن طريق الله، وكان صادقًا باتباعه لرجل من الصالحين يمشي على هُداه، فيريه منامات، ويظنُّ أن هذه المنامات فتوحات فينقطع بها عن الطريق، ويصير بعد ذلك غريق، لأنه ضلَّ عن سواء السبيل.

وهذه الأمور لها أمثلة كثيرة، ونماذج كثيرة من عصر حضرة النبي ﷺ إلى عصرنا هذا.

فالرجل الذي كان من كُتَّاب الوحي، وأنزل الله ﷻ على رسوله أول سورة المؤمنين، والرجل كان يكتب، إلى أن وصل حضرة النبي إلى قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ (١٢-١٤المؤمنون) ووقف حضرة النبي، فقال الرجل: (فتبارك الله أحسن الخالقين) قال: أُكتبها، فظنَّ الرجل أن هذا الوحي من عند النبي، وخُدع بذلك، وادَّعى النبوة، وادَّعى أنه ينزل عليه الوحي، وألَّف كلاماً يُضاهي فيه القرآن، وجعله في سجع، وجعل نفسه نبيًا، وهو مُسيْلمة الكذاب، لأنه خُدع بما رآه من حضرة النبي ﷺ، وسوَّلت له نفسه ذلك، ومشى على ذلك.

وهذا الأمر يحدث كثيرًا، فالإمام الجُنيد ﷺ وأرضاه كان له تلميذ من النشطاء، وغاب عنه فترة من الزمن، فسأل عنه إخوانه: أين فلان؟ قالوا: لا ندري، قال: اذهبوا إليه واسألوه لم لا يحضر؟ فذهبوا إليه وسألوه، فقال: ولماذا أحضر عند الشيخ؟!! أنا كل ليلة أبيتُ في الجنة، فسألوه: هل في المنام؟ قال: لا، بل أذهب إلى الجنة كل ليلة، يأتيني جماعة ويأخذوني إلى الجنة!!.

وهل هذا الكلام يقبله العقل؟!! لا. حتى لو كانت سفينة فضاء فلن تصل إلى الجنة، لأنها لم تتجاوز إلا الغلاف الجوي للأرض فقط، ودارت حول الأرض، ولم تصل إلى السماء، الأولى أو الثانية أو الثالثة!!.

فقال لهم الشيخ: اسألوه: ماذا تفعل هناك؟ فقال لهم: نذهب إلى الجنة ونعمل حلقات ذكر ليس لها مثيل، فقال لهم الشيخ: قولوا له: عندما يشتدُّ الذكر قُل: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) فجاءه الجماعة وكانوا يحملوه، وذهبوا وأقاموا الذكر، وبعد أن اشتدَّ الذكر قال: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) ففوجئ بالضرب يقع عليه من كل فجٍّ!، إلى أن وقع وأُغمي عليه، ولم يستفق إلا بعد أن لسعته حرارة الشمس، فوجد نفسه على مزبلة بغداد، فعرف أن الذين كانوا يأخذوه هم جماعة من الجن والشياطين.

وكانوا يقيمون له حلقة ذكر ليضيعوه، لأن الشيطان يجرُّ الإنسان إلى طريق المعاصي، فإذا عجز عن طريق المعاصي يدخل له من طريق الطاعة، يغرُّه، ويبعده، يجعله يظنُّ أنه شيخ، ويظنُّ أنه من أهل الفتح، وكل ليلة يبيت في الجنة كما رأى هذا الرجل.

فعرف أن هذا ليس من الله، وإنما الشيطان هو الذي أغواه: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴾ (٢٢١الشعراء) **وانتبهوا للآية، والذين مثلنا:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ (٣٠فصلت) سبحان الله!! فهناك جماعة تنزل عليهم الملائكة، وجماعة تنزل عليهم الشياطين، فما الحفيظ في مثل هذه الأمور؟ الله ﷻ، ثم الشيخ الأمين الذي يُرشدني إلى الطريق المبين، الذي لا أضلُّ إن مشيتُ على هُداه، حتى أصل إلى سيد الأولين والآخرين ﷺ.

تلميذ آخر للجنيد، فقد ذهب الجُنيد لمسجده، وكان مسجده في المقابر في منطقة خارج بغداد اسمها (الشنزيه) يذهب إليه مجموعة محددة من التلاميذ في منتصف الليل يشتغلون فيه بطاعة الله، فنمهم من يجلس يتفكَّر، ومنهم من يُصلي، ومنهم من يقرأ القرآن، ومنهم من يجلس يستغفر، ومن يجلس يُصلي على حضرة النبي، وكل واحد منهم بحسب الدوا الذي أخذه بعد أن عُولج من الهوى، لأنه مادام هناك هوى فلا ينفع الدوا.

فرأى الجُنيد في المنام أن إبليس يحاول أن يدخل إلى المسجد، وكلما حاول الدخول إلى المسجد فإن أنوار قلوب الجالسين في المسجد تكاد تحرقه، فيرجع مرة ثانية، فقابله وهو حزين ولونه متغير ويظهر عليه الكدر والمرض، فقال له الجنيد: ما الذي جعلك هكذا؟ قال له: الجماعة الجالسين في مسجد الشنزيه!!.

فكلما حاول الدخول لهم فإن النور الموجود في القلوب يخرج ليحرقه، وهذا حديث الرسول، قال ﷺ:

{ إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وَإِنْ نَسِيَ الْتَقَمَ قَلْبَهُ فَذَلِكَ الْوَسْوَاسُ الْخَنَّاسُ }[٦٩]

الشيطان يجثُم على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خنَّس وتوارى وبعد، وإذا غفل وسوس.

٦٩ مسند أبي يعلي الموصلي وشعب الإيمان للبيهقي عن أنس رضي الله عنه

فقام الشيخ الجنيد من المنام، وتوضأ، وذهب إلى المسجد، وهو داخل من باب المسجد، فأحد الجالسين في المسجد التفت إلى الشيخ وقال له: لا يغرنك كلام الخبيث الذي سمعته في المنام!!، ما هذه الشفافية؟!! رأى كل المشهد، ومع ذلك قال له: لا يغرنك هذا الكلام لأننا لن نغتَّر به.

لأن الشيطان قد يغُر الإنسان، والإنسان العاقل لا يُغرُّ بمثل هذا الكلام.

الشيخ أبو عسكر كان في قرية أصفون المطاعنة بالأقصر، وكان رجلاً من الصالحين، فكان داخلا لصلاة الفجر، فوجد مكتوب على القبلة بالنور: (لا إله إلا الله أبو عسكر ولي الله) فقال: اخسأ يا ملعون وهل هذه أمور تراها العين؟!! لأن هذا النور لا تراه عين الرأس، فهي ترى نور الشمس، ونور الكهرباء، لكن النور الآخر تراه عين القلب، ومثل هذه الأمور قد يقع فيها البعض، لكنه كان واعيًا.

وتلميذ آخر من تلاميذ الإمام الجُنيد قال له: يا سيدي رأيتُ اليوم رؤيا عظيمة، فقال له: خيرًا، قال: رأيتُ أنني وأنت في الجنة، قال الشيخ: وهل الشيطان لم يجد أحدًا يضحك عليه غيري أنا وأنت؟!! لأنه رأى أنه سيغترَّ برؤيته مع الشيخ في الجنة فيتكاسل.

كالمساكين في هذا الزمان الذين يريدون جمع الناس حولهم، فإذا سأله أحدهم وقال له: أنا كسول في الصلاة وفي العبادات، فيقول له: ليس مهمًا، أنت (حِب ونام) وهي عبارة يُطلقونها، لكن هل المحب

ينام؟!! لا، لكنه كلام ليسكنوا الناس، ويضيعوهم بحجة هذه الرؤيات التي يظنون أنها فتحٌ.

وكل هذه الأمور نسميها استدراج، أو كما يقولون مجازًا: فتح شيطاني!!!، لكن اسمها استدراج: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤٤القلم).

حتى إن الكرامات نفسها، قالوا فيها: الكرامة لأهل الإستقامة، والإستقامة خيرٌ من ألف كرامة، والله ﷻ يطلب منك الإستقامة، ونفسك تطلب الكرامة، فكن طالبًا للإستقامة لا طالباً للكرامة، لماذا؟ قالوا: قد يُجري الله الكرامة على يد الإنسان استدراجًا له والعياذ بالله، أو اختبارًا له وابتلاءًا له.

كثير من أهل مصر يدَّعون أنهم أولياء لله، كيف؟ لو حدث بين أحدهم وآخر خصومة، والرجل الذي معه الخصومة أصابه شيء، فيقول: هذا بسبب غضبي عليه، وهذه دعوتي وأُستجيبت فيه.

صحيح أننا كلنا أولياء، ولكن لسنا أولياء على بعضنا، أولياء على اليهود، وعلى الكافرين، وعلى المشركين.

حتى أحيانًا تكون امرأة لا تُصلي، وبينها وبين أخرى خصومة، وحدث لها مكروه، فتقول: بسبب غضبي عليها حصل لها كذا وكذا، فإذا قيل لها: أنت لا تصلين!، فتقول: أنا قلبي نظيف، والعبرة ليست بالصلاة.

وهؤلاء: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ (٢٥محمد) ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (١١٢الأنعام) ليغتروا بهذا الأمر، لكن المؤمن لا يُؤذي أحدًا ولا يضُر أحدًا، من قريب أو من بعيد.

لكن هذا كله استدراج أو مجازًا فتح شيطاني، نسأل الله ﷻ الحفظ والسلامة.

أما الفتح الرباني أن يرى أنوار الملكوت، ويرى مشاهد الجنات العاليات، ويرى ويطَّلع على ما في اللوح المحفوظ من رموز وقد تُفتح له خلفها الكنوز، ويرى وجه الحبيب ﷺ، والشيطان لا يتمثل به أبدًا.

ويرى الأنبياء والمرسلين، ويرى الصالحين الكُمَّل الوارثين، يُعلِّمونه ويهذِّبونه وينصحونه ويوصونه، ويرى معاني قرآنية علِيَّه لم تظهر في الكتب المطبوعة، ولم يسمعها من العلماء الأحياء، ولا تتعارض مع الشريعة الغراء، حتى تكون عِلمًا إلهاميًا من الله ﷻ.

وأنواع الفتح الإلهي لا تعد ولا تحد، نسأل الله ﷻ أن يفتح علينا أجمعين فتحًا نورانيًا كشفيًا إلهيًا.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه

٤٤. الفتح المبين

🔒 ما الفتح المبين الذي خصَّ الله به رسوله في قوله:

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ (١الفتح)؟

وهل يكون هذا الفتح لأحد من بعده؟

الفتح المبين هو الفتح في تبيان وبيان كلام رب العالمين كما أراد الله ﷻ في كلامه.

فكل الناس تفسر، والكثير يُفسِّر بعقله، وعلى حسب بضاعة عقله، فإذا كان مشغول بالفلسفة فإنه يغلب على تفسيره الناحية الفلسفية، وإذا كان يغلب عليه علم النحو فتجد أهم شيء عنده في التفسير الناحية الإعرابية للكلمات والجمُل، وإذا كانت العلوم التي في عقله مختصة بالناحية البلاغية فتجد تفسيره تغلب عليه الناحية البلاغية.

وإذا كان يغلب عليه مذهب من المذاهب فإنه يحاول أن يلوي الآيات القرآنية لتتوافق مع مذهبه، فإذا كان وهابي فإنه يريد من الآيات أن تؤيد الوهابية، وإذا كان شيعي يريد من الآيات كلها أن تؤيد التشيع، وهكذا!!.

لكن المفترض أن الفهم الصحيح للآيات أن أعلم مراد الرحمن في آيات القرآن، يعني ماذا يريد مني الله؟، أضرب مثال: لو جاءنا في أي مصلحة من المصالح قوانين مركزية من الوزارة أو الإدارة المركزية لنا، ونحن لا نفهمها، ولو اجتمعنا لنفسرها فإن كل واحد منا سيكون له رأي، هذه الآراء هل سيُعمل بها؟!! لا، فماذا نفعل؟ نطلب ارسال مذكرة للجهة التي أصدرت التشريع لتخبرنا ماذا تريد من هذا

التشريع؟. وكذلك نفس الأمر، فصاحب القرآن، ومُنزل القرآن هو الله ﷻ، ماذا يريد من القرآن؟ بيَّن النبي العدنان ما يريده الله ﷻ منا في القرآن، سر قوله سبحانه: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩ ﴾ (القيامة).

النبي ﷺ بيَّن في عصره وزمانه، لكن ماذا بعد ذلك؟! هناك رجال ينتقيهم الواحد المتعال، ويلقِّنهم أسرار كتابه حتى يبلغوا أهل زمانهم مراد الله المناسب لهذا الزمان، وهؤلاء قال فيهم حضرة النبي:

{ إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ }[70]

هؤلاء العلماء ورثوا هذا البيان، وهؤلاء بيَّن الله مكانتهم في القرآن، القرآن الذي لا يتغير ولا يتبدل وهو ما بين دفَّتي المصحف: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (٩الحجر) لكن نريد أن نفهمه، ونعرف ما فيه، فما التفسير الذي ننظر فيه؟ ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ (٤٩العنكبوت) ليس في الكتب المطبوعة ولكن في صدور الذين آتاهم الله العلم من عنده.

هؤلاء عندهم بيان معاني القرآن المرادة لكل إنسان في الزمن الذي هم فيه حتى يتضح مراد الرحمن تبارك وتعالى في القرآن، وهؤلاء العلماء العاملين، والعارفون الربانيون، الذين قال الله في شأنهم: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾ (الرحمن) يبين معاني كلمات الله، ومراد الله ﷻ في القرآن، ليكون

٧٠ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه

الناس أقرب إلى القصد، وإلى تحقيق المراد لحضرة الرحمن في العمل بتنزيل الله ﷻ فيما بيننا.

فالفتح المبين هو بيان القرآن على حسب مراد الرحمن، وليس على حسب فكر الإنسان، أو رأي الإنسان، أو هوى الإنسان، ولكن مراد الرحمن ﷻ.

ولكي يمتد هذا الفضل إلى آخر الزمان جعل الله ﷻ ورثة للنبي العدنان؛ امتدادًا له في هذا الأمر، وهم الداخلون في قول الله: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ **(القيامة)** وثم للتراخي يعني إلى آخر الزمان، علينا أن نبينه على لسان هؤلاء الأفراد الذين أنزل الله في صدورهم المعاني التي يريدها من أهل القرب والوداد في زمانهم، نسأل الله ﷻ أن يحقق لنا وبنا ذلك.

٤٥. آداب صاحب الفتح

ما الآداب التي يجب على صاحب الفتح مراعاتها في حياته اليومية؟

الأدب الأول:

أول أدب من الآداب التي ينبغي على صاحب الفتح مراعاتها أن لا ينشغل بالفتح عن الفتاح، لأنه إن فتح عليَّ بشيء وانشغلتُ بالفتح ونسيت الفتاح الذي فتح هذا الفتح، فهذه أكبر اساءة أدب في هذا الباب، فيجب أن لا أنشغل بالفتح عن الفتاح ﷻ.

الأدب الثاني:

أن لا أتوقف عند هذا الفتح، وأظن أنه خاتمة المقامات، وخاتمة المطاف ولا زيادة بعده ولكن أطلب المزيد دائماً: ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ (ق)، ولذلك كثير من الأحباب يقفون عند الرؤيا، وكل يوم يقول: أنا رأيت رؤيا كذا، ورأيت رؤيا كذا، وكل خيالات يراها في المنام يعتبرها رؤيا، وكل هواجس شيطانية يراها في المنام يعتبرها رؤيا، ويريد أن يقصها عليَّ ويريد تفسيرها، ولو قلت له إنها بعض الهواجس الشيطانية يحزن، لأنه يرى أنه صاحب رؤيا، ولو قلت له لا تنشغل بالرؤيا يحزن.

فإلى متى تظل في الرؤيا المنامية؟!! الرؤيا هي أول عتبة في طريق القوم ويجب أن تعبُرها حتى ترى ما بعدها.

أنا ركبت القطار متجه من مكان إلى مكان، والقطار وقف في أحد المحطات، فهل أقف لأشاهد هذا المكان ولا أُكمل باقي المسيرة؟!! لا، كذلك نفس الأمر، فأنا أريد أن أُكمل المسير إلى الله، ونهايته: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ (النجم) ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ ﴾ (العلق) نهاية السفر وجه الله:

مني أسافر لا من كوني الداني أفردتُ ربي لا حور وولدان

فلا يقف عند الفتح، ويطلب المزيد.

الأدب الثالث:

أن لا يتباهى بهذا الفتح على غيره، ولا يظن أنه حصل على

شيء لم يحصل عليه غيره، بل يظن دومًا أنه ما حصَّل إلا أقل القليل، وأرزاق الله في الفتوحات كثير وكثير وكثير، وقل كثير إلى يوم القيامة ولا تنتهي، فماذا أكون قد أخذت؟!! فتوحات قليلة وليست كثيرة.

الأدب الرابع:

أن أنتبه جيدًا أن يكون هذا الفتح لا يخالف الشريعة المطهرة طرفة عين ولا أقل، فقد قال سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ: إذا تعارض فتحك مع الشريعة فاضرب به عرض الحائط وقل لنفسك: قد ضمن الله لي الحفظ في اتباع الشريعة ولم يضمنها في الفتح.

لأن الفتح قد يكون شيطاني، وأنتم قد تعلمون قصة سيدي عبد القادر الجيلاني ﷺ عندما كان في خلوته، ورأى نورًا من السماء إلى الأرض، وسمع من يقول: عبدي عبد القادر، قال: لبيك سيدي – ظنَّ أن المخاطب له حضرة الله – قال: إني أبحتُ لك المحرمات، فقال: اخسأ يا ملعون، وإذا بالنور يتحوَّل إلى ظلام ودخان، ثم قال له: بم عرفتني يا عبد القادر؟ قال: إن الله لم يُحرم شيئاً على لسان نبي، ثم يبيحه لولي!!، قال: نجوت مني يا عبد القادر بعلمك وفقهك، ولقد أخرجتُ قبلك سبعين رجلاً بهذه الطريقة!!.

يُهيئ له أن هذا نور الله، ويقول له: أبحتُ لك المحرمات، فيظن أنه أخذ تصريح بفعل كل شيء، كبعض الدجالين الذي يترك الصلاة، ويقول معي تصريحٌ بترك الصلاة!!، من أين هذا التصريح؟!! كان أولى بهذا التصريح سيدنا رسول الله، ولكنه لم يتركها حتى في اللحظات

الأخيرة، وكان آخر ما ردَّده: الصلاة الصلاة الصلاة.

إحدى السيدات وكانت في مركز مرموق، وكانت تمشي مع شيخ من المشايخ، فسألتني عن طريق الفيس بوك، وقالت لي: هذا الشيخ من أتباع سيدي أحمد البدوي ﷺ وأرضاه، ويدَّعي أنه لا يفعل شيئًا إلا بأمر سيدي أحمد البدوي، وذات مرة رأيته يشرب الشيشة والحشيش، فقلت له: ما هذا؟!! فقال لها: سيدي أحمد البدوي هو الذي أمرني!!، أرأيتم الضلال؟!! هذا ضلال يقول الله فيه: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾ (٧٥مريم).

فقلت لها: إن ميزاننا الشرع، ومن يخالف الشريعة فليس لنا شأنٌ به، حتى ولو رأيناه يطير في الهواء، أو يمشي على الماء، فطالما قد خالف الشريعة فنحن منه بُرءاء، والإمام أبو العزائم قال لنا:

من خالف الشرع الشريف فليس من آل العــزائم فــافهمن برهــاني

يعني كل من يخالف الشريعة فليس منا أبدًا، إن خالف الشريعة في معاملته مع زوجته، أو خالف الشريعة في معاملته لأولاده، ويُفضَّل هذا على ذاك في الأنصبة، ويورِّث هذا ويترك هذا، وهذا لا يجوز، ولكن نترك الميراث حتى نلقى الله، وهم يقسمونه على شرع الله.

وإن خالف الشريعة في معاملته مع إخوانه، إن كان يغتاب هذا، أو ينم على هذا، أو يحقد على هذا، أو يحسد هذا، فهذه ليست أحوالنا بالمرة، ولكن أحوالنا: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ (٤٧الحجر) أول شيء تُجرى لهم عملية نزع ما في صدورهم من غل،

ومن لم يخرج الغل منه فليس منا، ويكون دخيلاً علينا، وهو الذي يسبب مشاكل لنا ولنفسه، لكن لا بد أن يُخرج كل هذا من عنده بالكلية: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩الشعراء).

٤٦. الحفاظ على الفتح

هل هناك سلب للفتح؟

وكيف يحافظ المريد على الفتح؟

الفتح فضل من الله، عطية من الله، هدية من الله، وليس على المُهدي أو المُعطي حفظ الهدية، ولكن هذا على من أُعطي له، أو على من أُهدي له.

أنا أعطيتك هدية فهل أنا مكلف بحفظها؟ لا، لكن المكلف بحفظها من أخذها، وحفظها يكون بالشكر: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ وتضييعها: ﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧ ﴾ (٧إبراهيم) كيف يكون الكفر هنا؟ أن ينسبها لنفسه، وأن يتباهى بأنها بسببه، ولا ينسبها لصاحب الفضل، وصاحب الإكرام وهو الله ﷻ.

ولذلك إذا أراد المسلم أو المؤمن أو المحسن النجاة فلينسب كل خيرٍ وكل بر وكل فضل لحضرة الله ﷻ: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ (٧٩النساء) ينسب الخير كله لفضل الله، وإذا نسب الخير لمهارته أو شطارته أو ذكاءه أو ما شابه ذلك فربما يضيع منه هذا العطاء لأنه لم يشكر صاحب هذا الفضل

وهو الله ﷻ: ﴿ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ (لقمان) فشكر النِعم هو أول باب يحافظ على هذه العطايا وهذه النعم.

الباب الثاني الذي يحفظ للإنسان الفتح الذي فتح الله به عليه الأدب، الأدب مع الله، والأدب مع رسول الله، والأدب مع شيخه الذي أخذ بيده إلى الله، والأدب مع الأحباب في الله ﷻ.

الأدب مع الله –كما قلنا– أن ينسب الفضل لله، والأدب مع رسول الله ﷺ أن يتحدث بهذه النعم ويقول أنها ببركة حسن الاتباع لسيدنا رسول الله، وإنها تضاف إلى المعجزات الكريمة التي أعطاها الله لرسول الله، فكل كرامة لولي معجزة للنبي الذي اتَّبعه هذا الولي.

وأدبه مع شيخه أن لا يظن مهما أوتي من الفتح في يوم من الأيام أنه زاد على شيخه في الفتح، أو أنه أصبح أرقى أو أعلى من شيخه، فمن ظن ذلك فقد هلك في الوقت والحال، لأنه لم يلتزم بالأدب الواجب مع الرجال.

فإن الذي يقطعه المريد في سَنَة، يقطعه الشيخ في سِنَة!!، فكيف له أن يتعالى؟!! وكل مدد للمريد يأتيه عن طريق شيخه، يأتي من الله إلى رسول الله، ومن رسول الله إلى شيخه، ومن شيخه إليه.

إذا تعالى في نفسه، وظن أنه خير أو مساوٍ حتى لشيخه، فهذا لم يلتزم الأدب، وهو معرض ليقال له: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ (١٧٥الأعراف) الشيطان هو الذي مشى وراءه!.

بلعام بن باعوراء كان من تلامذة سيدنا موسى، ووصل إلى درجة من الكشف يطَّلع على ما في اللوح المحفوظ!، وكان يُستشفى بدعاءه!، لأنه كان يدعو الدعاء فيستجيب الله له في الحال، ولكنه فُتن بالخلق، لأن أتباعه كانوا حوالي سبعين ألفًا، فظنَّ أنه خير من نبي الله موسى، الذي هو سبب فتحه، وسبب ما فيه من فضل ومن إكرام من الكريم المنان ﷻ: ﴿ فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾ (١٧٥الأعراف) سلخها الله كلها منه.

صاحب الفتح:

إذا كان من الأصاغر يكون الفتح ظاهراً، وتغتر الناس بهذه الأحوال، وقد يلتف حوله الآلاف.

أما صاحب التمكين:

فيكون فتحه في عالم الباطن، وفتحه للأحباب في بواطنهم، وهو في ظاهره يكون مؤدباً بآداب العبودية، فلا يرى إلا خاصة المقربين ما له من خصوصية، لكن غيرهم لا يرى له خصوصية، لأنه مؤدب بأدب العبودية الكاملة.

وهذا قد يجعل كثيراً ممن حوله يغتر بالعبودية، فيخرج عن الأدب، ويخرج عن الواجب نحوه، وهو عبد ليس له حول ولا طول وإنما تولاه الولي ﷻ، فالذي يغضب له هو مولاه، والذي يتولى أموره كلها هو حضرة الله ..

وهذا في قول الله في الحديث القدسي:

{ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ }[٧١]

لأن الولي سلَّم الأمر لله، فالذي يُعلن الحرب الله، لأنه في وقاية الله، وحماية الله، ورعاية الله تبارك وتعالى.

والأدب مع أحبابه :

- أن لا يتعالى عليهم.
- وأن لا يصاب بالغرور فيظن أنه خير منهم لما فتح الله به عليه، فربما يكون بعضهم صامتاً ولا يتكلم، ومعه من الفتوحات الإلهية أضعاف أضعاف ما فتح الله به عليه، ولكن لا يبين لغيره هذه المزية.

فدائمًا الإنسان لا يتباهى على غيره، ولا يفتخر على غيره، وخاصة إذا كان يعمل أعمال لمنفعة الجماعة، فكثير من الأحباب يكرمه الله بخدمة إخوانه، كأن يطبخ، أو يوزع الطعام، أو يصنع لهم شاي، أو يشتري لهم طلباتهم، أو يقضي حاجاتهم، فربما يريد منهم أن يشكروه على هذه الأعمال!، لكن هل أنت تعملها لهم أم لله؟!! إذا كنت تعملها لله فلا تنتظر منهم شكر أو جميل، ولكن تطلب من الله، وترفض حتى أن يشكروك حتى لا تُحرم الأجر الكبير من الله ﷻ.

إذا قال لهم في يوم: أنا الذي أصنع لكم الطعام، والشراب، أو أفعل لكم كذا وكذا، فهذا لا يصلح في الدنيا ولا في الآخرة، حتى أن

٧١ صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

سيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ وأرضاه قال: من أحضر شيئًا لساحة شيخه فليعلم علم اليقين أنه يُحضره لله، والذي يعطيه الأجر هو الله ﷻ!!.

ولا يطلب حتى ولو قلبيًا أن يقدمه الشيخ على غيره نظير ذلك، أو يخصه بشيء من الفتح لأجل ذلك، لأن هذا شيء تعمله لله، فلا تطلب الأجر عليه إلا من الله ﷻ، وهم لا يملكون لأنفسهم فتحًا ولا كشفًا ولا غيره، وإنما الفتح بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده.

٤٧. الأمان من الفتن

هل هناك درجة .... يأمن فيها صاحب الفتح من الفتن؟

إذا فتح الله على الإنسان فعرَّفه بنفسه، وأوقفه على ما في نفسه من آيات الله، ومن عناية الله، ومن رعاية الله، فيستبشر خيرًا أنه لن يتغير، ولن يُغرُّ به.

فأعظم فتح أن يفتح الله على الإنسان فيُعرِّفه بعيوب نفسه، فيُصلحها ويُقومها ويقف على حقيقة نفسه: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ ﴾ يقف عند هذه الجزئية: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ﴾

ولذلك العارفون الصادقون الأفراد يقفون عند هذه الجزئية، إما أن يكون واقفًا عند الطين، وإما واقفًا عند الماء المهين، وإما واقفًا عند: ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۝٩ ﴾ يقف عند واحدة من هذه، فما هذا الذي عندهم؟ كما قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

سُمُـــوٌّ بعـــد أســفل ســافلينا عجيـــبٌ ســـر رب العـــالمين

كل ما زاد عن الطين فهو جمال رب العالمين ﷻ، وقال في ذلك إمامنا أبو العزائم ﷺ وأرضاه:

علمتُ نفسي أني كنت لا شيء فصرتُ لا شيء في نفسي وفي كلي

بــه تنــزه صــرتُ الآن موجــودًا بــه وجودي وإمــدادي بــه حــولي

ومـــن أنا؟ عـــدمٌ الله جملـــني فصــرتُ صــورته العليــا بــلا نيــلِ

كل هذا جمال الله.

٤٨. سر الأفضلية

هل صاحب الفتح أفضل من غيره من المريدين؟

الفتح له معاني لا تعد ولا تحد، والفتح الحقيقي الذي ربما لا يهتم به كثيرٌ من المريدين؛ أن يفتح الله عليه بالتوفيق، فيكون موفقًا في كل حركاته وسكناته، وأن يفتح الله عليه بابًا يتقرب به إليه، فيفتح عليه قيام الليل، ويفتح عليه صيام النهار، ويفتح عليه تلاوة القرآن، فكل هذا فتح، ولكن الكل يريد الفتح الحسي ويريد أن يرى.

وأن يفتح الله عليه بابًا في العطاء للفقراء، وأن يفتح الله عليه بابًا في بر الوالدين، وأن يفتح الله عليه بابًا في قضاء حوائج المسلمين، وأن يفتح الله عليه بابًا في خدمة المريدين الصادقين.

وأن يفتح الله عليه فتحًا أعظم فيُقيم نفسه خادمًا في ناحية من النواحي لشيخه، وفي ذلك كان يتنافس الصحابة المباركين، فمنهم من كان يتنافس في حراسة النبي ﷺ، ومنهم من كان يتنافس في وضوئه، ومنهم من كان يتنافس في الوقوف على بابه، فعندما كان يذهب سيدنا رسول الله لأي مكان تجد صراعًا لمن يقف على الباب لينظم الدخول، فكلهم كانوا يتنافسون في هذا الباب، وهذا هو الفتح الأعظم.

أما الفتح الحسي كالمنامات والإشراقات والتجليات، فهذه يقف عندها الضعفاء من المريدين، ويظنونها الفتح الأعظم، ويقيسون بها أنفسهم، ولكنها ليست المقياس الذي يقيس به رب العباد قلوب العباد.

٤٩. دليل رضا الله

هل عدم فتح الله على المريد !!! دليلٌ على عدم رضا المولى ﷻ عنه؟

أعظم فتح على المريد يفتحه عليه الله، وكثيرٌ من المريدين لا يعبأ به؛ أن يفتح الله عليه باب حفظه، فيحفظه من الوقوع في المعاصي، ولا يوجد فتحٌ أعظم من هذا الفتح.

كون الله ﷻ يحفظني من الوقوع من المعاصي فهذه نعمة لا تُقدَّر، لأنه لو فتح عليَّ بكل أنواع الفتوحات وترك حفظه لي، فستأتي معصيةٌ واحدة تضيع كل هذه الفتوحات، فإبليس عصى الله مرة واحدة، وعَبَدَ الله اثنان وسبعون ألف سنة، والمرة التي عصى الله فيها وتخلت عنه عناية الله كانت سببًا في خروجه: ﴿ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومًا مَّدۡحُورًا ﴾ (١٨الأعراف).

فأعظم فتح يفتح به الله على العبد أن يحفظه من الوقوع في المعاصي والفتن ما ظهر منها وما بطن.

والفتح الثاني الذي لا يهتم به الكثير أن يُدخله الله في باب العفو، اللهم إنك عفو كريمٌ تُحب العفو عنا.

لو فُتح للإنسان باب العفو فيا هناه لأنه بُشِّر بإكرام ،عطاء الله، وفضل الله، ما دام قد عفا عنه مولاه فكل شيء ينتهي:﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ ﴾ (٤٣التوبة) ما دام قد عفا الله عنك من البداية فلا عتاب، ولكن مؤانسة.

متى يكون العتاب؟

لو لم يكن هناك " عَفَا الله عَنْكَ " ولكانت " لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ " استجواب، لكن قال الله: " عَفَا الله عَنْكَ " نال العفو، وقوله: " لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ " مؤانسة وملاطفة من الله لحبيبه ومصطفاه ﷺ.

فكون الله يتولاني بحفظه: ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ

ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (يوسف) أو يُدخلني في ولايته: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ (الأعراف) أو يجعلني من أهل العفو عنهم في الدنيا والآخرة، فهذه أكبر إكرامات الله للعبد التي قد لا يشعر بها إلا أقل القليل، مع أنها نعمٌ عُظمى يتمناها كمَّل الصالحين وأئمة الصادقين في كل وقت وحين.

٥٠. المطلب الأحق

هل يطلب المريد الفتح من الله؟

أم يطلب الله حتى لو لم يأته الفتح؟

المريد يطلب الله، ولا يطلب الفتح، لأنه لو طلب الفتح يكون اسمه طالب الفتح، فيكون هناك شرك في طلبه وقصده لله، فلا يطلب الجنة، ولا يطلب فتحًا علميًا، أو حكميًا، أو دنيويًا، وإنما يطلب الله لله، والله ﷻ بعد ذلك يتفضل عليه بما شاء من عطاياه، ليس له حرية اختيار، وإنما يُسلِّم لما يُعطيه له الواحد القهار، لأني لا أعلم الأصلح لي ولشأني.

ربما أُريد أن يفتح الله عليَّ بالعلم!! والله يرى أن العلم قد يغُرني ويضُرني، فيحجبني عنه !!

وربما أريد أن يفتح الله عليَّ بالنور، وأنا قواي الباطنية لا تتحمل هذا النور، فإذا نزلت قطرات من النور عليَّ فنيتُ عن الأكوان،

وفنيتُ عمن هو حولي من الأهل والأولاد، وأكون كالبُلْه، وهذا ليس في صالحي ...

وهكذا.

فالمريد يطلب الله، والله ﷻ: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾

٥١. المريد وشيخه

هل يسأل المريد شيخه إذا أبطأ عليه الفتح؟

نعم إذا أبطأ الفتح على المريد عليه أن يسأل الشيخ.

والشيخ يجيبه بما فيه نفعه وصلاحه في الدنيا والآخرة إن شاء الله رب العالمين.

٥٢. حقيقة السر

نسمع كثيرًا كلمة السر في كلام الصالحين ...!!

فما السر؟ وكيف ينتقل من الشيخ للمريد؟

السر في حقيقته هو سر العناية الإلهية، وسر العناية الإلهية يكون من الله ﷻ اصطفاءًا لهذا العبد، ودليل على أنه من أهل الخصوصية.

هذا السر لا يكشفه الله إلا لمن وصل في مقام القرب من الله إلى مقام الاطلاع على الأحوال اللوحية والعرشية، فيرى فيها المخصوصين والموسومين بالخصوصية، فإذا رآني منهم وبشَّرني فيا هنايا، ويدخل الإنسان في قول الله: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ ﴾ (١٠٨هود) لأن السعادة من الأزل، وهذا سرٌ من الأسرار.

وهناك عالم السر، وعالم السر موجود في الحقائق الروحانية في باطن الإنسان، وعالم السر هو الجزء النوراني في الإنسان الذي هو أصلاً منبثقٌ من نور النبي العدنان ﷺ، فإن الله قال لنا: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ أين فينا؟ في عالم السر، سرنا هو الذي فيه رسول الله، ولذلك السر هو الذي يرى رسول الله، وهو وسيلة التواصل مع سيدنا رسول الله ﷺ.

وهناك سر ثالث وهو سر المقام، فإن الله ﷻ قال في قرآنه: ﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ ﴾ والآية هنا معناها الآية الحية في الكون، وهي العالِم العامل المُقام من الله ورسوله، فيكون آية الله في خلقه.

فإذا أراد الله ﷻ قبضه إليه ينقل السر الذي لديه إلى آخر يرى فيه الله ﷻ أنوار هذه العناية، وأنه يستطيع أن يُكمل هذه الغاية، فينتقل سر الشيخ إلى صاحب هذا المقام.

هذا بعض ما يُقال في السر، وهناك أقوال أُخرى كثيرة في هذا المقام.

٥٣. الاستغاثة والتوسل والدعاء

ما الفرق بين الاستغاثة والتوسل والدعاء؟

أولاً: الاستغاثة

الاستغاثة أن يقع الإنسان في ورطة أو في شدة فيطلب النجدة، يريد من أحد أن ينجده من شدته، إما أن يطلب النجدة من الله إذا كان قريباً في المقام والمرتبة من حضرة الله فيقول: يا رب.

وإذا كان هناك فترة بينه وبين مولاه فيستغيث بالله ويستنجد بالله ويستعين على ذلك بأن يستنجد بسيدنا رسول الله ﷺ، فيقول: يا رسول الله أغثني، يا رسول الله أدركني، فيستغيث برسول الله، والاستغاثة برسول الله هي عين الاستغاثة بحضرة الله، لأنه رسول الله.

وإذا كان الإنسان يعلم أن بعض من حوله يستطيع نجدته فإنه يستغيث بهم، مثلاً لو وقعت في ورطة وشدة وعليَّ دَيْن، وحلَّ ميعاد سداد هذا الدَين، وليس معي ما أفي به، فإني أطلب من فلان أن يعطيني مبلغًا ومن آخر مبلغًا حتى أسدد ما عليَّ، فهذه اسمها استغاثة.

نفرض أنني في الصحراء أو في مكان لا أجد فيه أحد، قال ﷺ:

{ إِذَا أَضَلَّ أَحَدُكُمْ شَيْئًا، أَوْ أَرَادَ أَحَدُكُمْ عَوْنًا وَهُوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسٌ، فَلْيَقُلْ: يَا عِبَادَ اللَّهِ أَغِيثُونِي، يَا عِبَادَ اللَّهِ

أَغِيثُونِي، فَإِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لا نَرَاهُمْ)[٧٢]

هناك جماعة من الصالحين لهم منزلة وجاه عند رب العالمين كلَّفهم الله ﷻ بنوبتجية مستمرة في أكوان الله تعالى التي تخص المسلمين لقضاء حوائج المسلمين المستغيثين، فأنت تقول: يا عباد الله أغيثوني، فيأتون ليغيثوك، وهذا يحدث كثيرًا، فقد يتوه أحد في الصحراء، وإذا به يجد أحد يدله على الطريق.

أو يمشي في الصحراء ونفد ما معه من الماء وأوشك على الهلاك فيستغيث بهؤلاء العباد، فإذا بهم يأتونه بماء، او يدلونه على موضع قريب به ماء.

وهؤلاء موجودون في كل زمان ولهم مهام يكلفهم بها النبي العدنان ﷺ، منهم مَن يُكلَّف بالتواجد في صحن البيت الحرام للأخذ بيد كل من يقع في الطواف، فلا يوجد أحد يموت في الطواف أبدًا مهما كان الزحام! لماذا؟ لأن هؤلاء موجودون، وكلما وقع رجل أو امرأة يجد من يأخذ بيده ويوقفه مع شدة الزحام.

ومنهم من يرشدون الضالين في منى وعرفات، فالكثير يتوه في منى وعرفات، ونادر منهم من يتوه ولا يرجع، لأنه يجد من يأخذ بيده ويدله على خيمته، مَن هؤلاء؟ ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ (٣١المدثر).

٧٢ معجم الطبراني عن عتبة بن غزوان ﷺ

فالاستغاثة طلب النجدة في أمر عاجل حدث للإنسان، إن كان ورطة، وإن كان شدة، وإن كان نكبة ... أي أمر عاجل اسمها الاستغاثة، إما بالله، وإما برسول الله، وإما بالصالحين من عباد الله، وكلهم الاستغاثة بهم من الله ﷻ.

ثانيًا: التوسل

التوسل أمر معروف، فأنا أدعو دعاء وأريد أن أتأكد من تحقيق الإجابة، فأتوسل إلى الله بشيء يحبه الله، حتى يجيبني ولا يردني الله ﷻ.

إما أن أتوسل برسول الله ﷺ كما فعل سيدنا آدم عندما وقع في الخطيئة وأُهبط إلى الأرض وقال:

{ يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَا غَفَرْتَ لِي، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا آدَمُ! وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ قَالَ: لأَنَّكَ يَا رَبِّ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ رَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ، إِنَّهُ لأُحِبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ وَإِذْ سَأَلْتَنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ }[٧٣]

فالتوسل هنا كان سبب في إجابة الدعاء ... أو يتوسل بكتاب الله، فيقول: اللهم بحق الكتاب الكريم افعل لي كذا واصنع لي كذا...

٧٣ دلائل النبوة للبيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أو يتوسل بأسماء الله الحسنى فيقول: اللهم بحق أسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم افعل لي كذا، أو اصنع لي كذا ... أو يتوسل إلى الله بعمل صالح قدَّمه إلى مولاه، وهو متأكد أن هذا العمل صالح، مثل الثلاثة الذين حكى عنهم رسول الله ﷺ فقال:

{ انْطَلَقَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَتَّى أَوَوْا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إلا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلا وَلا مَالا، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلا أَوْ مَالا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ، عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: لا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا فَانْصَرَفْتُ

عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ، وَالْبَقَرِ، وَالْغَنَمِ، وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لا تَسْتَهْزِئُ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لا أَسْتَهْزِئُ بِكَ فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ ﴾[٧٤]

هؤلاء توسلوا إلى الله بالعمل الصالح الذي قدَّموه إلى الله ﷻ.

ثالثًا: الدعاء

الدعاء هو أن يدعو الإنسان مولاه، والدعاء يؤمر العبد المؤمن أن يدعو الله في كل أحواله، وعلى كل أحيانه، لكنه غير معلق بطلب سريع في الوقت والحال كالاستغاثة، كأن أدعو الله أن يُدخلني الجنة، أو أدعو الله العفو والعافية، أو أدعو الله بصلاح الأحوال، هذه الأمور كلها تحتاج لأن أدعو الله وأوقن بالإجابة وأُسلِّم وقت الإجابة

---

٧٤ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

للمجيب عز جنابه.

والدعاء قد يمنع عني قضاء كان سينزل بي، قال ﷺ:

{ لا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلا الدُّعَاءُ }[٧٥]

القضاء نازل والدعاء صاعد، فيرد القضاء، ولذلك علَّمنا حضرة النبي في دعاء القنوت أن نقول:

{ وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ }[٧٦]

الشر المقدر لي اصرفه وابعده عني، فيستجيب الله له بهذا الدعاء ويصرف عنه الشرور التي قدِّرت وقُضيت لأنه دعا الله فاستجاب له مولاه ﷻ.

٥٤. عبادة الاستغاثة

هل الاستغاثة والتوسل عبادة؟

شيء طبيعي أن الذي يستغيث بالله هو في عبادة، لأن الاستغاثة دعاء ولكنه حار وشديد وصاحبه يتعجل الإجابة، فيكون بلا شك عبادة لله ﷻ، يقول فيها الله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ (٦٢النمل).

٧٥ جامع الترمذي والطبراني عن سلمان الفارسي رضي الله عنه
٧٦ جامع الترمذي وسنن أبي داود عن الحسن بن علي رضي الله عنهما

كذا إذا توسل برسول الله فإنه يتوسل به لله، وإذا توسل بالصالحين أو بالعمل الصالح فإنه يتوسل بهم لله، فيكون التوسل عبادة لله. ....

إذًا الاستغاثة والتوسل كلها عبادة لله، والله ﷻ قال فيها جميعًا: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾(٦٠غافر) لأنها كلها تقع تحت مسمى الدعاء.

٥٥. مقام الفناء

ما المقصود بالفناء؟

الفناء معناه أن يحب الإنسان مولاه، ويحب رسول الله ﷺ، ويتفانى في العمل الذي يحبه الله، والعمل الذي كان عليه رسول الله ﷺ، وأي عمل يخالف ذلك يفنى عنه، يعني ينساه ويغيب عنه لأنه مشغول بالكلية بالأعمال التي يحبها رب البرية، والتي كان عليها صاحب الحضرة المحمدية سيدنا رسول الله ﷺ.

وهذا ما نسميه الفناء، والذي يقول الله فيه: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ (١٢٢الأنعام) ماتت نفسه عن طلب الشهوات الدنية، وماتت نفسه عن الركون إلى المعاصي، وماتت نفسه عما أمر به الشيطان كالغيبة والنميمة والسب والشتم واللعن، ولا يحيا إلا بالقول الكريم، والعمل الجليل، والإخلاص لله ﷻ في كل عمل.

فإذا فنى عن رغباته، وفنى عن شهواته، وفنى عن كل الأعمال التي نهى عنها الله أحياه الله الحياة القرآنية الصالحة بالعمل بما يحبه

ويرضاه، وأحياه الله بأن يوفقه لأن يتخلق بأخلاق رسول الله ﷺ في كل وقت وحين.

الباب الثالث

أسئلة متنوعة

٨٥. عبادة أهل الجنة

الباب الثالث: أسئلة متنوعـــــــة

٥٦. آثار الفكر المتشدد

هل تسبب الفكر المتشدد في صرف الناس عن الدين؟

لا، فالفكر المتشدد صرف غير المسلمين عن محاولة استطلاع وفهم تعاليم هذا الدين وانضمامهم إلى صفوف أهله، لأنهم يعلمون أن الإسلام دين السماحة والسلام والأمن والعدل والمساواة، ففوجئوا بأن طوائف من المسلمين تقاتل طوائف من المسلمين، ويتهمونهم بالكُفر والمروق من الدين.

ولذلك عندما ننظر إلى الحروب الموجودة الآن، مَن الذي يحارب؟ ومَن يحارب؟ مسلمون يحاربون مسلمين، في أي مكان إن كان في العراق، أو في الصومال، أو في أفغانستان، أو في اليمن، أو في ليبيا، طوائف من المسلمين يحاربون طوائف من المسلمين، وكلٌ يُحلَّ قتل مخالفه، ويعتبر أن قتاله هو الجهاد الأعظم في سبيل الله.

هذه المواقف جعلت غير المسلمين ينظرون إلى هذا الدين نظرة توقف وحذر، فيقولون: أيهما نُصدق، ما قرأناه وسمعناه عن الإسلام، أم ما نراه في أفعال المسلمين المنتسبين للإسلام؟! والذين يتصدرون هذه الحركات يرى كل واحد منهم أنه الأمين العام على الإسلام، فأوقفت هذه الحركات هؤلاء الأقوام من الدخول في الإسلام.

كثير من المسلمين المسالمين العاديين أحجموا عن الإنضمام إلى الجماعات الصوفية، أو الإسلامية، للتعاون على البر والتقوى، ويقول

الواحد منهم: يكفيني أن أُصلي في المسجد، أو أُصلي في بيتي وأتعبد لله وحدي، ولا داعي أن أمد يدي إلى أحد، أو أشترك مع أحد، ولا أتعاون مع أحد، وهذا أثَّر فيما نراه الآن في أحوال المسلمين.

فأحوال المسلمين الآن لا يُنقذنا منها إلا التعاون على البر والتقوى، وسأضرب مثلاً واحدًا أكتفي به: يتعجب كثيرٌ من الخبراء الأجانب والمحليين من أنه مع ظروف الغلاء الشديد، كيف يعيش أمثالنا من المصريين الفقراء والمساكين؟!!.

وبالحسابات المادية ينبغي أن يكون هؤلاء من الأموات أو الهالكين، ونسوا أن هؤلاء الذي يُعينهم على الحياة :

- معونة إخوانهم المسلمين !
- أموال الزكاة التي تُفاض عليهم من الأغنياء، وزكاة رمضان التي تُوزع على الفقراء ..
- والصدقات التي يقوم بها المحسنون في كل وقت وآن، والمعونات التي يعاون بها الأهل من يشعرون به الفقر من بينهم حتى لا ينكشف أمره.

هذه هي التي سترت المجتمع الإسلامي كما نرى الآن، وإن كان يرى غيرنا غير ذلك، وهي مصيبة كبرى، فبعض الكبار يظنُّ أن هذا الشعب غنيٌ وعنده خزنٌ في قاع البيوت، ولذلك لا يمانعون أن يزيد الغلاء وتزيد الأسعار لأن الشعب غني، ولكنهم لا يعلمون الحقيقة!.

الحقيقة: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ (٢المائدة) لولا هذا

التعاون على البر والتقوى كان أكثر من خمسين في المائة من أفراد شعبنا سينكشفون للأحوال التي نحن فيها الآن، وهذه الأحوال تحتاج إلى تضافر الجهود، وتحتاج إلى التعاون، وليس كل واحد بمفرده، لكن لا بد أن نكون مع بعضنا لنساعد بعض.

ما رآه الأفراد من هؤلاء المتشددين جعلهم يُحجمون عن الدخول في هذه الجماعات، حتى ولو جماعة لجمع الزكاة وتوزيعها على الفقراء، أو جماعة لعمل الخير وصناديق لرعاية المرضى وغيرهم.

رأيت بعض الشباب حديثي التخرج في أحد القرى، وقد قاموا بعمل صندوق لعلاج الحالات الحرجة من المرضى، كمن يريد زرع كُلى، أو زرع كبد، ومثل هذه العمليات تحتاج مبالغ طائلة، تفوق قدرات الكثير حتى ولو كان يشغل منصبًا كبيرًا، فمن أين يأتي بهذه النفقات؟!! وهؤلاء الشباب يقومون بذلك سرًا ولا يدري بهم أحد.

وهناك مجموعة أُخرى من الشباب قاموا بعمل صندوق لتزويج الفقيرات والفقراء، فيجهزوهم ويزوجوهم. .. وجماعة أُخرى عملوا مشروعًا آخر لمساعدة من ليس له بيت، أو لا يستطيع بناء بيت، فيساعدوه على إتمام البنيان وتشطيبه كما ينبغي، هذه هي نزعة الخير التي تحل لنا مشاكلنا الاجتماعية، وتحتاج إلى التعاون.

هؤلاء جعلوا الناس يُحجمون، ولكن – والحمد لله – هذا الأمر لم يدُم، وبدأ الشباب بحمد الله يعملون بقول الله: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ﴾ (٢المائدة).

٥٧. الحرب الإعلامية على الإسلام

ماذا يفعل المسلم تجاه الحرب الإعلامية الدائرة والتي تُشكك المسلم في ثوابته ومقدساته؟

المسلم عليه في هذه الأوقات التي نحن فيها الآن ... عدة أمور:

أولاً: لا يستقي معلوماته إلا من أهل الثقة في شرع الله، وهم أهل الوسطية الذين يقول فيهم الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (١٤٣البقرة) والذين نسميهم أهل السُنَّة والجماعة، قال ﷺ:

{ يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ }[٧٧]

فمن كان له رأي شاذ غير الجماعة لا أسمع له، ولا أجالسه، ولا أقرأ له، ولا أهمس حتى مع أحد في حديث عن فتواه أو كلمته التي يقولها في شرع الله، لأنه منهيٌ عنه بنص حديث رسول الله ﷺ.

وبماذا أتكلم؟ بما أجمع عليه علماء المسلمين، لكن الناس في عصر الفتن، وهواية الناس ترديد أحاديث المخالفين!، وكل واحد يريد أن يُظهر أنه يعرف هذه الأمور المخالفة، ويعرف الأحكام غير الواضحة، وهذه هي المصيبة الكبرى، والطامة العُظمى التي حلَّت بالمسلمين في زماننا، نسأل الله تبارك وتعالى الحفظ والسلامة أجمعين.

فعليكم بالجماعة، والرأي الذي اتفق عليه الجماعة، والشواذ لا شأن لي بهم لأنهم في النار، ولذلك بعض الأحباب يقول لي: الشيخ

---

٧٧ جامع الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما

فلان الذي ينتمي إلى تيار كذا يفتي بكذا، فأقول له: ما شأنك وشأنه؟ هو يفتي أتباعه فقط، وليس نحن، لكن نحن نلتزم بمُفتينا وهو مفتي دار الإفتاء ومن على شاكلته من أهل الوسطية الأمناء.

فلا تشغل نفسك بهذه الفتاوي، والذين ينشغلون بهذه الأمور يكون عندهم فقر في الإقبال على الله، هو لا يستطيع أن يشغل وقته بالإقبال على الله فيشغل وقته بالقيل والقال والأحاديث التي لا يُرجى منها نفعٌ في الدنيا ولا في الآخرة.

يقول لي أحدهم: الشيخ فلان يقول: المرأة إذا نزلت البحر فهي زانية، لأن كلمة البحر مذكر وهي أُنثى، فأقول له: وما شأنك بهذا؟!! هي فتواهم وليس لنا شأن بها! هل أفتى بهذا أحمد بن حنبل؟! وهل قالها الإمام الشافعي؟!أو قالها أحدٌ من أهل السُنة؟! لذلك لا شأن لي بهذه الأمور، ولا أرددها، وأُغلق هذا الباب على الفور، ولا أسمع إلا لكلام أهل الوسطية العقلاء الفصحاء الذين يفتون بصحيح الدين، وصريح ما ورد عن إمام الأنبياء والمرسلين.

لأن من يسمع لهؤلاء الناس يدخل في متاهات طويلة، وقد يطير عقله إن لم يحفظه الحفيظ، لأنه سيسمع كلام يجعله غير ثابت!!.

فلا نشغل أنفسنا بهذه الفتاوي، ولا نسمع لحديثهم، أو نقرأ لهم، وننتهي أولاً مما يقوله أئمتنا وعلمائنا، ونعمل بما سمعنا وما علمنا، لكي يهب الله لنا العلوم التي تنفعنا في الدنيا، وترفعنا في الآخرة إن شاء الله رب العالمين.

٥٨. الابداع في النفس البشرية

هل راعى الإسلام جوانب الإبداع في النفس البشرية؟

أم أن الطاعة والتسليم تتنافى مع الإبداع؟

أظن أن التاريخ كله لم يشهد مبدعين على مر التاريخ كالمبدعين الذين ظهروا في عصر النبوة.

لم يشهد التاريخ قائدًا فاتحًا كخالد بن الوليد ﷺ، الذي يقول عند موته: لقد خضتُ أكثر من مائة معركة حربية، وما في جسمي موضع شبر إلا وفيه طعنة برمح، أو ضربة بسيف، وها أنذا أموت على فراشي كما يموت البعير، ألا بُعدًا للجبناء!!.

يذُم الجبناء الذين يتقاعسوا عن الحروب، فكان سيفًا مسلولاً لم يخُض معركةً إلا وكان النصر حليفه.

ولم يرَ التاريخ كله حاكمًا عادلاً كعمر بن الخطاب ﷺ، يُضرب به المثل في كل أنحاء البسيطة في عدالته، لأنه كان عادلاً حتى مع زوجاته، حتى مع أهل بيته، لم يكن عنده محاباة لأحد إن كان قريب أو صديق أو حبيب، وإنما كان يراعي الحق والعدل في كل أموره ﷺ وأرضاه.

ولم يُخلِّد التاريخ رجلاً أبدع في تعلم اللغات الأجنبية كزيد بن ثابت الأنصاري[٧٨]، عندما كان الرسول ﷺ تأتيه الكتب من اليهود، أو

---

٧٨ هو زيدُ بن ثابت الأنصاري، شابٌّ صحابي من المدينة، كان عبقريا قال عنه الذّهبي: "كان أحدَ الأذكياء " وقال ابن كثير "كان مِن أشدِّ النَّاس ذكاءً "، واشتهر في علومٍ الترجَمة

عندماكان يدعوهم ليقرأوا له، فكانوا يحرفون في القراءة، وكان الرسول ﷺ يكشفهم، فدعاه الرسول وقال له: يا زيد أنت شابٌ مُعلَّم، فتعلم الفارسية وقيل: قال له: تعلم الفارسية والرومية لتكفني شر هؤلاء اليهود، قيل: تعلَّم اللغتين في خمسة عشر يومًا وأتقنهما خيرًا من أهلهما ... أين هذه العبقرية في هذا الزمان؟! لغتان اثنتان أجنبيتان يتقنهما في خمسة عشر يوماً، ولم يكن معه وسائل سمعية حديثة، ولا وسائل بصرية ولا آلات ولا معدات، إلا الذاكرة الإلهية الربانية التي استنارت بنور الإيمان بالله، وبنور حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

ولو ذهبنا نعدد في ذلك لوجدنا في المسلمين الأولين ابداع ما بعده إبداع، فإن حقيقة الإيمان تفجر طاقة الإبداع في أي إنسان، والإبداع يعني الإتيان بما ليس له مثيل في هذا الباب، وهي لا توجد إلا مع الإيمان، فهو وحده الذي يُفجر طاقات الإبداع في أي إنسان.

فالإسلام دين يحُث على الإبداع في كل المجالات بشرط أن لا

والكِتابة والمواريث والقضاء.فقد كان يُتقِن ستّة لغاتٍ إلى جانب اللغة العربية، ولم يعرف هذا لغيره مِن الصحابة، وكان الدافع له إلى تعلّمها هو أمر رسولِ الله ﷺ فقد حكى ابنه خَارجةَ بن زَيدٍ، أنّ أَبَاهُ زَيدًا أَخْبرهُ أنَّهُ لمّا قدمَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ قَالَ زَيدٌ : ذُهبَ بِي إِلَى رَسولِ اللهِ ﷺ فَأُعجِبَ بِي، فَقَالُوا: يَا رَسولَ اللهِ، هذَا غُلَامٌ مِن بَنِي النجّارِ، مَعهُ ممّا أَنزلَ اللهُ عَليك بِضعَ عَشرةَ سُورَةً، فَأَعجبَ ذَلِكَ رَسولَ اللهِ ﷺ، وَقَال: يَا زَيدُ تَعلَّم لِي كِتَابَ يَهودَ ؛ فَإِنِّي وَاللهِ مَا آمنُ يَهودَ عَلَى كِتَابِي، قَالَ زَيدٌ: فَتَعَلَّمتُ لَهُ كِتَابَهُم، مَا مَرَّت بِي خَمسَ عَشرَةَ لَيلَةً حَتى حَذَقتُهُ، وَكُنتُ أَقرَأُ لَهُ كُتُبَهُم إِذَا كَتَبُوا إِلَيهِ، وَأُجِيبُ عَنهُ إِذَا كَتَبَ " رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، وأمره رسول الله بتعلُّم لغة أخرى ذكر ذلك ابن عبد البر فقال :" وكانت تَرِد على رسول الله ﷺ كُتب بالسّريانِية فَأمرَ زيدًا فتعلَّمَها في بِضعة عشر يوما " وهذا الخبر قد رواه أحمدُ في مُسنده عن زيدٍ نَفسه إذ قال: " قال لِي رسول الله أتُحسِن السّريانية ؟ قلت لا، قال فتعلَّمها، فتعلَّمتُها في سبعة عشر يوما "، أيضا لَم يقِف الأمرُ عِند هذا بل قَالَ أَبو الحْسَن بن الْبَراءِ :" تَعَلَّمَ الْفَارِسِيَّةَ مِن رَسُول كِسرَى في ثَمَانِيَةَ عَشرَ يَومًا، وَتَعَلَّمَ الحْبَشِيَّةَ وَالرُّومِيَّةَ وَالْقِبطِيَّةَ مِن خُدَّامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ "، (عن موقع رقيم لنافع لعياشى بتصرف).

تتنافى مع التشريعات الإلهية، وما ورد عن الحبيب المصطفى في أقواله وأفعاله المروية، فلا بد للإبداع أن يكون مربوطًا بالموافقة للقرآن وللسنة ... فحدِّث عن ذلك ولا حرج !!

، من الذي فجَّر في العصر الحديث طاقات الإبداع الحديث في تلاوة القرآن؟! القراء الذين سمعناهم ونسمعهم في عصرنا هذا، أليست هذه طاقات إبداع ليس لها مثيل؟!!.

من الذي فجَّر طاقات الإبداع من علمائنا السابقين الذين وضعوا الأُسس للحضارة العصرية الحديثة، وكانوا سابقين لأزمانهم ولعصورهم؟ هذا أمر يطول شرحه، من الذي وضع علم الكيمياء؟ ومن الذي وضع علم الفيزياء؟ ومن الذي وضع علم الجبر؟ ومن الذي وضع أساس علم الطب؟ كلهم علماء الإسلام الأوائل وغيرهم،.

جابر بن حيان مؤسس علم الكيمياء، ومن أين أخذ الكيمياء؟ تعلمها من جعفر الصادق، وابن الهيثم مؤسس علم الفيزياء، والرازي وابن سينا مؤسسي علم الطب الذي دُرِّس في أوروبا لمدة ستة قرون، والخوارزمي مؤسس علم الجبر، وغيرهم كثيرون من مؤسسي العلوم الحضارية، والتي يرون أنها سر المدنية، ويقولون فيها أنها سر الحضارة، فنحن الذين أبدعنا فيها، وإبداعنا هذا هو سبب استمرار الحضارة ونهوض الحضارة في العصر الحديث إلى وقتنا هذا.

القوانين التي تحكم العالم الآن كلها قوانين إسلامية وضعها المسلمون، فالقانون الذي يسمونه بالقانون الفرنسي والقانون الروماني كلها أصلها قوانين مأخوذة من المذهب المالكي الذي كان منتشرًا في

بلاد الأندلس.

ولما نُقلت القوانين إلى فرنسا خافوا من اعتراض الناس عليها فقالوا إنها قانون روماني، مع أنها قانون إسلامي مالكي.

ثم حوروها للقانون الفرنسي، ونحن أخذناها مرة ثانية من فرنسا على أنها قانون فرنسي، وهي أصلاً المذهب المالكي الإسلامي، لأنهم من أين لهم بهذا القانون وكانوا همج رعاع في كل أنحاء أوروبا؟!!.

والكلام في هذا المجال كثير، لإن الإبداع منوطٌ بالإسلام، فأكبر دولة في العالم في السياحة ومن حيث عدد السياح الأجانب الذين يزورونها أسبانيا، فما الذي يزوره السياح في أسبانيا؟ الحضارة الإسلامية التي ما زالت قائمة إلى الآن في أسبانيا، ويعجبون من دقة التراث الإسلامي في العمارة والمباني.

وأيضًا عندما يأتون إلى مصر فإنهم يذهبون إلى مسجد السلطان حسن، والأزهر، ويذهبون لمسجد الرفاعي، وكل هذه المساجد الأثرية ليروا فيها أنواع الفنون التي يعجز عنها المعاصرون !!

من أين هذا؟ من الإبداع الإسلامي.

كل هذه الفنون في هذه المساجد أُسست على علم الخط، خط الرقعة وخط الثُلث وغيرها، فكلها قائمة على الخطوط العربية، ولكن بإبداع أدهش العالم كله.

فالإبداع كله في الإسلام فهو دين يُفجر الطاقات الكامنة في الإنسان التي تجعله يُبدع في أي مجال يمشي فيه ويخوض فيه.

٥٩. تجديد الخطاب الديني

كيف يكون تجديد الخطاب الديني؟

هناك مؤتمرات كثيرة أقيمت لتجديد الخطاب الديني، ومن أراد معرفة كيفية تجديد الخطاب الديني فليشاهد هذه المؤتمرات ونتائجها.

لكن رأينا باختصار شديد: تجديد الخطاب الديني لا يكون إلا بقدوة طيبة يدعو الناس بفعاله قبل مقاله، فلم يعد الناس يحبون السماع، ولكن يريدون أن يروا أمامهم قدوة يقول ما يفعل، فإذا وُجد هذا، فهذا الذي يُجدد الخطاب الديني.

لكن الخطاب الديني ليس على صفحات الجرائد، ولا على المنابر، أو في الإذاعة، أو في محطات التلفزيون، لأن الناس يريدون قدوة يرونه أمامهم، ويرون عليه فتح الله، لأنه عمل بما علم، وهذا الذي يجذب الناس إلى طريق الله ﷻ.

قد يكون رجلاً عاديًا لكن فقَّهه الله في الدين، وعمِلَ بما علِم، ففتح الله عليه بعض الفتوحات الإلهية، فهذا يجذب الناس جذبًا حثيثًا إلى دين الله ﷻ، وهذا ما يقولون فيه: ((حال رجل في ألف رجل، خيرٌ من كلام ألف رجل في رجل واحد)).

يحتاج الناس إلى القدوة الطيبة، وهذا سر قول الله: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢١الأحزاب) فالدين موجود، والقرآن

موجود، ولكن من يجذب الناس إلى الدين والقرآن؟ القدوة الطيبة، وهو سيدنا رسول الله ﷺ، فقد قال الله: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ ولم يقُل (في كتاب الله،)!! لأنه يترجم ما في كتاب الله عمليًا في أخلاقه وسلوكياته وأحواله كلها.

فالناس في هذا الزمان كما في أي زمان يحتاجون إلى القدوة، ولذلك دائماً نقول للأحباب: أنتم المندوبون الذين تُروِّجوا بضاعة رب العالمين، والناس عندما ترى أخلاق المندوب وسلوكياته وأخلاقه وتعاملاته ووصفه، ويرون أنه يمشي بصدق على نهج سيد الأولين والآخرين، تُقبل على هذه البضاعة، وينجذبون إلى الله ﷻ أفواجًا.

المندوبون الأولون الذين فتحوا بلاد أندونيسيا والهند وباكستان وأفريقيا كانوا تُجارًا عاديين، ولم يكن مع أحد منهم دكتوراه في الدعوة، ولا ماجستير في الفقه، ولم يكن أحدهم معه فصاحة في علم النحو والكلام، ولكنهم كانوا صورة طيبة للدين الذي ينتمون إليه؛ في الأمانة، وفي المروءة، وفي الزهد، وفي الورع، وفي القول الطيب، فنظر الناس إلى أخلاقهم فدخلوا في دين الله أفواجًا.

لكن إذا ملأنا الدنيا مقالات، وسلوكنا يغاير ما نكتب، فمن الذي يُقبل علينا من العالم؟!! ونحن نملأ المنابر بخطب منبرية عظيمة، والأوقاف تكتب لنا خطبة ليس لها مثيل، وفيها الأدلة والبراهين وكل شيء، وآلاف مؤلفة من الخطباء على مستوى الجمهورية يخطبون هذه الخطبة العظيمة؟ فمن الذي جذبوه؟!! نرى الناس يقفون في خارج المسجد حتى يسمع إقامة الصلاة ثم يدخل إلى المسجد!!، لماذا؟! لأن

الناس لا يريدون الكلام، ولكنهم يريدون القدوة التي يرون فيه محاسن هذا الكلام، وأفعال هذا الكلام.

هذا ما يحتاج إليه الناس في العصر الحاضر، يعقدون مؤتمرات، ويتكلمون في كل مكان، ويذهبون ويجيئون، فإن النقطة الجوهرية هي القدوة، والقدوة يعني عالِم عامل، يجذب الناس إلى طريق الله ﷻ، وهو حال الصالحين في كل زمان ومكان، نسأل الله تبارك وتعالى أن نكون منهم أجمعين.

٦٠. مكانة الشباب في إصلاح أحوال المجتمع

نريد من فضيلتكم إلقاء الضوء على مكانة الشباب وتأثيرها في إصلاح المجتمع؟

الفترة الماضية لظروف معينة، وتأثيرات خارجية، وضغوط فكرية غير وسطية كان فيها الشباب في حالة غير سوية، ....

ولكن والحمد لله أرى الآن نهضة على مستوى العالم الإسلامي للشباب على الوسطية، وعلى المنهج الإسلامي السوي.

ولكن ما يحدث أن المشكلة عندنا هي وسائل الإعلام، فوسائل الإعلام ورجالها يريدون أرباحًا ويريدون إعلانات، فيُصورون الأشياء التي فيها فظاعة كأخبار الحوادث وغيرها، والتي تكشف سَوءات المجتمع!! ... ولكن هل المجتمع ليس فيه مميزات؟!! فيه كثير، فلماذا لا يأتون بالنماذج الطيبة للشباب المسلم المؤمن الذي يعمل أعمالاً طيبة

في كل زمان ومكان؟

وإليكم مثال: مَن الذي يبني المعاهد الأزهرية والكليات الأزهرية على مستوى الجمهورية؟ ليس الأزهر، ولكن كلها من تبرعات أهل الخير، فأصبح – والحمد لله – في مُعظم قُرى مصر معاهد دينية للفتيات وللبنين، وكلها قائمة على التبرعات الذاتية.

وكذلك كليات جامعية ضخمة على مستوى الجمهورية وكلها قائمة على الجهود الذاتية، ولا ننسى أن هذه الجهود ليس فيها معونات خارجية، لأن أهل المعونات الخارجية لا يريدون الوسطية الأزهرية، ولكن يريدون الوهابية وغيرها ليُعطوك المال.

فكلها قائمة على جهود الشباب، وعلى جهود أهل الخير في مصرنا، وهم كثير والحمد لله.

فالشباب الآن في نهضة طيبة، ولكن كل ما في الأمر أننا كآباء مُصرِّين على أن نرجعهم للزمن الذي عشنا فيه، ولا نراعي تطور الزمن، مع القول المأثور الذى ينسب للإمام علي ﷺ وكرَّم الله وجهه:

((لا تحملوا أولادكم على أخلاقكم، فإن لهم زمانٌ غير زمانكم)).[٧٩]

فالزمن تغير، لذلك نريد مراعاة تطور الزمن، وتطور العصر في التعامل مع هؤلاء الشباب، ولكن – والحمد لله – النزعة موجودة في

---

٧٩ وقيل ليس لعلي بن أبي ﷺ ولا الصحابة ولا السلف الصالح ، إنما هو لسقراط " لا تكرهوا أولادكم على آثاركم ، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم. "إغاثة اللهفان" و " الملل والنحل" للشهرستاني وقيل لأفلاطون "لباب الآداب" و" التذكرة الحمدونية".

أُمتنا إلى يوم الدين، ولكي تطمئنوا قال ﷺ:

{ النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ }[٨٠]

وخير معادن الأرض موجودة في بلدنا مصر، وخير المعادن الحسية الذهب، وأكبر دولة في العالم في كنوز الذهب قديمًا وحديثًا هي مصر، وخير المعادن الجسمانية أيضًا هم أهل مصر، بالطيبة والصفاء والنقاء والمعاملة الطيبة التي تجعلهم كما يقولون ((مصر أُم الدنيا)).

فكل إنسان يحتار في أي بلد من بلدان العالم، ولكن عندما يأتي إلى مصر فإنهم يكرموه ويضيفوه، ويجد مجالاً للعمل، وقد يتزوج، ولا يأتي يوم من الأيام فيسألوه أين جوازك؟ أو أين إقامتك؟ أو هل إقامتك انتهت أم لا؟!.

لكنك لو ذهبت لأداء عمرة، هل تستطيع أن تتخلف أسبوع بعد انتهاء العمرة،؟! لا، ولكي تؤدي هذه العمرة لا بد أن تدفع لهم أموالاً، مع أن الله أغناهم من فضله من أجل البيت الحرام!!.

قريش مع أنهم كانوا أهل جاهلية إلا أنهم كانوا يضيفون ضيفان البيت طعامًا وشرابًا وإقامة!!.

خير شباب الأرض جميعًا هم شباب مصر، ومصر التي قال فيها سيدنا يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام: ﴿ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ (٥٥يوسف).

وبقي جزء واحد فقط وهو الذي يحتاج إلى تكاتف الجهود من

٨٠ صحيح مسلم وأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه

الدولة بكل أجهزتها، ومن الآباء، فالحرب التي شنتها علينا إسرئيل وأمريكا وغيرهم، وركَّزوا فيها على السموم البيضاء، وكل أنواع المخدرات، فإسرائيل تُلقي بالمخدرات في صحراء سيناء مجانًا، ليأخذها التجار ويُدخلونها لمصر ويبيعونها، وكذلك تأتي من ليبيا، وهذه هي الطامة الكُبرى التي نريد أن نحفظ شبابنا منها.

لأنك لو بحثت لوجدت السبب الأساسي لكل مشاكل الشباب هذه السموم، إن كانت حبوب الهلوسة، أو البانجو، أو غيرها من أنواع الكيماويات التي يطلقون عليها كل يوم اسم جديد.

هذه السموم هي التي تُوجد المشاكل الكُبرى، وهم الذين صدَّروها لنا ليُهلكون شبابنا بها.

فلو حفظ الله شبابنا من هذه الأدواء، لن تقوم دولة في الأرض أمامنا بفضل الله ﷻ ومدده النازل من السماء والخارج من الأرض إن شاء الله.

٦١. أسباب الإرتقاء فكريا

كيف نرتقي فكريًا؟

نرتقي فكريًا عمومًا بالعلم، ومزيد الاطلاع، ومزيد السماع للعلماء، ومزيد التنقيب في المراجع العلمية المعتمدة للعلماء.

فهذه سبيل الارتقاء فكريًا:

حصِّــل العلــم بعــزم صــادق   لا تكــن في العلــم كســلانا ملــول

ولذلك أفضل عبادة نفلية يتقرب بها العبد إلى الله مطالعة العلم النافع، والعلم النافع يعني العلم الذي ينفعه في تهذيب نفسه، وإصلاح خُلُقه، وطاعة ربه، وإحسان التعامل بين خلق الله، ويجلب له السعادة والحسنى والزيادة يوم لقاء رب الناس ﷻ، قال ﷺ:

{ سَاعَةٌ مِن عَالِمٍ مُتَّكِئٍ عَلَى فِرَاشِه يَنْظُرُ فِي عِلْمِهِ خَيْرٌ مِن عِبَادَةِ العَابِد سَبعِينَ عَامًا }[٨١]

وكلمة ساعة في كتاب الله أو في حديث رسول الله يعني لحظة!! فلحظة من عالم يطالع في كتابه وهو مضطجع على أريكته خير من عبادة سبعين سنة، لماذا؟ لأنه يزود الحصيلة العلمية، والشيطان والنفس لا يدخلان للإنسان إلا من باب هو جاهل به، لانه لو كان عارف سيسد هذا الباب، فيدخلون له من الباب الذي يجهله.

فإذا زاد علم الإنسان سدَّت الأبواب أمام النفس والشيطان التي يدخلون منها ليكيدوا لهذا الإنسان، ولذلك قال ﷺ:

{ مَوْتُ أَلْفِ عَابِدٍ قَائِمِ اللَّيْلِ صَائِمِ النَّهَارِ، أَهْوَنُ مِنْ مَوْتِ عَاقِلٍ، عَقَلَ عَنِ اللَّهِ ﷻ أَمْرَهُ، عَلِمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ، وَمَا حَرَّمَ عَلَيْهِ، فَانْتَفَعَ بِعِلْمِهِ، وَانْتَفَعَ النَّاسُ بِهِ، وَلو كَانَ لا يَزِيدُ عَلَى الْفَرَائِضِ الَّتِي فَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ كَبِيرَ زِيَادَةٍ }[٨٢]

٨١ كنز العمال، وفيض القدير شرح الجامع االصغير والديلمي عن جابر رضي الله عنه
٨٢ المطالب العالية لابن حجر واتحاف الخيرة للبوصيري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

لأن العابد لنفسه فقط، لكن العالم يُعلِّم الناس، ويُحذر الناس من مداخل الشيطان.

إذًا أفضل عبادة يتقرب بها العبد إلى مولاه بعد الفرائض العلم، إما أن يطالع، وإما أن يسمع، وأفضل العلم ما كان علمًا وهبيًا، يسمعه من العلماء بالله الذين قال فيهم الله: ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (الكهف).

وإذا كان الله تبارك وتعالى أمر نبيه الكريم الكليم وهو من أولي العزم أن يذهب إلى هذا العبد الرباني ليتلقى منه العلم، مع أنه ينزل عليه الوحي!!، ولكن ليُبيِّن لنا قدر تلقي العلوم الإلهية من أهلها الذين يتلقونها مباشرة من حضرة اللدنية، حتى نعرف أن هذه أفضل عبادة وأفضل قربى يتقرب بها العبد إلى مولاه ﷻ.

٦٢. بين التدبير والتخطيط

هناك حكمة تقول: ((لا تدبر لك أمرًا فإن أولي التدبير هلكى)) . ما التدبير الذي يهلك صاحبه؟

وهل هناك فرق بين التدبير والتخطيط؟

التدبير أن يعتقد الإنسان أنه معه العقل السديد، والرأي الرشيد، والقوة التي ينفذ بها ما يريد، وهذا ليس إلا للحميد المجيد تبارك وتعالى، فيستمسك الإنسان برأيه، ويُصر على تنفيذه، ويرى كل آراء غيره على غير صواب، ورأيه وحده هو الرأي الصواب الذي يجب على الجميع أن يسلِّم له ويتبعه.

لكن التخطيط أن يخطط الإنسان للحصول على ما يريد بواسطة الأسباب الإلهية إن كانت في حياتنا الدنيا، أو كانت في الآيات القرآنية، ويعلم علم اليقين أن الأسباب لا تفعل إلا إذا شاء مسبب الأسباب ﷻ.

فهو يخطط وينفذ ويعلم علم اليقين أنه إذا حدث له ما يريد فهذا فضل الله، وإذا لم يحدث له ما يريد فهذا خير له يراه الله، وإن كان هو لا يراه، وكما قيل فى الأثر: **((لو كُشف الحجاب لاخترتم الواقع))**[٨٣].

فالإنسان يخطط لأي عمل أي يضع خطة، والخطة لا بد أن تكون مبنية على القوانين العقلية، وعلى العلوم الكونية، ولا تتعارض مع مصالح الآخرين، ولا تخالف شرع رب العالمين، وبعد أن يضع الخطة يبدأ التنفيذ مستعينًا بالدعاء وطلب الله ﷻ ليعينه ويقويه على تحقيق أمنيته التي يريد تحقيقها، وهذا يُسمى التوكل على الله.

كان رجل آتيًا إلى رسول الله ﷺ وهو في مسجده المبارك يدرِّس العلم للصحابة المباركين، وكان راكبًا ناقته، فأراد أن يسعى سريعًا ويدخل لطلب العلم، فأناخ الناقة، وتركها ولم يعقلها، أي لم يربط رجلها وهي مثنية فلا تستطيع القيام، وبعد أن انتهى الدرس مع حضرة النبي خرج ولم يجد الناقة، فراح إلى النبي ﷺ وكأنه يُلصق تهمة ضياع الناقة للنبي!! أنا تركت الناقة واعتمدت على الله وعليك ....!!

---

٨٣ وقيل: (لو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع)، وقيل (لاخترتم ما قدره الله وأمضاه)، وهو من أقوال الصحابة ولا يعرف قائله.

ولم أجد الناقة ..!!

فقال ﷺ حكمته الخالدة:

{ اعْقِلْهَا وَتَوَكَّل }[٨٤]

واعقلها يعني خذ بالأسباب، ثم توكل بعد ذلك على مسبب الأسباب تبارك وتعالى، وهذا هو التوكل السديد ...

لكن أن يترك الإنسان الأسباب ويقول إني متوكل على الله، فهذا يسمى في ديننا متواكل، وهذه نزعة سلبية لا تقرها الآيات القرآنية ولا الأحاديث النبوية.

- كمن لا يفتح كتابًا للاستذكار، ويرجو النجاح في الامتحان!! فكيف ينجح وهو لم يفتح كتابًا ولم يذاكر؟!!
- وكمن يترك أرضه ولا يستزرعها بزرع، ولا يخدمها، ويريد أن تأتي له بمحصول وفير في آخر الموسم!! من أين؟!!

هل حرثتها؟! هل وضعت البذرة فيها؟! هل رويتها؟! هل قمت بالعمل الذي ينبغي نحو هذا النبات حتى تأخذ الحصاد المطلوب؟!! من لم يقم بهذا يسمى متواكلاً.

- وكذلك من يُصاب بمرض، ويقول كما يقول بعض الجهَّال: إن كان الله قدَّر لي الشفاء فسأشفى بدون الذهاب إلى

٨٤ جامع الترمذي عن أنس رضي الله عنه

طبيب أو تناول الدواء، وهذا مخالف لهدي النبي الذي يقول فيه ﷺ:

{ يَا عِبَادَ اللَّهِ، تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً }[٨٥]

وبيَّن الله ﷻ هذه الحكمة العالية مع سيدنا موسى كليم الله عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام:

فكما ورد ببعض الأثر أنه اشتكى يومًا من وجع أضراسه، ورفع أمره إلى الله، فأوحى الله إليه أن يذهب إلى أرض كذا، فإن فيها نبات هيئته كذا، وخذ منه وضعه على أضراسك تُشفي بإذني، فنفذ ما أوحي إليه وذهب إلى هذه الأرض ووضع النبات على أضراسه فشُفي في الحال، وبعد حين من الدهر عاوده وجع أضراسه، فظَّن في نفسه أنه عرف سر الدواء، فذهب إلى المكان الذي فيه النبات، ووضع من هذا النبات على أضراسه فزاد الألم!! فرجع إلى الله ﷻ، وقال: يا رب، أليس هذا هو النبات الذي أمرتني به في المرة الأولى وشفيت أضراسي، فلِم زاد الألم الآن؟! قال: يا موسى في المرة الأولى رجعت إلينا فوضعنا سر الشفاء في النبات، وفي المرة الثانية ذهبت إلى النبات ولم ترجع إلينا فنزعنا سر الشفاء من النبات!!.

إذًا التوكل على الله :

- أن يسعى الإنسان في الأسباب التي وضعها الله، والتي لا

٨٥ جامع الترمذي وسنن أبي داود عن أسامة بن شريك رضي الله عنه

تخالف شرع الله، ثم مع ذلك يدعو الله، ويسأل الله، ويستعين بالله، إذا مشى على هذه الوتيرة فهذه هي السُنَّة الواردة عن الحبيب المصطفى ﷺ.

٦٣. الأمل وبلوغ الأمنية

ما كيفية النية وبلوغ الأمنية؟

أهل الطريق الذي يعينهم على بلوغ المراد أن يكون لكل واحد منهم هدف عال عند الله، لا يريد منزلة دنية، ولكن يطمع في منزلة علية هنية، ويطمع أن يكون في جوار الحبيب المصطفى، ويطمع أن يكون من الذين ينظرون إلى وجه الله يوم القيامة، ويطمع أن يكون على منبر من نور قدام عرش الرحمن.

طمعه هذا يجعله يبحث عن الأسباب والأساليب التي توصله إلى هذه المنزلة، ولا يرتاح باله حتى تتحقق آماله، وهؤلاء قلة قليلة: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ (٢٤ص).

سيدنا علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه قال:

((الناس ثلاثة: عالمٌ رباني، ومتعلمٌ على سبيل النجاة - هذان الإثنان كلٌ منهما متعلم ليتعلم ويصل - وهمج رعاع أتباع كل ناعق)) [٨٦]كلما رأوا واحد في مكان يسارعوا

٨٦ (حديث موقوف) عَن كُمَيْلِ بْنِ زِيَاد، عنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبِ (ونوره كاملا لفائدته فى الموضوع) قال:: يَا كُمَيْلُ بْنَ زِيَادٍ، الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا، وَاحْفَظْ مَا أَقُولُ لَكَ: النَّاسُ ثَلاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ

ليسمعوه فقط، ولا شيء بعد ذلك!، ونحن ليس لنا شأنٌ بهؤلاء، لأننا نريد أن ندخل في ثُلةٌ من الأولين وقليلٌ من الآخرين.

فما الذي يُعين الإنسان على مراده؟ أن يكون له هدفٌ، مثلاً: ابني يريد أن يكون دكتورًا في الجامعة وهو يعزم على ذلك، فلا يحتاج أن أُوجِّهه، ولا يحتاج أن أحثُّه على المذاكرة، ولا أن أتابعه، فهو يتابع نفسه لأنه يريد أن يصل إلى هذا المقام.

لكن إذا كان ابني بليدًا، وأنا أُريد أن أجعله مُعيد، فهل أستطيع ذلك؟! لا، ولو أتيته بكل أساتذة الجامعة كلهم فلن يستطيعوا أن يصنعوا معه شيئًا، لأن الأصل كله في قصد الإنسان وهدفه.

عندما نزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾ (١٥٢آل عمران) سيدنا عبد الله بن مسعود

يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ، وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ، الْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الْعَمَلِ، وَالْمَالُ تُنْقِصُهُ النَّفَقَةُ، وَمَحَبَّةُ الْعَالِمِ دَيْنٌ يُدَانُ بِهَا، الْعِلْمُ يُكْسِبُ الْعَالِمَ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ، وَجَمِيلَ الأُحْدُوثَةِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَصَنِيعَةُ الْمَالِ تَزُولُ بِزَوَالِهِ، مَاتَ خُزَّانُ الأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ، أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ، هَاهْ، إِنَّ هَهُنَا وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ عِلْمًا لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً، بَلَى أَصَبْتُهُ لَقِنًا غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ، يَسْتَعْمِلُ آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا، يَسْتَظْهِرُ بِحُجَجِ اللَّهِ عَلَى كِتَابِهِ، وَبِنِعَمِهِ عَلَى عِبَادِهِ، أَوْ مُنْقَادًا لأَهْلِ الْحَقِّ لا بَصِيرَةَ لَهُ فِي إِحْيَائِهِ، يَقْتَدِحُ الشَّكَّ فِي قَلْبِهِ، بِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ، لا ذَا وَلا ذَاكَ، أَوْ مَنْهُومٌ بِاللَّذَّاتِ، سَلِسُ الْقِيَادِ لِلشَّهَوَاتِ، أَوْ مُغْرًى بِجَمْعِ الأَمْوَالِ وَالادِّخَارِ، وَلَيْسَا مِنْ دُعَاةِ الدِّينِ، أَقْرَبُ شَبَهًا بِهِمَا الأَنْعَامِ السَّائِمَةِ، كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ، اللَّهُمَّ بَلَى لا تَخْلُو الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ، لِئَلا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ، أُولَئِكَ هُمُ الأَقَلُّونَ عَدَدًا، الأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا، بِهِمْ يَدْفَعُ اللَّهُ عَنْ حُجَجِهِ، حَتَّى يُؤَدُّوهَا إِلَى نُظَرَائِهِمْ، وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الأَمْرِ فَاسْتَلانُوا مَا اسْتَوْعَرَ مِنْهُ الْمُتْرَفُونَ، وَأَنِسُوا مِمَّا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَنْظَرِ الأَعْلَى، أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي بِلادِهِ، وَدُعَاتُهُ إِلَى دِينِهِ، هَاهْ، هَاهْ، شَوْقًا إِلَى رُؤْيَتِهِمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكَ، إِذَا شِئْتَ فَقُمْ"

بكى، فقالوا: لم تبك؟

قال: ما كنت أظن أن في أصحاب رسول الله من يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية[٨٧]!، كان يظن أنهم كلهم يريدون الآخرة.

الشيخ أبو اليزيد البسطامي سمع القارئ يقرأ هذه الآية فصرخ وأُغمي عليه، وبعد أن أفاق قالوا له: لم صرخت؟ قال: أما سمعتم هذا العتاب؟! قالوا: أي عتاب؟ قال يقول الله تعالى: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾ فأين من يُريدني؟!

انظر إلى هذا المقام العالي، يعني يقول: أنتم تريدون الدنيا والآخرة فقط، وأين أنا؟!.

فالأمل هو الذي يدفع الإنسان للعمل:

فإن لم يوجد أمل فلماذا يعمل؟! ولماذا يشتغل؟! أما الذين اشتغلوا بدنياهم - نسأل الله الحفظ والسلامة - فهؤلاء وجدوا أن أسهل طريق لتحصيل الدنيا هو طريق الآخرة، يتظاهر بأنه من طلاب الآخرة، ومن أهل الآخرة فتثق الناس فيه، ويعطوه الدنيا بسخاوة نفس وبسلامة صدر، مع قوله ﷺ:

﴿ الدُّنيا ملعونَةٌ ملعونٌ ما فيها إلاّ ذكرَ اللهّ وما والاه،

---

٨٧ وفى تفسير الآية بالطبرى وغيره أوردوا كلام ابن مسعود بروايات كثيرة قال ابن مسعود : ما كنت أظن في أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ أحدا يريد الدنيا؛ حتى قال الله ما قال، و روى قال ابن مسعود لما رآهم وقعوا في الغنائم: ما كنت أحسب أن أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى كان اليوم، وفى رواية ما شعرت أن أحدا من أصحاب النبي ﷺ كان يريد الدنيا وعرضها ، حتى كان يومئذ .

وعالمٍ أو مُتعلّمٍ ﴾[٨٨]

فالنية هي التي تُبلِّغ الأمنية ..

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه.

٦٤. الأرزاق بالنيات

نرجو توضيح القول المأثور ((بنياتكم تُرزقون))؟

بالنسبة لثواب الأعمال عند الله ﷻ، فالثواب يتوقف على نية المرء قبل العمل، قال ﷺ:

﴿ إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ﴾[٨٩]

فأجره وثوابه على قدر نيته التي نواها لله ﷻ، مثلاً:

كلنا نذهب إلى المسجد:

- لكن من الناس مَن ينوي نية واحدة وهي أداء الصلاة، فيأخذ أجر أداء الصلاة.
- ومن الناس من ينوي عند ذهابه إلى المسجد مغفرة ذنوبه التي قد يكون قد ارتكبها قبل الصلاة، وأداء الصلاة في جماعة ليتأكد من القبول عند الله، ومناجاة الله، والدعاء بما

٨٨ جامع الترمذي والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه
٨٩ البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

يُحبه ليقضيه ويستجيبه له الله، فيأخذ الثواب على قدر نيته، وكلما زادت النيات كلما زادت المثوبات.

ولذلك جهاد الصالحين في تكثير النوايا قبل كل عمل، وكلها لرب العالمين، وكان بعضهم يقول:

إني لا أخرج من بيتي حتى أستجمع سبعين نية كلها لله ﷻ.

فثواب الأعمال بالنيات، والأرزاق الإلهية إن كانت حسية أو معنوية تتوقف على نية المرء التي يطَّلع عليها في قلبه رب البرية ﷻ.

فإذا زرع الزارع زرعًا ونوى أن يجعل فيه طُعمة للفقراء والمساكين، فإن الله يبارك له في هذا الزرع ويجعل الصدقة التي سيُخرجها خارج رزقه المقرر له من رب العالمين زيادة من عند الله ﷻ: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ (١٥٨الأعراف).

وإذا نوى نية سيئة؛ أن يحرم الفقراء والمساكين من هذا الزرع:

فقد يحصُل له كما حصل لأصحاب الجنتين الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى في القرآن، فقد كان أبوهم رجل صالح يدعو الفقراء عند حصاد زرعه، ويُعطيهم الثُلث ويأخذ لبنيه الثُلث، والثلث الثالث يجعله لتكاليف الزراعة، فلما مات الرجل قال الولد الأكبر: لا تُخبروا المساكين بوقت الخروج للحصاد ونخرج سرًا، فلما ذهبوا وجدوا الحديقة كما قال الله ﷻ: ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾ (القلم) والصريم يعني الأرض المحترقة،

كأنه شبَّ فيها حريق أهلك كل الزرع، فلا هم انتفعوا بها، ولا الفقراء انتفعوا بسبب سوء النية.

فإصلاح النية يكون فيه إصلاح الأعمال من رب البرية ﷻ.

ولذلك ينبغي على المؤمن أن ينوي نية طيبة عند كل عمل يُحقق الله له في هذا العمل.

٦٥. العطايا والبلايا

هل العطايا تعقب البلايا؟ والمحنة يعقبها منحة؟

قيل للإمام الشافعي رضي الله تبارك وتعالى عنه: أيهما أفضل البلاء أم العطاء؟ قال: لا بد للعطاء أن يسبقه بلاء، وهذا أمر الله الذي أشار إليه في كتابه ﷻ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ (البقرة) وماذا يكون عطاؤهم؟ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (البقرة).

فأي منحة من الله ﷻ لا بد أن يسبقها امتحان، فأنت تريد أن تحظى بالروضات العالية في الجنان، إذاً لا بد أن تمنع جوارحك عن معاصي الله، وتُقيم بها الفرائض التي فرضها عليك الله، حتى تستحق هذه الجائزة، وهي دخول جنة الله ﷻ: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ (العنكبوت) فلا بد من امتحان.

والدنيا كلها قال في شأنها الرحمن: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ ﴾ أي ليختبركم، بماذا؟ ﴿ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ ﴾ (الملك) فالحياة وكل ما فيها اختبار إذا لم ينجح المرء فيه، وعطاء إذا اجتازه الإنسان بمعونة خالق الأرض والسماء، إذا نجح في الاختبار له هذا العطاء.

كل ما في هذه الدار كما قال الله ﷻ: (لِيَبْلُوَكُمْ) (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ) كلها اختبار، فإذا تغلب الإنسان على نفسه وهواه، ولم يستمع إلى وساوس الشيطان، واتبع النبي العدنان ﷺ وأصحابه الحسان، فاز في الامتحان وأخذ العطاء عاجلاً وآجلاً من حضرة الرحمن ﷻ.

٦٦. خليفة الله في الأرض

هل الإنسان خليفة الله؟ وما حقيقة الاستخلاف؟ لأن البعض انكر ذلك وادعى أن معنى خليفة في الأرض أي يتناسل.

أثبت القرآن بما لا شك فيه أن الإنسان الكامل؛ الأنبياء والمرسلين ومن هم على شاكلتهم ومنهجهم وهديهم هو الخلافة عن الله ﷻ، وقال الله تعالى في ذلك: ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ

ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (البقرة) ثم بيَّن مؤهلات الخلافة: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة).

والكلام في القرآن واضح وضوح الشمس، وإن كان كثير من المفسرين أبعدوا في تفسير الأسماء، فقال بعضهم إن الله علَّم آدم أسماء كل شيء، حتى كذا وكذا وكذا على حسب أيام زمانهم، وبالطبع لم يذكروا الأسماء التي استجدت فى زماننا من المخترعات والمكتشفات والمصنوعات، وهذا شيء لا يوافق عليه العقل ولا يثبت في النقل.

لكن الصحيح أن الأسماء التي علَّمها الله له هي أوصاف الألوهية، وأسماء الحضرة الربانية، التي من تخلَّق بها كان صورة لأخلاق الله تبارك وتعالى في الكون، وكما ورد في بعض الأثر: ((**إن اللّه يحب من خَلْقِه من كان على خُلُقه**)).

من الناس من يتخلق بخُلق واحد من أخلاق الله، ومنهم من يتخلق بخُلقين، ومنهم من يتخلق بأكثر، والذي يتخلق بكل أخلاق الله ﷺ هو الخليفة عن الله في الأرض، استخلفه الله بأوصافه وأخلاقه العلية: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ (٢٦ص) فالخليفة هو داوود فقط، وليس كل البشر الذين كانوا حوله، لأنه كان متخلقا بأخلاق الله، ولذلك قال له موصيًا مع أخلاقه الإلهية: ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (٢٦ص).

إذًا الخلفاء عن الله هم الأنبياء الكُمَّل، والمرسلين أولي العزم، والورثة الكُمَّل الذين تخلقوا بالأخلاق الإلهية، وكانوا صورة من أخلاق

الله المرضية في حياتهم الكونية، يقول أحدهم:

فمائة من الآلاف عشرون بعدها　　مشارب رسل الله بالإجمال
فلي قد تجلت وبيَّ قد انجلت　　فسلِّم لنا تحظى بخير وصال

هذا الرجل جمع مشارب مائة وأربعة وعشرون ألف نبي!! إلى جانب التخلق بأخلاق الألوهية، وهذا سر الخلافة في الكون، لأنها ليست خلافة في الأرض فقط، وإنما تكون في الكون كله عاليه ودانيه بإذن الله.

٦٧. أول المسلمين والمؤمنين

ما الفرق بين أول المؤمنين التي وردت على لسان سيدنا موسى في القرآن:﴿ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٤٣الأعراف) وبين أول المسلمين التي وردت في قوله تعالى لسيدنا محمد: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾(١٦٢-١٦٣الأنعام)؟

سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام لما امتحنه الله وقومه، ودعاه الله ﷻ لمكالمته على جبل الطور، وطمع موسى في النظر إلى وجه الله: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ **(١٤٣الأعراف)** وكل من معه حدث لهم ذلك، فآمن وصدَّق وقال: ﴿ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ

(١٤٣) ﴾ (الأعراف) أنا أول المصدقين المؤمنين من هؤلاء بصنع الله وفعل الله وتقدير الله جل في علاه.

إذًا هو أول المؤمنين والمصدقين بما أخبره به رب العالمين عند اختباره وقومه الحاضرين معه من بني إسرائيل على جبل الطور.

لكن رسول الله ﷺ رسول المرسلين، والإسلام دين الأنبياء والمرسلين أجمعين، ولا يوجد دين غير الإسلام: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ (١٩آل عمران) أما اليهودية والنصرانية فهم الذين سموا أنفسهم، قالوا: ﴿ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ (١٥٦الأعراف) هم الذين قالوا وليس الله، والآخرين: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ ﴾ (١٨٢المائدة).

واليهود والنصارى أنبياؤهم من ذرية أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم، وسيدنا إبراهيم قال الله عنه في القرآن الكريم: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (١٣٢البقرة) فالدين من البدء إلى الختام هو الإسلام.

وكل قوم لهم رسول، فمن رسول هؤلاء المرسلين؟ سيدنا مُحَمَّد، فمن أول المسلمين من بدء الدنيا إلى يوم الدين؟ سيدنا رسول الله، فهو أول المسلمين لأنه رسول المرسلين ونبي النبيين ﷺ.

فكل المرسلين تعلموا من حضرته، وهم نوابًا عنه في دعوته، وكلهم صدَّقوا به وآمنوا برسالته، فهو أول المسلمين عند رب العالمين من بدء الدنيا إلى يوم الدين.

٦٨. الحكيم والعالم

ما الفرق بين الحكيم والعالم؟

الحكيم:

- هو الرجل الذي يُصيب الحق في قوله وعمله وفعله ومشورته:

  - يعني إذا نطق ينطق بالصواب، لأنه يتمعَّن ويتفكَّر قبل أن يخرج منه الكلام.
  - وإذا عمل يعمل الموافق لما جاء في القرآن والسُنة، لأنه يتحرى قبل العمل الدقة في أن يكون عمله موزوناً بالقرآن والسُنة.
  - وإذا أُستشير يُفكر مليًا ويستخير الله وينظر بالنور الذي آتاه به مولاه لكي يكون أمينًا في مشورته لقوله ﷺ: ﴿ إِنَّ الْمُسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ ﴾[٩٠]

فتخرج منه المشورة تُصيب كبِد الحقيقة، وهذا اسمه الحكيم الذي يُصيب في الفعل والقول والمشورة وكل أمر.

وهذا يكون عَمِل بما عَلِم فمنحه الله ﷻ من عنده علم الحكمة: ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ (٢٦٩البقرة).

٩٠ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي هريرة ﷺ

أما العالم:

فهو الذي حصَّل العلم في أي مجال، فمن حصَّل علم الفقه صار فقيهًا، ومن حصَّل علم التفسير صار مفسرًا، ومن حصَّل علم الحديث صار محدثًا، ومن حصَّل أي فرع من فروع العلم أصبح عالمًا في هذا الفرع من فروع العلم، فالعالم يُحصِّل العلم في الفرع الذي يتخصَّص فيه، إن كان علمًا دينيًا، أو علمًا طبيعيًا، أو أي علم من علوم المعرفة، فكلها علوم.

ففرقٌ كبير بين العالم الذي يُحصِّل العلوم، وبين الحكيم الذي علِم وعمل فوهبه الله الحكمة من عنده.

٦٩. مسّ الشيطان للأتقياء

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ (٢٠١الأعراف) كيف يكونوا أتقياء ويمسهم طائف من الشيطان؟

الآية القرآنية تحذيرٌ صريح لكل مؤمن ولكل مؤمنة، إياك مهما وصلت من عليِّ المقامات، وارتفعت وارتقيت في القرب درجات ودرجات، أن تعتقد أنك سلمت من وسوسة الشيطان والنفس، لأن وسوسة الشيطان والنفس لا تنتهي إلا مع خروج النَفَس الأخير، ولهم حِيلٌ يعجز عن معرفتها كثيرٌ من البشر.

فالشيطان يحاول أن يجر الإنسان إلى المعاصي، فإذا وجد عنده

صدود عن المعاصي وحفظه الله منها، يحاول أن يدخل له عن طريق الطاعات، فيُحبِّب إليه الإكثار من الطاعات ولكن يجعله يغترّ بهذه الطاعات، ويرى أنه أفضل من غيره بما يؤديه من هذه العبادات.

قد يكون حريص على عدم الوقوع في هذا الباب، فيدخل له من باب آخر، فيجعله يطمع أن يكون من الصالحين وله كرامات، ويُخيِّل له في بعض الأعمال التي فيها توفيق من الله له أنها كرامات، ويجلس مع الناس يتحدث بأن الله أكرمه بكذا وكذا وكذا ويريد أن يعتقد الناس فيه ولاية الله، وأنه وليٌّ من الأولياء، ويعظموه ويكبروه، ولا مانع أن يبنوا له ضريحاً ويزوروه، وهي كلها من الشيطان، فالشيطان لا يترك الإنسان.

والنفس كذلك لا تترك الإنسان ما دام فيه نَفَسٌ يتردد في الحياة الدنيا حتى يخرج إلى لقاء الرحمن ﷻ، وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ: **((جهاد النفس لا ينتهي حتى مع كُمَّل الصالحين إلا مع خروج النَفَس الأخير))**. .. كيف يكون ذلك؟ أضرب مثالاً واحدًا: رجل من الصالحين أقامه الله، ويُربِّي وأصبح له مريدين، وينبغي عليه أن يستخلف بعده أعلى المريدين في المقام، وليس شرطًا أن يكون ابنه الصُلبي، فإذا ضحكت عليه النفس والشيطان وقال: لن يجتمع الناس إلا على ابني، وعقد الولاية لابنه في هذا المجال، فمن الذي سوَّل له هذا الأمر؟ الشيطان والنفس مع أنه من كُمَّل الصالحين.

فهذه الآية تعرفنا أن الإنسان لا يركن إلا إلى حضرة الرحمن، ولا يعتقد في يوم من الأيام أنه انتهى من جهاد النفس، أو انتهت معه

عداوة الشيطان: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ (٦فاطر) هذه العداوة هل إلى سن الستين أو السبعين فقط أو لها مدة محددة؟ لا، حتى ولو تجاوز المائة سنة فالعداوة مستمرة إلى أن يخرج من هذه الحياة.

إذًا لا يأمن الإنسان للنفس ولا للشيطان، وإن كان في حُضن النبي العدنان، وفي رعاية حضرة الرحمن ﷺ.

٧٠. الانترنت والعبادة

يقضي الشباب معظم أوقاتهم على الشبكة العنكبوتية (الانترنت) فكيف يجعل هذه الأوقات عبادة وطاعة للّه؟

شبكات التواصل الحديث مثل أي أمر من الأمور، سلاح ذو حدين، إما أن يُهلك من يستخدمه، إذا استخدمه في اللهو أو في اللعب أو في المجون أو فيما يغضب الله تبارك وتعالى، وإما أن يكون مجاهدًا في سبيل الله، جهاد يسَّره الله تبارك وتعالى لنا لو ظهر لأصحاب حضرة النبي لغبطونا عليه.

فأنت تستطيع وأنت في بيتك وفي حجرتك مع التكييف أو المروحة أو المدفأة أن تدعو كل من في الوجود إن كان في روسيا أو اليابان أو أمريكا أو غيرهم إلى الله تبارك وتعالى، فتوضح له حقائق الإسلام، وتوضح له حقائق نبي الهدى، وتدعوه إلى هذا الدين القويم بالحكمة والموعظة الحسنة.

وتستطيع عن طريق هذه الأدوات أن تصل رَحِمك، وتتواصل معهم، إما بالكلام، وإما بالرسائل، وهذا نوع من صلة الأرحام يسَّره الله لنا في هذه الأيام.

وتستطيع أن تراسل إنسان وتراه ويراك وتكلمه ويكلمك وهو في مكان بعيد، ولكنه قريب بالنسبة لك بسبب هذه الوسائل الطيبة.

وتستطيع أن تشارك إخوانك المؤمنين في مناسباتهم المختلفة، فتُعزِّي من أخبر على الفيس أن أباه أو أخاه أو قريب له قد مات، وتبارك لمن عنده زواج لابنه أو ابنته أو نجاح لولده.

وتستطيع بعد ذلك عن طريق هذه الوسائل العصرية أن تقتبس معلومات من العلماء العاملين، ومن كل أنواع الكتب من بدء الكتابة إلى يومنا هذا!! فالكُتب موجودة كلها على النت!.

لو كان عندك مكتبة وأردت أن تبحث عن موضوع ما، فإنك ستستغرق وقتًا طويلاً، لكنك على الانترنت بمجرد أن تضع معلومة وتريد مصدرها، وفي أي كتاب، ورقم الصفحة، فإنك تحصل على ذلك في لحظة!!.

وأنا كنت قبل هذه الوسائل الحديثة أخرّج الأحاديث في الكُتب التي أكتبها، فكنت أحيانًا أقطع الليلة كلها أقرأ في كُتب الحديث ولا أُخرّج إلا حديث واحد!!، لكن الآن حتى لو سُئل الإنسان عن أي حديث، يكتب أي كلمة من الحديث على الانترنت فيأتيه في لحظة أنه في البخاري مثلاً في صفحة كذا، وفي مسلم في صفحة كذا، ونصه

كذا، ويأتيه بكل الكتب التي فيها هذا الحديث في لحظة وأقل!!، تيسيرًا لنا جماعة المؤمنين حتى نعلم حقائق الدين بسرعة غريبة وعجيبة يسَّرها لنا رب العالمين ﷻ.

إذًا الوسائل العصرية الحديثة وسيلة لتنمية الصداقات، ووسيلة لتبادل الآراء بالأدب الشرعي، ووسيل لزيادة العلم، ووسيلة لتخريج الأحاديث، ووسيلة لمعرفة تفسير الآيات القرآنية في كل كتب التفسير التي ظهرت، ووسيلة للدعوة إلى الله ﷻ.

وأنا لي مقولة أقولها وأمري إلى الله: لو تعامل الناس مع أهليهم وذويهم كما يتعاملون مع من في الفيس بوك لانصلحت أحوال مجتمعنا جميعًا!!.

لو قال الرجل لزوجته ما يقوله لغيرها على الفيس لم يحدث مشكلة بينهما، ولو أخرجت الزوجة مكنون صدرها لزوجها كما تُخرجه في الفيس فلن يحدث مشاكل بينهما.

نجد على الفيس الذوق الرفيع، والكلام البديع، وكلنا نحتاج إلى هذا الآن في مجتمعنا، لماذا لا يظهر هذا الذوق الرفيع إلا للآخرين على الفيس؟!!

مع أنهم ربما يكونوا خيالات غير حقيقة، فمثلاً كثير من النساء في بلادنا والبلاد الإسلامية يضعون على صفحاتهم على الفيس صورة لممثلة من هوليود مثلاً، وأنت لا تعرفها، وأنت تظن أن صاحبة الصفحة هي صاحبة الصورة، فتتغزل فيها وتُثني عليها وتواصلها على

أنها هي صاحبة الصورة، مع أنك ربما لو رأيتها على الحقيقة ستَغرب بوجهك عنها!!.

لكن لو أن الألفاظ التي ترددها، والكلمات التي تكتبها وتراعي فيها الذوق الرفيع والأدب البديع على الفيس:

استخدمتها مع أهل بيتك، ومع إخوانك، ومع أحبابك فلن يكون هناك مشكلة بيننا!!.

يا ليتنا نطبق المعاملة مع بعضنا كالمعاملة على الفيس بوك!

فالمعاملة على الفيس معاملة راقية، هذه المعاملة الراقية ليتنا نتعلمها ونطبقها عمليًا مع بعضنا، لأننا عندما نتعامل وجه لوجه تأتي المعاملة البعيدة بالكلية عن الذوق الرفيع والأدب البديع الذي كان عليه الحبيب الشفيع ﷺ.

إذًا كل شيء في الدنيا له جانب سيئ وجانب مضيئ، فالتلفزيون أنت الذي تقرر ما تشاهده، فأنت تُمسك بالريموت وإذا أردت مشاهدة أفلام فإنك تأتي بقنوات الأفلام، وإذا أرت أن تسمع درس علم فإنك تأتي بالقنوات الدينية، وإذا أرت أن تسمع قرآن فإنك تأتي بالقنوات التي عليها قرآن، فمَن الذي يتحكم فيه؟ أنت، فلا تأتي بالعيب على التلفزيون، وتقول أن التلفزيون شيطان في البيت، وهل هناك شيطان يقرأ قرآن؟!! لكن أنت الذي تجعله شيطان، أو ملك من ملائكة الرحمن ﷻ!!.

وهكذا الفيس وغيره نفس الكيفية، ونحن والحمد لله نستخدمه

وسخرناه للدعوة الإسلامية، وأتى بثمار طيبة لا تخطر على البال، فنحن نتكلم معكم الآن، ويشاهدنا عدد لا حصر له في كل بقاع الأرض، فالتلفزيون محكوم بالأقمار، ونحن نتبع الأقمار العربية كالنايل سات والعرب سات، فلا يرى قنواتنا من في أوربا أو أمريكا، لكن على الفيس بوك يرانا كل من في الأرض، إن كان في أمريكا أو اليابان أو في الصين أو في أي مكان في العالم.

بعض الدروس يحضر معنا حوالي خمسين أو ستين شخص، لكن على الفيس نجد عدد المشاهدين عدة آلاف ومن كل أنحاء العالم.

فأنت في مكانك تبلغ الرسالة إلى كل أنحاء العالم، وهذا فضل من الله في تيسير إبلاغ دعوة الله ﷻ.

ناهيك عن معرفة الأخبار في نفس اللحظة والتو، وأشياء كثيره لا نستطيع حصرها لأنها تحتاج إلى بحث طويل في هذا المجال الكبير.

٧١. الفتور في الطاعة

ما كيفية علاج الفتور في الطاعة؟

من رحمة الله تبارك وتعالى بنا أن الإنسان مهما كانت عزيمته، ومهما كانت قوة إرادته، ومهما كان جهاده لنفسه، لا يستطيع أن يستديم على طاعة الله ﷻ إلا بمعونة الله وتوفيق الله، فلو عزم إنسان على طاعة محددة لله واستمر عليها، فإن الله ﷻ يقيض له بعض آنات يسهو أو ينسى أو لا يستطيع القيام بها، حتى يعلم أنه لا قيام له

بالطاعات إلا بمعونة الله وتوفيق الله.

لأنه لو استطاع القيام بها على الدوام سيحدث له غرور، ويعتقد أنه هو الذي يعمل، وقد يظن – ونسأل الله الحفظ والسلامة – أنه يمن على الله بعمله، ويقول: أنا أعمل لك كذا وكذا ، والعمل لا يتم إلا بتوفيق الله ومعونة الله ﷻ، ولذلك قال ﷺ:

{ لِكُلِّ عملٍ شِرَّةٌ، ولِكُلِّ شِرَّةٍ فَترةٌ، فمن كانَت فَترتُهُ إلى سنَّتي، فَقد أفلحَ، ومَن كانت إلى غيرِ ذلِكَ فقد هلَكَ}[91]

وشرةٌ يعني إقبال شديد على الطاعات، وفترة يعني وقت يجد نفسه متخاذل فيها ومتخلف فيه عن أداء ما كلَّف نفسه به من الطاعات، فيرجع إلى الله ويطلب من الله المعونة، ويطلب من الله المساعدة، ويطلب من الله القوة وهذا المطلوب.

وهنا يحدث للإنسان أمرين، هذه الفترة التي تحدث له، البعض تضحك عليه نفسه ويقضيها في بعض الراحات والأشياء المباحات، فيقول: هذه الأيام أستريح فيها بعض الشيء وأُشاهد التليفزيون، أو أجلس بعض الوقت على الكافيهات لأشاهد الناس المارة في الشوارِع، أو أجالس أصحابي الذين تركتهم من فترة طويلة، فإذا فعل ذلك يُخشى عليه.

فماذا يفعل؟ إذا وجد ذلك فورًا يبحث عن الصالحين، وعن إخوانه المتقين، ولا يترك مجالستهم طرفة عين، حتى يُغير الله حاله

٩١ مسنداحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

ويُنهضه حالهم، لأن حال هؤلاء سيرفعه وينفعه، فيتغير حاله إلى أحسن حال.

ولذلك عندما كنا صغار كنا دائماً مع بعضنا نعرف هذا الكلام، يقول أحدنا: حدث لي فتور، ولي فترة لا أستطيع أن أقوم لصلاة الفجر، ولا أُصلي قيام الليل الذي تعودتُ عليه، فماذا أفعل؟

نقول له: اذهب للشيخ واعرض حالك عليه، أو انظر إخوانك الصادقين الصالحين وجالسهم وآنسهم ولا تفارقهم، وهذا هو العلاج الوحيد لهذا الأمر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾ (التوبة) !!!

فهذا هو علاج الفترة والكسل والتراخي والملل وهو مصاحبة أهل الجد والاجتهاد، وأهل طاعة الله ﷻ على الدوام، وأهل الأحوال العالية لأنهم يرفعونني بما آتاهم الله إلى المقام العالي بإذن الله تبارك وتعالى.

٧٢. الشكوى للغير

ما معنى قول الامام علي ﷺ وكرم الله وجهه:

((مَنْ شَكَا الْحَاجَةَ إِلَى مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّهُ شَكَاهَا إِلَى اللهِ، وَمَنْ شَكَاهَا إِلَى كَافِرٍ فَكَأَنَّمَا شَكَا اللهَ[٩٢].))؟

يعني لو شكوت حاجتي لمؤمن تقي نقي إنما ليدعو الله لي،

٩٢ نهج البلاغة ، الحكمة ٢٤٢

لأني أرى أنه أقرب لقبول الدعاء مني، وليست شكوى تبرم، أو شكوى ضيق، وهذا غير الذي يشكو الله، ويقول: لماذا فعلت لي كذا وكذا؟! ويحدث له ضيق وتبرم.

لكن أنا أقول: يا فلان أنا حامد الله على كل حال، ولكن الله ابتلاني بكذا، وأنا لا أستطيع أن أتحمَّل، فادعُ الله لي أن يكشف عني هذا البلاء ويشفيني، فهل في هذا شيء؟ لا، مثل الذي يذهب للطبيب، فيشكو له حالته، حتى يُشخِّص له الطبيب الداء ويكتب له الدواء، فهذه ليست شكوى الله.

فالشكوى للطبيب، والشكوى للمؤمن التقي النقي ليس فيها شيء، أو الشكوى لمن حولي ليأخذوني إلى الطبيب، فأقول لهم: يا أولادي أنا مريض فخذوني إلى الطبيب، فهذه ليست شكوى.

لكن الشكوى التي تكون على سبيل الضيق والتبرم وعدم الرضا بقضاء الله ﷻ.

٧٣. علاج الغضب

يتعرض الإنسان لمواقف تجعله يغضب ! فما العلاج؟

الروشتة موجودة: الإنسان إذا أدام ذكر الله تحدث له وُسعةٌ قلبية، فإذ أغضبه أحدٌ سيكون معه كظم الغيظ: ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ ﴾ (١٣٤آل عمران) وإذا زاد في ذكر الله، سيكون معه العفو عن

الناس: ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ (١٣٤آل عمران) فإذا زاد في ذكر الله يُحسن إلى من أساء إليه: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤ ﴾ (آل عمران)

فالروشتة في المداومة على ذكر الله، والروشتة واضحة كما قال الله في القرآن: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ ﴾ (٩٧الحجر) وما العلاج؟ ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩ ﴾ (الحجر).

فهذه هي الروشتة التي تجعل الإنسان لا يغضب لنفسه، وإنما يغضب إذا انتهكت محارم الله تبارك وتعالى، كرسول الله ﷺ.

إذًا كثرة التسبيح، وكثرة ذكر الله، والمداومة على السجود بين يدي الله، والعبادة الخالصة لله، كل هذه تعمل على وُسعة الصدر، فيصبح الإنسان كالبحر يلقون فيه الجِيَف، ولا تُغيِّر رائحته، أو طعم مياهه!! فكذلك عندما يداوم الإنسان على ذكر الله يتسع صدره حتى يكون كالبحر، يقولون مهما يقولون فيه ولا يتغير شيء عنده!!.

سيدنا خالد بن الوليد ﷺ وأرضاه كان ماشياً في الطريق فتبعه رجلٌ وأخذ يسُبُّه ويشتمه، فقال له: ((فإنما هي صحيفتك، فاكتب فيها ما شئت)) اكتب في صحيفتك ما تشاء، ولكن صحيفتي أنا محافظٌ عليها!!، أرأيت الأناقة؟!! كله في صحيفته، أما أنا فلا أكتب في صحيفتي إلا ما يحبه الله تبارك وتعالى وما يرضاه.

هل نعجز يا أحبة أن نكون في الدرجة الأولى (والكاظمين الغيظ)؟!! نحن يجب أن نكون عند: (والله يحب المحسنين) نتدرب حتى

نصل إلى هذه الدرجة، ولكن كثير منا غير قادرين إلى الوصول حتى إلى (والكاظمين الغيظ)!!.

وكظم الغيظ يكون في أي أمر يسبب لي ضجر، إن كان من أولادي، أو من زوجتي، أو من جيراني، أو مع من أعيش معهم، فهي الأمور التي نخرج فيها عن الطور ويُهيأ إلينا أننا لم نُخطئ ولم نفعل شيئًا، فأنا أتحسَّب مع الآخرين في الخارج، لكن الذين معي بالداخل لا أعبأ بهم، وكأنني ليس لي حساب عن هذا الأمر!!.

فمن أول من أنت مُطالبٌ بإرضائهم؟ من تعيش معهم، مَن أول من آمن برسول الله؟ زوجته السيدة خديجة، وأولاده، ومن كان يعيش معه كسيدنا علي وزيد بن حارثة.

فلا بد للإنسان أن يكون على هذه الصورة الواقعية التي رسمها لنا حضرة الرحمن ﷻ، كيف؟ بالمداومة على ذكر الله، ونحن جميعًا لا عُذر لنا في ترك ذكر الله طرفة عين ولا أقل، فما العُذر الذي ستقدمه لله في اللحظة التي تمر بك ولم تذكر فيها الله؟! وماذا تقول له؟! هل تقول له اللسان كان واقفًا، ولم تكن باللسان قوة ليتحرك بها؟!! إذا كان واقفًا اذكر بالقلب، هل كنت ناسي؟ قال: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ (٢٤الكهف) فلا عُذر للإنسان في ترك ذكر حضرة الرحمن طرفة عين ولا أقل.

كم مرة تريد منا يا رب أن نذكر؟ قال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ ﴾ (الأحزاب) وما حدود (كثيرًا)؟ ليس لها نهاية، هل يستطيع أحدٌ منا في يوم من الأيام أن يدخل في قوله تعالى:

﴿ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾؟ لا يستطيع أحدٌ، لأن (ذكراً كثيراً) قال فيها الصالحون: الذكر الكثير الذي يصل إلى درجة أن كل أعضاؤه الظاهرة والباطنة تذكر الله في وقت واحد!.

فالعين تذكر، والأُذن تذكر، والأنف يذكر، واليدين تذكر، والرجلين تذكر، وكل عُضوٌ فيك يذكر الله ﷻ، وهذا لمن وصل للذكر الكثير.

لكن الذكر باللسان فقط فهذا ذكرٌ قليل، لأنه عُضو واحد الذي يذكر، وعندما نحسب أوقات الصلاة في اليوم هل ستتعدى ساعة؟! لا، فذكر الله هو العلاج لنا في كل الأحوال التي يشكوا منها خلق الله، والذي به تهذيب الأخلاق، ورفعة القدر والمقدار، وبلوغ درجات الشرف الأعلى مع الأحبة؛ محمدٌ رسول الله ﷺ وحزبه.

نسأل الله تعالى أن يجعل نطقنا ذكرًا، وصمتنا فكرًا، ونظرنا عبرًا، وأن يجعلنا من عباده الذاكرين الشاكرين الفاكرين الحاضرين بين يديه في كل وقت وحين.

٧٤. وسواس الشك

يأتيني وسواس متكرر في رأسي لا يليق في حق الله ورسوله رغمًا عني، وأستغفر الله منه، وأحمد الله على نعمة الإسلام فما الحل لهذه المشكلة؟

هي روشتة بسيطة وصفها حضرة النبي ﷺ الطبيب الأعظم

لمن يعاني من هذه الحالة، ولكي تطمئنوا كان الذي سأل النبي هو سيدنا أبو بكر الصديق، فسيدنا رسول الله قال له: قُل في سجودك في الصلاة:

{ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لا أَعْلَمُ }[٩٣]

والدعاء الثاني: (سبحان الملك القدوس) يكرره الإنسان مائة مرة صباحًا، ومائة مرة مساءًا، ومع تكرار هذا الدعاء تذهب هذه الحالة، ويستقر الإنسان، ويكون قريبًا من الرحمن على الدوام.

٧٥. العرق دساس

نرجو توضيح قول الرسول ﷺ:
{ تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس }؟

كثير من الشباب يسألني: أنا أريد الزواج، فمن اختار؟ فأقول له: إذا أردت السعادة فابحث عن بيت أهله مطعمهم من حلال وخذ بنتهم، لأن هذه البنت بنت حلال، فتحافظ على طاعة الله، وتستحي لأن الحياء من الإيمان، وتستحي أن تعصى الله، وتستحي أن تخالف زوجها، وهذا ما أمرنا به رسول الله وقال:

{ تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ }[٩٤]. وفي رواية أخرى:

٩٣ البخاري في الأدب المفرد وجامع الترمذي عن معقل بن يسار رضي الله عنه
٩٤ سنن ابن ماجة والحاكم عن عائشة رضي الله عنها

{ وَانْظُرْ فِي أَيِّ نِصَابٍ تَضَعُ وَلَدَكَ فَإِنَّ الْعِرْقَ دَسَّاسٌ }[٩٥]

لكن كثير من الشباب في هذه الأيام يريد بنتًا شعرها لونه أصفر مثلاً، وعيونها خضراء، وشقراء وجميلة، مع أن النبي ﷺ قال:

{ إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا خَضْرَاءُ الدِّمَنِ؟ قَالَ: الْمَرْأَةُ الْحَسْنَاءُ فِي الْمَنْبَتِ السُّوءِ }[٩٦]

هذه ستتباهى عليك، وتفتخر عليك، وليس لها أصل يعتمد عليه، وستتعبك في حياتك، لكن كثير من الشباب في هذا الزمان مصرِّين على هذا الأمر!!.

أحد شبابنا وصل لسن التسعة والثلاثين ولم يتزوج، يقول: أريد الزواج، فأدله على الطريق، لكنه مُصر على الأوصاف التي يذكرها الشباب، فقلت له: عليك بأمرين، إما أن تذهب للغردقة أو شرم الشيخ وتبحث لك عن روسية وتتزوجها، فهم في الجمال ليس لهم مثال، أو تسافر إلى فرنسا وتتزوج من فرنسية!!.

هو لا يريد أن يتواضع ويأخذ بحديث حضرة النبي ﷺ، والعمر يمر به، وعندما يتزوج سيجد الشباب قد انتهى، والتي سيتزوجها من هذا الصنف هل سترضى به؟! لا، ولكنها ستبحث عن غيره، لأنه لم يعد عنده طاقة، وخاصة أنه لم يتزوج من قبل فليس عنده لياقة!!.

فالإنسان المؤمن يبحث عن البيت الحلال، وهو في هذا الزمان

٩٥ مسند الشهاب ومعجم ابن الأعرابي عن ابن عمر رضي الله عنهما
٩٦ مسند الشهاب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

قليل لكنه موجود، فنبحث عن هذا القليل، المرأة التي نبتت من حلال، والتي والديها حريصان على اللقمة الحلال، كالبنت الأنصارية التي كانت عندما يخرج أبوها في الصباح من المنزل تقول له: يا أبتاه تحرى لنا مطعمًا حلالاً فإنا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار.

مثل هذه ستُخرج أولاد حلال بررة أتقياء، وستعينني على أمور ديني ودنياي لأنها تحرص على طاعة الله، وتحرص على الطعام الحلال الذي هو سر كل صلاح وإصلاح في هذه الحياة.

٧٦. التعامل مع الأولاد المراهقين

كيف نتعامل مع الأولاد في مرحلة المراهقة؟

إذا كنا نريد أن تكون حياتنا مع زوجاتنا ومع أولادنا سعيدة وطيبة، فيجب أن ننسى آباؤنا الذين ربونا في الاقتداء، ونجعل لنا أب واحد ﷺ هو الذي نقتدي به.

معظم المشاكل التي نسمعها بسبب هذا، تقول لأحدهم لماذا تعامل زوجتك هكذا؟ فيقول: أبي كان يعامل أمي هكذا!، لكن ما شأنك أنت بأبيك في هذا؟!! أنت يجب أن ترى أبيك الأعظم ﷺ كيف كان يعامل زوجاته، وتمشي على هداه، وبذلك لن تحدث أي مشاكل.

أسلوبنا مع أولادنا يكون بالشدة والغلظة ورفع الصوت والضرب، فتسأل أحدهم لماذا ذلك؟ فيقول: أبي كان يفعل معي

ذلك؟! لكن لماذا تقتدي بأبيك في هذا؟!! هل نزل عليه وحي؟!! قد يكون أبيك على قدره في العلم، لأن معظمهم كانوا أميين، لكن من الأب الذي تمشي على هداه؟ ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢١الأحزاب) فلو اقتدينا برسول الله في معاملة الزوجات ومعاملة الأولاد ستكون حياتنا كلها طيبة، وكلها سعادة وإسعاد.

سيدنا رسول الله ﷺ بنى تعامله مع أهله ومع غيرهم على المحبة، أهم شيء يكون بيني وبين الطرف الآخر أواصر المحبة، المحبة التي تلين الزوجة أو الابن أو غيره وتجعله يسارع إلى فعل ما يحبه الأب والأم، لكننا نسارع إلى لغة العصا، أو لغة رفع الصوت، أو استخدام منصب الأبوة!! سنفعل ما نريد وهو كاره، والله ﷻ يقول: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ (٢٥٦البقرة).

وأنتم تعلمون الرجل الذي كان عبد عند السيدة خديجة رضي الله عنها وكان قد أعطاه لها ابن أخيها هدية، ولما تزوجت برسول الله ﷺ أعطته هذا العبد هدية، وكان أهله يبحثون عنه، فسمعوا أنه موجود في مكة عند مُحَّد بن عبد الله، وكان ذلك قبل بعثته ﷺ.

(فجاء أبوه وعمه وإخوته لحضرة النبي وقالوا كما ورد: يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا ابْنَ هَاشِمٍ، يَا ابْنَ سَيِّدِ قَوْمِهِ، أَنْتُمْ أَهْلُ حَرَمِ اللَّهِ، وَجِيرَانُهُ، وَعِنْدَ بَيْتِهِ تَفُكُّونَ الْعَانِيَ، وَتُطْعِمُونَ الأَسِيرَ، جِئْنَاكَ فِي ابْنِنَا عِنْدَكَ، فَامْنُنْ عَلَيْنَا، وَأَحْسِنْ إِلَيْنَا فِي فِدَائِهِ، فَإِنَّا سَنَرْفَعُ لَكَ فِي الْفِدَاءِ، قَالَ: مَنْ هُوَ؟، قَالُوا: زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَهَلا غَيْرُ ذَلِكَ؟ قَالُوا: مَا

ذَاكَ؟. قَالَ: أَدْعُوهُ فَأُخَيِّرُهُ فَإِنِ اخْتَارَكُمْ فَهُوَ لَكُمْ بِغَيْرِ فِدَاءٍ، وَإِنِ اخْتَارَنِي فَوَاللَّهِ مَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَى مَنِ اخْتَارَنِي أَحَدًا. قَالا: قَدْ زِدْتَنَا النَّصَفَ، وَأَحْسَنْتَ. قَالَ: فَدَعَاهُ، فَقَالَ: هَلْ تَعْرِفُ هَؤُلاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: أَبِي، وَهَذَا عَمِّي، قَالَ: فَأَنَا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ وَرَأَيْتَ صُحْبَتِي لَكَ، فَاخْتَرْنِي أَوِ اخْتَرْهُمَا. قَالَ زَيْدٌ: مَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَيْكَ أَحَدًا، أَنْتَ مِنِّي بِمَكَانِ الأَبِ وَالْعَمِّ. فَقَالا: وَيْحَكَ يَا زَيْدُ، أَتَخْتَارُ الْعُبُودِيَّةَ عَلَى الْحُرِّيَّةِ، عَلَى أَبِيكَ وَعَمِّكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَدْ رَأَيْتُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ شَيْئًا، مَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَيْهِ أَحَدًا أَبَدًا) [٩٧].

لماذا؟ من الجمال وكريم الخصال والحب الذي ربَّاه عليه النبي ﷺ.

لو عامله النبي ﷺ كعبد، فيُعنفه لو طلب منه شيء ولم يفعله، أو يضربه ويسجنه ويعذبه، هل كان سيرضى به؟!! لا، بل كان سيفر مع أهله، لكنه رأى معاملة لا تخطر على بال، وذلك بالمحبة والمودة واللين.

نحن دائمًا في العادة كآباء عندنا شيء من التعصب للأبناء، وهذا التعصب يدفعنا إلى سرعة التأثر وسرعة الغضب ومعاملتهم بشدة، حتى أنني كنت أنصح إخواني المعلمين بعدم إعطاء أبنائهم دروس، لماذا؟ لأنه قد يسأل أحد التلاميذ فيجيب، وآخر فيجيب، ثم يسأل ابنه فمن رهبة الموقف وخوفه من أبيه قد يتلعثم ولا يجيب،

---

٩٧ الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار عن ابن عباس رضي الله عنهما

فينزل عليه بالضرب ويهينه أمام زملاءه، فهل بعد ذلك تصلح العلاقة بينهما؟!! لا.

تحتاج هذه العلاقة كما قال الإمام علي ﷺ وكرَّم الله وجهه: **(لاعبه سبعًا وأدبه سبعًا وصاحبه سبعًا)** لكن المداعبة زادت عن الحد في الزمن الذي نحن فيه، وهذه تعطي مردود عكسي، أنا ألاعبه ولكن لا يزيد الدلع عن الحد، لأنه لو زاد عن الحد فإنه لن يصلح في حفظ القرآن، ولا في مدرسة، ولن ينفع نفسه.

أنا ألاعبه لكن في حدود، إذا مشى كما ينبغي أكرمه وأعظمه وأدلعه كما يريد، وكل حالة لها نموذج حسب حالتها، فليس كل الأولاد لهم نفس المكيال، لأن كل ابن له ظروفه، وله قدراته، وله امكاناته، وأنت بنظرك الثاقب، وعقلك الفطن، وقلبك الألمعي تستطيع أن تدرك ذلك، فتعامل كل ولد بما يليق به.

لكن يجب أن نلغي الشدة والعنف نهائياً وإنما - كما قلت - بالمحبة والمودة واللين حتى يكونوا عجينة طيِّعة لينة في أيدينا نشكلها كما نريد.

عندما يصل إلى سن سبع سنين أعلِّمه الآداب، آداب المشي، وآداب إلقاء السلام، وآداب الجلوس، وآداب الطعام والشراب، وآداب زيارة ذوي الأرحام، وآداب التعامل مع الجيران، وآداب حضور الأفراح، وآداب حضور العزاء ... كل هذه الأشياء من سيُلقنها للولد غيري، آخذه بيدي وأقول له: هيا نذهب لحضور فرح فلان، فسيرى أناس يفعلون أشياء غير صائبة، فأقول له: هذه الأفعال

خاطئة، والصواب كذا وكذا، فيكون هذا درس عملي.

أقول له: هيا نحضر عزاء فلان، فسيرى بعض السيدات التي تنوح أو تلطم، فأقول له: يا بني هذا لا يصح، والصواب أن تقول (إنا لله وإنا إليه راجعون) ويصبروا على أمر الله، وبذلك أعلِّمه هنا الأدب الواجب، ويوم العيد أقول له: هيا بنا لنُعيِّد على من أمرنا الله أن نفرحهم في هذه المناسبة، فنبدأ بالجيران، قد يقول لي: فلان هذا لا يزورنا أبدً، فأقول له: نحن نفعل ما علينا ولا ننتظر ما لنا!.

المؤمن لو أدَّى ما عليه ولم ينتظر ما له سيظل في راحة البال على الدوام، لأن الذي يتعبنا أن يقول الإنسان أنا عملت ما عليَّ، فلِمَ لم يفعل ما عليه؟!! ما شأنك أنت؟! هل أنت ستحاسبه؟!! أنت تؤدي ما عليك لله، وهو حر في أمره، لأن الذي سيحاسب الكل الحسيب ﷻ.

لو الإنسان خطَّ لنفسه هذا الخط سيرتاح، وهذا نظام الصالحين، هل لو زرت احد يجب أن يزورني؟! هل لو عزيت أحد يجب أن يعزيني؟! هل لو ساعدت أحد يجب أن يساعدني؟! بذلك سأدخل في شوط طويل لن ينتهي أبدًا، لكن أنا أفعل الواجب عليَّ لله ولا أنتظر الرد من خلق الله لأنني أعمل لله ولا أعمل لخلق الله.

إذًا آخذه معي في هذه الآداب حتى يصير في سن الرابعة عشرة، وسيكون رجل يعتمد عليه، فأطلب منه أن ينيب عني حضور فرح فلان، أو حضور جنازة، وبذلك أبني فيه الرجولة من البداية، فيصبح رجل من الرجال، وسيحاول دائمًا أن يرضيني ويسترضيني لأني لا

أطلب منه شيئًا إلا لمصلحته ومنفعته، وذلك كله من كتاب الله، ومن سُنة رسول الله ﷺ.

إذًا أساس التعامل مع الكل المحبة، لو دخلت المحبة في أي علاقات، فإن ذرة من المحبة تجعل الأعداء أحبة، وهذه هي البضاعة التي أعطاها لنا رسول الله وأمرنا أن ننشرها جميعًا بين خلق الله، لأن هذه هي سبب كل شيء جميل وعظيم في الدنيا وكريم على حضرة الله.

بِمَ مدح الله الأنصار في القرآن؟ قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ هل قال يصلون؟ لا، ولكن مدحهم بقوله: ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ ما علامة الحب؟ ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ ﴾ (٩الحشر) الصدور منشرحة وسليمة ليس فيها غيظ من فلان، ولا حقد على فلان، ولا بغض لفلان، ولاكره لفلان، ليس فيها إلا المودة والرحمة والشفقة والعطف لجميع أهل الإيمان، بل لجميع بني الإنسان.

وهذه بضاعة الحبيب ﷺ التي بها لو اتصفنا فإن كل شيء سيحبني، حتى الجمادات ستحبني! حتى الطيور وأشجارها ستحبني، حتى الحيوانات ستحبني، كل شيء في الكون سيحبني، لأن من تجمَّل بحب الله أحبه كل شيء في هذه الحياة وهذا هو الأساس لهذا الميراث.

بقي بعد ذلك بعض الأشياء الصغيرة، أريد أن أعاتب ابني، ماذا أفعل؟ لا أعاتبه أمام أمه، أو امام إخوته، أو أمام أي أحد غريب، ولكن آخذه بمفرده وأبدأ معه أولاً وأقول له: أنت تعرف أنني أحبك، وأنك عندي غال، وأتمنى لك الخير وأريدك أن تصبح كذا وكذا، لكنني

حزين منك بعض الشيء لأنك فعلت كذا، هل بعد ذلك سيرجع الولد لهذا الذنب مرة أخرى؟!! لا.

لكن لو عاتبته أمام أمه وأمام إخوته وأقول لهم: هو فعل كذا وكذا، وأفضحه، هذه الفضيحة تجرح مشاعره النفسية، وتصيبه بإحباط شديد، أو كما يفعل بعض الآباء أثناء جلوسه مع بعض أصدقاءه، ويأتي بابنه ويقول لهم: هل يصح أن يفعل كذا وكذا؟!! وهؤلاء ما شأنهم؟!! أنت بذلك فضحته وخزيته أمامهم، ويخشى أن يقابل أحد منهم بعد ذلك!. هؤلاء لن يقوِّموا فيه شيء، بل ربما بعضهم يشمت في ذلك، وربما يكون أخ شقيق لك ويشمت، ويقول بعدما يخرج من عندك هو يستحق!!.

لكن إذا أردت أن تعاتب ابنك أو ابنتك فيكون العتاب بينك وبينه، وتبدأ أولاً بمدحه، لأنه لا يوجد أحد ليس فيه صفات جيدة، فتمدحه بالصفات الحسنة التي فيه، وتقول له: أنا أعلم أنك مخلص، وأعلم أنك أمين، وأعلم أنك مستقيم وتحافظ على طاعة الله، لكنك فعلت شيء أحزنني، وهو سيعرفها قبل أن أقول له !! وهذه هي طريقة العلاج.

كذلك لو فعل أي أمر، البعض قبل أن يتحرى ويتأكد هل هو مخطيء أم لا، يحضره ويوبخه وقد يضربه، وبهذا تكون قد ضيعت رجولته!!، وبعض الآباء يتباهى أنه يضرب ابنه وقد يكون متزوج ومعه أولاد!! حتى يثبت لنفسه أنه رجل، هل يصح ذلك؟!! الدين لا يوافق على ذلك!! والبعض يتطاول فيضربه بالحذاء وإذا وقع الحذاء على

الأرض يطلب منه أن يحضر الحذاء مرة أخرى وإلا سيطلق أمه!! وهذا ليس من دين الله في قليل ولا كثير.

لكن إذا أرت أن أعاتبه فيكون العتاب باللطف واللين وذكر مآثره أولاً، وبيني وبينه.

أنا أحب أحد أولادي زيادة عنهم، فلا يجب أن أُظهر هذا الحب أمام الأولاد الآخرين، بل كلهم متساوون، قال ﷺ:

﴿ اتّقُوا اللّهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلادِكُمْ ﴾[٩٨]

سووا بين أولادكم:

حتى في القبلة، فلو قبّلت أحدهم لا بد أن تقبِّل الآخرين، لأنك لو قبّلت أحدهم وتركت الآخر سيحزن، ويترك عنده أثر نفسي قد لا تدري به لكنه يُحدث تأثيرًا بعد ذلك في حياته.

كذلك لو ربَّت بيديك على أحدهم لا بد أن تربت عليهم كلهم، وإذا مدحت أحدهم أمامهم لا بد أن تمدح الآخرين كلهم، حتى يشعروا أنهم إخوة ويصبحون متآلفين ومتكاتفين ومتحابين على الدوام.

هذه بعض الملاحظات في التعاملات بالنسبة للأولاد الصغار، لكن ابني الذي تزوج ومعه زوجته، وبطبيعتنا الفرعونية الموجودة عندنا أسأله ماذا أكلت؟! وماذا فعلت؟! لكن ما شأنك بهذا؟! هل هو ما زال صغير حتى تحاسبه على هذه الأمور؟!! ما دام هو تزوج وأصبح

٩٨ البخاري ومسلم عن النعمان بشير رضي الله عنه

صاحب بيت فإنه أصبح راع ومسئول عن رعيته.

لكنه لو عمل مخالفة شرعيه:

أنبهه بلطف، كأن تكاسل عن أداء الصلاة بعد الزواج، فأنبهه بلطف وبيني وبينه، وأذكر له أن الصلاة سر البركة، وكونك تركت الصلاة فستكون حياتك بغير بركة، وجسمك ليس فيه بركة، وطعامك ليس فيه بركة، وولدك ليس فيه بركة، وستنزع البركة في كل أحوالك.

لكنه في بداية حياته الزوجية:

لا يجب أن أقول له: أنا في بداية زواجي كنت أفعل كذا وكذا، لأن تقاليد زواجي في زمانها غير تقاليد الوقت الآن، سيدنا علي رضي الله قال: ((لا تحملوا أولادكم على أخلاقكم فإن لهم زمان غير زمانكم)) هو له زمانه، ونحن لنا زماننا.

فيكون كما قال الإمام علي: ((فإذا بلغ الإحدى والعشرين فألق له الحبل على الغارب وقل له زوَّجتك وقاني الله فتنتك في الدنيا والآخرة) وأتركه يعيش حياته حتى يحس في المجتمع أنه رجل له قيمته وله شأنه، وقد يكون له شأن في المجتمع أكثر مني، فأتركه ينطلق في المجتمع بقدراته وإمكاناته حتى يشعر برجولته الكاملة إن شاء الله.

٧٧. ظلم الابن لأبيه

لو ظلمني ابني ظلم عظيم ماذا أفعل؟

لا بد من تحديد الظلم حتى نعرف الظلم، ظلمك في ماذا؟

إذا كان هذا الابن ظلمني في أنه لم يعطني مما معه من عطاءات الله له من الدنيا مع أني محتاج فإن الشريعة المطهرة كفلت لي أن أطالب بحقي والمحكمة تعطيني حقي رغمًا عنه، وإذا لم أطالب بحقي فلا أتهمه بأنه ظلمني، لأنه ما ضاع حق وراءه مطالب، إذا كنت أسكن عند ابني في بيته، وطردني من بيته، فأنا الذي قصَّرت في حق نفسي من البداية، لماذا جعلت نفسي تحت رحمة ابني؟!! المؤمن العاقل لا يجعل لأحد عليه سلطان إلا لحضرة الرحمن ﷻ.

٧٨. صلة الأهل

ما حكم ابن لا يسأل عن أهله، لأن زوجته لا تحب أهله؟

هناك الكثير مثل هذا في المجتمع الآن، لأن زوجته لا تحب أهله فتحجبه عنهم، لأنه سلَّم القيادة والزمام لزوجته، وزوجته لا تحب أهله، وبالتالي منعته ووافق ألا يبر أهله، لو علم هذا الابن حديث النبي ﷺ: **﴿ افْعَلْ مَا شِئْتَ، فَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ ﴾**[٩٩]

لراجع نفسه، فما يفعله في أبيه سيفعله معه ابنه، لابد، والحياة الآن لا تترك ذنبًا للآخرة، بل الله ﷻ يعجل الأحكام في الحياة الدنيا، فإذا سمع حديث حضرة النبي ﷺ:

﴿ بَرُّوا آبَاءَكُمْ، تَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ ﴾[١٠٠]

سيسارع إلى بر أبيه ليبره أبناؤه في الكِبَر، لكنه فُتن بزوجته،

٩٩ البيهقي وابن حجر وأحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه
١٠٠ الحاكم في المستدرك وحلية الأولياء لأبي نعيم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

وسلَّم لها القياد، وفي نفس الوقت يجهل الواجب عليه نحو أبيه في دين الله، وفي كتاب الله، وفي سُنَّة رسول الله ﷺ، وهذا وقع في قول الله: ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ ﴾ (١الطلاق).

ظلم نفسه لأنه تعدَّى حدود الله، وقول الله: ﴿ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ لم يسمع إلى الله ويُحسن إليهما، ولم يسمع قول الله: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (٢٤الإسراء) فهذا يحتاج إلى أن يعلم هذه الحقائق، ويتنبَّه ولا يُسلِّم الزمام لزوجته، بل يجعل القوامة في رقبته كما أعطاها له الله: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ (٣٤النساء).

٧٩. اختلاف الإخوة بسبب الزوجات

ما علاج إخوة مختلفين مع بعضهم بسبب زوجاتهم؟

إذا اتبع إخوة زوجاتهم فلا بد أن تتقطع أواصر القرابة والمودة بينهم، لكن رأينا آباءنا وسلفنا الصالح، وكان معظمهم أميين لكنهم كانوا مستمكين بالأخوة التي بينهم، ويتعاهدون فيما بينهم أن لا يضعون آذانهم تحت رحمة ألسنة زوجاتهم، فلو قالت له: أخوك قال، أو أخوك عمل، فيقول لها: لا، لأن الأمر يحتاج من البداية إلى ردع، لأنه لو سمع لها مرة فسينتهي الأمر، لكن يقول لها: أخي خط أحمر، فلا تذكري أخي بأي بسوء!! فكما لا ترضي أن أذكر أخاك بسوء لا تذكري أخي بسوء أبدًا.

فهكذا كان الرجال، ولا يزال الرجال الصلحاء في كل زمان ومكان، أن لا تصغى آذانهم إلى أي قول يفتت العلاقات، ويُذهب

المودة بينهم وبين إخوتهم، إذا حافظوا على هذا المنهاج لم يتفرقوا أبدًا.

بالإضافة إلى ذلك إذا لم تغرهم الدنيا، وتقطعهم عن بعضهم في التنافس إن كان في الميراث، أو إن كان في مال الاب، أو إن كان في تركة الأم، يوزعونها كما أمر الله، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وهذا الأمر الثاني الذي يُفرِّق الإخوة بعضهم عن بعض، وما أكثره في هذا الزمان.

٨٠. علامة الصلاح

ما العلامات التى نعرف بها الصالحين حقاً من المدعين؟

هناك علامات كثيرة لمعرفة الرجل الصالح من المدعى! وحتى نوجز الإجابة نقول أن هناك علامة واحدة تكفينا إذا تدبرنا فيها؛ نريد أن نعرف هذا الرجل من الصالحين أم من المُخَلَّطين؟

إذا كان أي رجل موفقاً في كلماته التي تخرج من فيه، فلا يقول كلمة تُغضب إنسان، ولا يقول كلمة تجرح إنسان، ولا يقول كلمة تخدش مشاعر إنسان، ولا يقول كلمة تجعل إنسانًا لا ينام الليل من شدة وقع الكلمة عليه، فتعلم أن هذا من الصالحين الذين ارتضاهم ورضي عنهم رب العالمين، لأن الله قال فيهم: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ (٢٤الحج) هدوا إلى الصراط القويم الذي يحمده الله ... ورسوله ... والخلق أجمعون.

لو كان الإنسان يعمل الاعمال الصالحة من صلاة وصيام وقيام وبر وصدقات وغيرها لكن لسانه لا يكف عن الهفوات، فيسب هذا،

ويقع في هذا، ويشتم في هذا، وإذا وقع يقول: أنا كنت أمزح!! لكن رسول الله يقول:

{ إِنّـي لأَمْزَحُ وَلا أَقُـولُ إِلا حَـقًّا }[١٠١]

فلماذا يخرج منك الكلام الذي يؤلم؟!!

إذا أمسك الإنسان لسانه وصانه فقد تحقق بالدرجة العظمى في القرب من الله، وفي التخلق بأخلاق رسول الله ﷺ! ولذلك الباب الأعظم في الجهاد جهاد اللسان، وهو أشد من جهاد السنان (جهاد الحرب).

فمن السهل أن يمسك الإنسان بعصا ويضرب، أو بمسدس ويُخرج منه طلقات، لكن من الصعب أن يمسك لسانه ولا يُخرج منه طلقات للناس تذهب في حنايا صدورهم وتجعلهم يتضورون ويتألمون من الكلمة التي سمعوها .. ويأتيني كثير من الناس يشكون من أن فلان قال لهم كذا وكذا، فلا أعرف ماذا أقول؟!! هل سأمسك ألسنة الناس؟!! أنا أمسك لساني: **{ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ }**[١٠٢]

هذه علامة الصالحين، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

٨١. عافية الروح

كيف تكون الروح في عافية؟

١٠١ معجم الطبراني عن ابن عمررضي الله عنهما
١٠٢ جامع الترمذي ومسند أحمد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه

عافية الأبدان:

في سلامتها من الأمراض.

وعافية القلوب:

في سلامتها من الأغراض، لا يكون لها غرض إلا وجه الله، فإذا كان صاحبها له غرض في الدنيا سيتعب ويُتعب قلبه معه، ويُتعب الكل معه.

إذا كان له غرض في شهرة، وإذا كان له غرض في رياسة وسُمعة، وحتى لو كان له غرض عالي ويريد أن تظهر له كرامات، فسيُتعب الدنيا كلها معه، فعافية القلوب في سلامتها من الأغراض.

وعافية الروح في سلامتها من الأعراض، فهناك أعراض تتعب الروح، إذا عرض لها صدٌّ عن القرب من الله فهذا أشد العذاب، أو إذا نزل عليها حجاب البعد فهذا أشد العذاب، أو حُرمت من المشاهدات والمؤانسات والملاطفات، فهذا أشد العذاب،.

فإذا عافاها الله من كل هذه الأعراض يدوم شهودها، ويدوم رُقيها، ويدوم بالله أُنسها، ويدوم بالحبيب ﷺ صفاؤها ووقتها، فالروح هنا في بهجة الجمال العلي، وبالتمتع بوجه حضرة النبي، وبالصفاء القدسي الذي يمنحه لها حضرة الولي تبارك وتعالى.

٨٢. فناء الدنيا

نرجو توضيح قوله تعالى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ) (٨٨القصص)؟

هذه لا تحتاج إلى توضيح، لأنه هل هناك شيء يبقى في الدنيا إلى يوم القيامة؟ لا !!

فكل من على وجه البسيطة سيأتي يوم ويفنى، إن كان إنسان أو حيوان أو نبات أو أفلاك أو جمادات، لكن من الذي يبقى؟

الحي الذي لا يموت سبحانه وتعالى.

سيأتي يوم وتفنى الجبال، وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات، ويفنى كل ما علي الأرض من جمادات ونباتات ومخلوقات وينادي الله عز وجل: ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ﴾ فلا يجيبه أحد، ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ﴾ فلا يجيبه أحد، ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ﴾ فلا يجيبه أحد!!! .. فيجيب نفسه بنفسه: ﴿ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾ (١٦غافر).

سيدنا عمر كان له بيت من الحكمة مشهوراً ...

وكان يردده دائماً، ويقول:

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته يبقى الإله ويفنى المال والولد

ما الذي في الدنيا ستبقى بشاشته وبهجته ورغبته؟! لا شيء: ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٣٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧ ﴾ (الرحمن).

٨٣. في عالم البرزخ

هل يكون المؤمن مع من أحب في عالم البرزخ؟ وهل هناك ترقي في البرزخ وفي الجنة؟

قال ﷺ في حديثه الصحيح:

{ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[١٠٣]

والناس قد تُخطئ في تعريف بداية القيامة، يعني متى تكون القيامة؟ فقال ﷺ حتى لا نزل ولا نضل:

{ مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ }[١٠٤]

فساعة موته تكون قيامته قد قامت، نفرض أنه مات في الدنيا الموتة الإرادية، فيعيش في أحوال القيامة البرزخية والأُخروية وهو بيننا يمشي في الحياة الدنيا، مع أنه معنا!!.

أصحاب حضرة النبي ﷺ وصل كثيرٌ منهم إلى هذا المقام، ولذلك كانوا عندما يكونون مع رسول الله ويلتفون حوله، ويستمعون إلى حضرته، يقول الله تبارك وتعالى واصفاً حالهم وشأنهم مع حضرة النبي: ﴿ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ ﴾ (١٥٣آل عمران) يعني عندما يدعوكم الرسول تكونوا في الآخرة، فلا يوجد أحد منهم يجلس ويتذكر الأولاد ولا الشارع ولا السوق ولا شيء من هذا، ولكنه جالسٌ في الآخرة بالكلية عند دعوة الرسول.

وكان بعض الصالحين يريد أن يبين لصغار المريدين مقامات

---

١٠٣ جامع الترمذي عن صفوان بن عسال رضي الله عنه

١٠٤ رواه ابن أبي الدنيا، وأورده الشوكاني في فوائده

الأكابر الذين وصلوا إلى مقام اليقين، وهو جالسٌ في هذه الجلسة ينادي على أحدهم ويقول له: ما اليوم يا بنيَّ؟ فيقول له: اليوم يوم القيامة، يعني هو يعيش في مشاهد القيامة مع أنه جالسٌ معهم.

ويسأل آخر: ما اليوم يا فلان؟ فيقول له: اليوم يوم ألستُ بربكم، يعني هو يعيش في الميثاق الأول.

وكان هناك أحد المجاذيب كلما تحرك وكلما مشى يقول: بلى، بلى، بلى، وليس على لسانه غير كلمة بلى، والناس يسألون وهم غير منتبهين، لكنه يعيش في المشهد، ومُنخرطٌ فيه، ولا يشعر بمن حوله، ويسمع على الدوام: (ألستُ بربكم) فيُردد ويقول: بلى، يردُّ الجواب على الكريم الوهاب، لأنه يعيش في هذا المشهد وهو في عالم الدنيا!!.

فهؤلاء القوم يكونون في الدنيا وقد ماتت نفوسهم عن شهواتهم وحظوظهم وأهوائهم، واحتيت قلوبهم بأنوار حبيبهم، واحتيت أرواحهم بالتجليات الصافية من ربهم، فيكونون وهم في الدنيا بيننا ولكنهم يعيشون في الدار الآخرة.

وكما ورد في بعض الأثر أن سيدنا رسول الله دخل المسجد فوجد الإمام عليٍّ نائمًا، فقال رجل ممن مع حضرة النبي: أأوقظه؟ فقال: ((دعوه، عليٌّ وإن كان جسمه على الثرى إلا أن قلبه بالملأ الأعلى))!!.

يقول الإمام أبو العزائم ﷺ في هذا الصنف من الرجال:

إن الرجال كنوزٌ ليس يدريها إلا مرادٌ تحلَّى من معانيها

في الأرض أجسامهم والعرش مقعدهم　　قلـــوبهم صـــفت والله هاديهـــا
هم الشموس لشرعِ المصطفى وهمُ　　سفينة الوصـل باسـم الله مجريهـا

فعندما يموت الإنسان الموتة الاختيارية أو الموتة الإرادية فيكون كما قال الله في الآيات القرآنية: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ ﴾ (١٢٢الأنعام) يعني أحييناه الحياة الإيمانية، أو الحياة القلبية، أو الحياة النورانية، أو الحياة الروحانية، أو الحياة الشهودية، حيوات لا حد لها ولا عد لها: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ ﴾ (١٢٢الأنعام) هل هذا في الآخرة؟ لا، لأن الله قال بعدها: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ (١٢٢الأنعام) وهذا ما قال فيه ﷺ:

{ مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ }[١٠٥]

إذا مات في الدنيا الموتة الإرادية فقد قامت قيامته:

فيعيش في الحياة البرزخية والأُخروية وهو هنا، إ يموت الموتة القهرية أو الموتة العزرائيلية، فيأتي عند لحظة الموت، كما قال الله: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (ق) ينتقل إلى الآخرة فورًا، فالآخرة لا تبدأ بمشاهد اليوم الأعظم يوم الدين، ولكنها تبدأ على الفور من الخروج من الدنيا إلى عالم البرزخ.

وعالم البرزخ يدخله المرء من لحظة الفراق، وهو فراق الروح للجسم، وليس من لحظة دفنه كما يظن الناس، فلو أن أحدنا مات وأجَّلنا الدفن لثلاثة أيام فهل تظل الروح محبوسة ولا تدخل البرزخ إلا

١٠٥ رواه ابن أبي الدنيا، وأورده الشوكاني في فوائده

بعد ثلاثة أيام؟! لا، ولكن بمجرد أن تفارق الروح الجسم تذهب إلى عالم البرزخ على الفور.

وعندما تدخل على بوابة البرزخ تجد سؤال الملكين، ولذلك سؤال الملكين ليس من لحظة وضعه في القبر، وإنما بمجرد أن تخرج الروح وتدخل إلى عالم البرزخ يكون سؤال الملكين إن كان من أهل السؤال.

وإن كان من الأكابر الذين ذكرناهم فهؤلاء قال فيهم الله:

﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (٥٦الدخان)

يدخل ويخرج ويروح ويجيء كما يريد، وتكون صالة كبار الزوار مفتوحةٌ له على الدوام، فليس له تأشيرة ولا غيره، ولكن كما يريد، فيذهب إلى هناك، ويرجع هنا، ويرى ما نفعله وما نعمله، لأن هذا:

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الشورى).

لكن العوام من لحظة خروج الروح من الأجسام أصبح في عالم الآخرة، لأن البرزخ بداية عالم الآخرة، قال ﷺ:

{ إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ }[١٠٦]

---

١٠٦ جامع الترمذي وسنن ابن ماجة عن عثمان بن عفان رضي الله عنه

٨٤. تزاور الأرواح

هل الأرواح تتزاور وتلتقي مع من تُحب؟

نعم، لكن أرواح المؤمنين الذين هم غير مسجونين في سجون القبور، فقد قال ﷺ:

﴿ إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ ﴾[١٠٧]

فإذا كان الإنسان عاصيًا ولم يتُب من معصيته قبل الموت، تولَّى إخراج نفسه ملائكة جهنَّم، أي ملائكة العذاب، وقبضوا عليه ووضعوه في سجن – حُفرة من حُفر النار – حتى ميعاد المحكمة الإلهية يوم يجمع الله الناس ليوم لا ريب فيه، وهو سجين لا يُسمح له بالخروج، ولا يُسمح له بالكلام مع الآخرين.

وإذا كان في روضة من رياض الجنة، يقول الله لملائكته:

﴿ فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ ﴾[١٠٨]

افرشوا له فراشًا من الجنة، وافتحوا له بابًا من الجنة يأتيه منه الروح والريحان إلى يوم لقاء الله، وهذا يُصرَّح له بأن يتزاور مع إخوانه الذين هم أشباهه وأمثاله، يزورون بعضهم، ويتلاقون مع

---

١٠٧ جامع الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
١٠٨ مسند أحمد والحاكم في المستدرك عن البراء بن عازب رضي الله عنه

بعضهم في عالم البرزخ.

وعالم البرزخ بالنسبة لهؤلاء :

كله مجالس كمجالسنا هذه مع زيادة التعداد لأنهم أُممٌ كثيرة، مجالس علم، ومجالس استغفار، ومجالس صلاة على حضرة النبي ﷺ، وهذه المجالس لعُلوُّ مداركها أحياناً يذهب النبي ﷺ بذاته النورانية لزيارته، ويُكلِّف أصحابه المباركين بأرواحهم للمحاضرة فيها، ويتناوب الصالحون السابقون أجمعون قضاء الوقت مع أهلها، فكلها عبادات جامعة رافعة عالية أساسها التزاور بين أهل الجنة الذين هم في هذه المنَّة إلى يوم الدين.

ولذلك قال ﷺ عندما كان يزور شهداء أُحد، وكان يزورهم كل يوم سبت، فقال لأصحابه:

﴿ زُورُوهُمْ، وَأْتُوهُمْ، وَسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ مُسْلِمٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلا رَدُّوا عَلَيْهِ السَّلامَ ﴾[١٠٩]

وقال صلوات ربي وتسليماته عليه لنا أجمعين:

﴿ إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ ﴾[١١٠]

وقالت السيدة عائشة: كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال لها:

١٠٩ الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه
١١٠ مسند أحمد ومسلم والنسائي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

{ قُولِي السَّلامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَلاحِقُونَ }[111]

وفي رواية أخرى:

{ السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاحِقُونَ }[112]

السلام عليكم بلغة الخطاب!

والسلام سُنَّة، ورد الخطاب فريضة!!

وهل يردون؟

قال ﷺ في حديثه الآخر:

{ مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ رَجُلٍ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ، إلا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ }[113]

يرد عليه السلام ويأتنس به ما دام واقفاً عند قبره، فيأتنسون ببعضهم، ويأتنسون بالأحياء الذين يزورونهم والذين يقدمون ما يستطيعون من الخير لهم، فهم في أُنس تام ببركة الحبيب المصطفى، وفضل الله تعالى عليهم على الدوام.

١١١ صحيح مسلم والنسائي عن عائشة رضي الله عنها
١١٢ صحيح مسلم والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه
١١٣ تاريخ دمشق لابن عساكر وفوائد تمام الرازي عن أبي هريرة رضي الله عنه

٨٥. عبادة أهل الجنة

هل في الجنة عمل وعبادة؟

الجنة ليس فيها عمل ! .. ، لأن الدنيا دار عمل وليست دار جزاء! ... والآخرة دار جزاء وليس فيها عمل، ولكن فيها عبادة، والعبادة فيها للتلذُذ والتفكُّه بذكر الله ﷻ، فليس فيها عبادة تكليفية، وليس فيها فرائض يُكلف بها أهل الجنة، كالصلاة والصيام أو الحج، ولكن فيها عبادة يتلذذ المرء فيها بذكر الله، وتسبيح الله، وتحميد الله، وأن ينطق لسانه لهجاً بذكر مولاه ﷻ:﴿ إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴾ (٥٥يس) يعني يتفكهون ويتلذذون بهذا الشُغل، وليس شغل تكليف، لأنه لو كان شغل تكليف إذا تركه أحدهم سيُسأل ويُحاسب عنه؛ ولكنه تفكُّه وتلذذ ليس عليه حساب وليس عليه عقاب وإنما هو يفعله من قِبل نفسه رجاءًا في مزيد من القرب من القريب ﷻ ورجاءًا أن يتلذذ، وأكبر اللذات في الجنة هي اللذات القلبية والروحية فيتلذذ بذكر الله ومناجاة الله عندما يسمع الله يقول له:

{ وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ }[114]

تلكم عبادة أهل الجنة إن شاء الله.

انتهى بحمد الله بتلك البشرى العظيمة؛ جعلنا الله من أهل الفردوس الأعلى بصحبة الحبيب المصطفى و النبيين والصديقين والشهداء

١١٤ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

نبذة عن المؤلف: فضيلة الشيخ فوزي محمد أبوزيد



۞ نبذة: ولد فضيلته في ١٨ أكتوبر ١٩٤٨م، الموافق ١٥ من ذى الحجة ١٣٦٧هـ بالجميزة، مركز السنطة، غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

۞ النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بمصر، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسي ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.، كما يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة، وأيضا من خلال موقعه على الشبكة www.Fawzyabuzeid.com وهو أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام مضت، وقد تم إفتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزية وجارى التجهيز لإضافة المواضيع بالإنجليزية.

۞دعوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامي، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.، ٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

۞ هدفه : إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبترسيخ المبادئ القرآنية.

۞ مساهمات الشيخ الدعوية للشيخ بالإذاعة والتليفزيون:

ومساهمات فضيلته أكثر من أن تحصى بالإذاعات كلها وبقنوات التلفزيون المصرى المتعددة مع العلم بأن الشيخ يرفض البرامج الخاصة أو برامج التوك شو التى تهدف للبلبلة والإثارة وتأليب الرأى واستغلال الحوادث أو تأجيج الفتن، وهو يرحب ببرامج وبقنوات التليفزيون المصرى أو غيرها من التى تعمل جادة على نشر الدعوة الوسطية والعصرية وتهدف إلى رأب الصدع وجمع الشمل

وتوصيل الدعوة الهادفة بالأسلوب الجذاب والراقي.

و نذكر من تلك المساهمات على سبيل المثال لا الحصر :

١- خطبة وصلاة الجمعة : بعض الخطب على الهواء مباشرة منها :*جمع من مسجد النور بحدائق المعادى بالقاهرة[115] ، جمع على من مسجد الزاوية الحمراء بالقاهرة، والمسجد الكبير بمدينة بورفؤاد ببورسعيد، ومسجد الأنوار القدسية بالمهندسين وغيرها.

٢-: البرنامج العام: *دعاء الصباح. * المجلة الدينية.

٣- إذاعة القرآن الكريم: أمسيات دينية كثرة متعددة. خطبة وصلاة الجمعة على الهواء.من مساجد متعددة. خطبة وصلاة الجمعة بمسجد التليفزيون عدة مرات.

٤- إذاعة وسط الدلتا :* حديث الصباح * الأمسية الدينية.

٥- إذاعة الشباب و الرياضة: * برنامج: عصافير الجنة.

٦- القناة الأولى بالتليفزيون: * برنامج من بيوت الله.

* برنامج فى زمرة النبى ﷺ.

٧- القناة السادسة: حلقات من برنامج "السيرة العطرة".

وبرنامج "آيات محكمات".

٨- القناة الثامنة: سلسلة حلقات من برنامج "لقاءات إيمانية".

٩- القناة الثقافية: برنامج "فتاوى على الهواء"

١٠- إذاعة القاهرة الكبرى: "أمسيات دينية " من مساجد مختلفة.

١١- القناة التعليمية : * حلقات برنامج أولياء الله الصالحون .

١٢- قناة القاهرة بالتليفزيون: حلقات من برنامج فقه المرأة وبرنامج جدد حياتك ولا يزالا مستمراًن إلى تاريخه، وفى شهر رمضان ٢٠١٨ برنامج "من آيات القرآن"، وكذلك "الدعاء" بعد آذان المغرب طوال الشهر الكريم.

١٣- قناة الدلتا التليفزيونية: برنامج "جدد حياتك" ومازال مستمرا.

۞ المساهمات الإعلامية والدعوية بكليات ومعاهد الجامعات و مراكز الشباب و الأندية الثقافية والجمعيات الدينية و الثقافية و العلمية :

أحيى الشيخ عديد المناسبات الدينية والإحتفالات بالكثير من الجامعات بالوجه البحرى والصعيد، وكذا بالنوادى الرياضية والجمعيات والمستشفيات، والمراكز الثقافية والرياضية بالوجهين البحرى والقبلى.كما شارك الشيخ وأحيى العديد من المناسبات بدعوات من عديد من المؤسسات الإجتماعية بالقاهرة ومختلف المحافظات و دعى إلى عدد من إحتفالات الصلح بالصعيد على

---

١١٥ الشيخ يخطب أول جمعة من كل شهر ميلادى بمسجد النور بالمعادى منذ أكثر من عشرين عاماً، كما يخطب آخر جمعة بالشهر الميلادى بمركز الفائزين الخيرى بالمقطم .

مدارالسنين وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة مؤلفات الشيخ المطبوعة

حتى ٢٨ يناير ٢٠١٩م، خمس عشرة سلسلة تحتوى على ١١١ كتاب

م	الكتاب (ط: طبعات، ت: ترجمة)	ط	ت	م	الكتاب (ط: طبعات، ت: ترجمة)	ط	ت
	السلسلة الأولى : فى تفسير القرآن الكريم : ١١			٤	نفحات من نور القرآن ١	١	
١٤	نفحات من نور القرآن ٢	١		٤٨	أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام	٣	
٩١	الآداب القرآنية مع خير البرية ﷺ	١		٩٣	أسرار خلة إبراهيم عليه السلام	١	
٩٦	تفسير آيات المقربين: ج١	١		١٠٢	تفسير آيات المقربين: ج٢	١	
١٠٣	حكمة لقمان وبر الوالدين	١		١٠٥	تفسير آيات المقربين : ج٣	1	
١٠٨	تفسير آيات المقربين : ج٤	١		١٠٩	تفسير آيات المناسبات	1	
	السلسلة الثانية : الفقه: ٩			٢	زاد الحاج والمعتمر	٣	
٥	مائدة المسلم بين الدين و العلم	٢		٥٢	كيف تكون داعياً على بصيرة	١	
٥٤	مختصر زاد الحاج والمعتمر	٢		٧١	الصيام شريعة وحقيقة	١	
٧٢	إكرام الله للأموات	١		٩٥	صيام الأتقياء	١	
١٠٠	دلائل الفرح بالرحمة المهداة	١		١٠٤	سنن الهدى	١	
	السلسلة الثالثة : الحقيقة المحمدية: ١١			٧	حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق	٤	
١٣	إشراقات الإسراء ج ١	٢		٢٢	الكمالات المحمدية	٢	
٢٣	الرحمة المهداة	٢		٣٣	واجب المسلمين المعاصرين نحوه ﷺ	٢	
٣٥	إشراقات الإسراء ج٢	١		٦١	السراج المنير	١	
٧٠	ثانى اثنين	١		٨٥	الجمال المحمدى ظاهره وباطنه	١	
٨٧	تجليات المعراج	١		٩٠	شرف شهر شعبان	١	
	السلسلة ٤ : من أعلام الصوفية: ٧			١	الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى	٢	
٣	الشيخ محمد على سلامه سيرة وسريرة	١		٤١	المربى الربانى السيد أحمد البدوى	١	
٤٥	شيخ الإسلام إبراهيم الدسوقى	٢		٥٩	الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى	١	
٩٧	الإمام أبو العزائم، سيرة حياة	١		١٠٧	الشيخ عبد الرحيم القنائى ومدرسته الروحية	١	
	السلسلة الخامسة : الدين والحياة: ٧			٢٦	إصلاح الأفراد والمجتمعات فى الإسلام	٢	
٣٤	كيف يحبُّك الله	٤		٣٩	كونوا قرآنا يمشى بين الناس	٢	
٥٠	قضايا الشباب المعاصر	١		٦٧	بنو إسرائيل ووعد الآخرة	١	
٧٥	أمراض الأمة وبصيرة النبوة	١		٩٢	فقه الجواب (الإجابة على أسئلة الموقع)	١	
	السلسلة٦: الخطب الإلهامية للمناسبات : ٧			١٦	خطب المولد النبوى	١	
١٧	خطب شهر رجب والإسراء والمعراج	١		١٨	خطب شهر شعبان و ليلة الغفران	١	
١٩	خطب شهر رمضان و عيد الفطر	١		٢٠	الحج و عيد الأضحى	١	
٢١	خطب الهجرة ويوم عاشوراء	١		٥٥	الخطب الإلهامية: مجلد مناسبات دينية:١	٢	

السلسلة السابعة: الخطب الإلهامية العصرية: ١				٧٨	الأشفية النبوية للعصر	١	
السلسلة الثامنة: المرأة المسلمة: ٥				٩	تربية القرآن لجيل الإيمان	١	
43	المؤمنات القانتات	٢		٤٤	فتاوى جامعة للنساء	٢	
74	الحب والجنس فى الإسلام.	١		١٠٦	المرأة المسلمة بين الإباحة والنهى	١	
السلسلة التاسعة : الطريق إلى الله: ١٢				٦	طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين	٢	
٢٥	طريق المحبوبين وأذواقهم	١		٢٨	المجاهدة للصفاء و المشاهدة	٢	
٣٠	علامات التوفيق لأهل التحقيق	١		٣١	رسالة الصالحين	١	
٣٢	مراقى الصالحين	٢		٥٧	تحفة المحبين في عاشوراء للقاوقجى	١	
٦٠	نوافل المقربين	١		٦٤	أحسن القول	١	
٧٩	دعوة الشباب العصرية للإسلام	١		٨٨	مجالس تزكية النفوس ج١	١	
٨٩	مجالس تزكية النفوس ٢	١					
السلسلة العاشرة: الأذكار والأوراد: ٧				٨	مفاتح الفرج	٦	
١٥	أذكار الأبرار	١		٣٧	مختصر مفاتح الفرج	٥	
٣٨	أذكار الأبرار صغير	٣		٤٠	أوراد الأخيار تخريج وشرح	٢	
٥٦	نيل التهانى بالورد القرآنى	١		٧٣	جامع الأذكار والأوراد	٢	
السلسلة ١١: دراسات صوفية معاصرة: ١٦				١٠	الصوفية و الحياة المعاصرة	١	
١١	الصفاء والأصفياء	١		١٢	أبواب القرب ومنازل التقريب	١	
٢٩	الصوفية فى القرآن والسنة	٣		٣٦	المنهج الصوفى والحياة العصرية	١	
٤٢	الولاية والأولياء	١		٤٩	موازين الصادقين	١	
٥١	الفتح العرفانى	١		٥٣	النفس وصفها وتزكيتها	١	
٥٨	سياحة العارفين	١		٦٣	منهاج الواصلين	١	
٦٥	نسمات القرب	١		٦٨	العطايا الصمدانية للأصفياء	١	
٧٧	شراب أهل الوصل	١		٨٣	مقامات المقربين	١	
٩٨	آداب المحبين لله	١					
السلسلة الثانية عشر : الفتاوى: ٦				٢٤	فتاوى جامعة للشباب	١	
٧٦	فتاوى فورية ج١	١		٨٠	فتاوى فورية ج٢	١	
٨٤	فتاوى فورية ج٣	١		٨٦	فتاوى فورية ج٤	١	
١٠١	يسألونك	١					
السلسلة الثالثة عشر: أسئلة صوفية: ٤				٢٧	نور الجواب على أسئلة الشباب	٢	
٦٩	الأجوبة الربانية للأسئلة الصوفية	١		٩٩	إشارات العارفين	١	
١١١	بينات الصدور						
السلسلة الرابعة عشر: حوارات مع الآخر: ٣				٨١	سؤالات غير المسلمين	١	
٨٢	حوارات الإنسان المعاصر	١		٩٤	أسئلة حرة عن الإسلام والمسلمين	١	
السلسلة الخامسة عشر: شفاء الصدور: ٥				٤٦	علاج الرزاق لعلل الأرزاق	٢	
٤٧	بشائر المؤمن عند الموت	٣		٦٢	بشريات المؤمن في الآخرة	١	
٦٦	بشائر الفضل الإلهي	١		١١٠	الدعاء المستجاب	١	

أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهـرة
مكتبة المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ شارع جوهر القائد الأزهر
مكتبة الجندي	٢٥٩٠١٥١٨	سوق أم الغلام ميدان الحسين
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ شارع الشيخ ريحان،عابدين
مكتبة جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ الشيخ صالح الجعفرى الدراسة
مكتبة التوفيقية	٢٥٩٠٤١٧٥	١ عمارة الأوقاف بالحسين
بازار أنوار الحسين	٠١٢٢٧٤٧٥٩٣١	٢ زقاق السويلم خلف مسجد الحسين
مكتبة العزيزية	٢٥٩١٥٢٢٤	١١ ميدان حسن العدوى بالحسين
الفنون الجميلة	٢٥٩٠٠٧٨٦	١٣٠ شارع جوهر القائد بالدراسة
مكتبة الحسينية	٢٥٩٠٢٥٤١	٢٢ شارع المشهد الحسينى بالحسين
مكتبة القلعة	٢٥١٠٨١٠٩	١ شارع محمد عبه خلف الأزهر
مكتبة نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة .
المكتب المصري الحديث	٢٣٩٣٤١٢٧	عمارة اللواء ٢ شارع شريف
الأديب كامل كيلانى	٢٣٩٦١٤٥٩	٢٨ شارع البستان بباب اللوق
مكتبة دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ شارع التحرير، ميدان الدقي
مكتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب
مدبولى مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠، شارع النصر مدينة نصر
النهضة المصرية	٢٣٩١٠٩٩٤	٩ شارع عدلى جوار السنترال
هلا للنشر والتوزيع	٣٣٤٤٩١٣٩	٦ ش د. حجازي، خلف نادي الترسانة
المكتبة الأزهرية للتراث	٠١٠٠٥٠٤٢٧٩٧	درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر
مكتبة أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ شارع جوهر القائد الأزهر
المكتبة الأدبية الحديثة	٢٥٩٣٤٨٨٢	٩ شارع الصنادقية بالأزهر
مكتبة الروضة الشريفة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١شارع د.أحمد أمين، مصر الجديدة
		الإسـكندرية
كشك سونا	٠١٢٢٤٦٠٩٠٨٢	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
الكتاب الإسلامى الثقافى	٠١٠٠١٢٣٢٦٩٨	محطة الرمل، صفية زغلول
كشك محمد سعيد موسي	٠١١١٤١١٤٣٠٠	٦٦ شارع النبى دانيال، محطة مصر
مكتبة الصياد	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبى دانيال، محطة مصر
مكتبة سيبويه	٠٣-٥٤٦٢٥٣٩	٢٣ المشيرأحمد إسماعيل، سيدى جابر
الكشك الأبيض	٠١٢٨٨٣٤٣٥٥٥	محطة الرمل- أ/ أحمد الأبيض

الأقــاليم		
الزقازيق– بجوار مدرسة عبد العزيز على	مُحَمَّد -------	كشك عبد الحافظ
الزقازيق – شارع نور الدين	٠٥٥–٢٣٢٦٠٢٠	مكتبة عبادة
طنطا– أمام مسجد السيد البدوى	٠٤٠–٣٣٣٤٦٥١	مكتبة تاج
طنطا– ٩ش سعيد والمعتصم أمام كلية التجارة	٠٤٠–٣٣٢٣٤٩٥	مكتبة قربة
كفر الشيخ – شارع السودان أمام السنترال، أ/سامى أحمد عبد السلام	٠١٠٠٨٩٣٥١٨٢	كشك التحرير
المنصورة – شارع جيهان بجوار مستشفى الطوارىء أ/عماد سليمان	٠١٠٠٢٢٨٥٢٥٣	مكتبة صحافة الجامعة
المنصورة، عزبة عقل، ش الهادى، أ/عاطف وفدى	٠١٠٠١٤٢١٤٦٩	مكتبة الرحمة المهداة
المنصورة– شارع الثانوية بجوار مدرسة ابن لقمان، الحاج كمال الدين أحمد	٠١٠٠٥٧٣١٥٥٠	مكتبة صحافة الثانوية
طلخا – المنصورة– بجوار مدرسة صلاح سالم التجارية، أمام كوبرى طلخا	٠١٢٢٤٩١٧٧٤٤	صحافة أخبار اليوم الحاج مُحَمَّد الأتربى
فايد– أ حماده غزالى بربرى	٠١٢٢٦٤٦٨٠٩٠	مكتبة الإيمان
السويس،ش الشهداء، ح حسن مُحَمَّد خيرى	٠١٢٢٧٩٦٠٤٠٩	كشك الصحافة
سوهاج– شارع احمد عرابي أمام التكوين المهنى	٠٩٣–٢٣٢٧٥٩٩	أولاد عبدالفتاح السمان
قنا– أمام مسجد سيدي عبد الرحيم القناوى	٠١٠٦٩٥١٨٦١٦	كشك أبو الحسن
القرايا– إسنا – ش السيدة زينب– الحاج مُحَمَّد الريس والأستاذ مُحَمَّد رمضان مُحَمَّد النوبى	٠١٠٠٨٦٩٨٦٦٤	كشك القرايا– إسنا
كشك حسنى مُحَمَّد عبد العاطى المنسى أمام مستشفى الرمد بإسنا – الأقصر	٠١١١١٤٩١٨٢٣	كشك حسنى بإسنا

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار والمكتبات الكبرى بجميع أنحاء الجمهورية، ويمكن أيضاً قراءة الكتب وتنزيل النسخ المطبوعة مجانا من موقع الشيخ www.fawzyabuzeid.com **، أوعلى موقع** www.askzad.com **موقع الكتاب العربى. أو الناشر:**

دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش١٠٥ حدائق المعادي بالقاهرة، ت: ٠٢-٢٥٢٥٢١٤٠، ف: ٠٢-٢٥٢٦١٦١٨

إنتهى بحمدالله تعالى، انتظرونا بإذن الله مع الكتاب الجديد:

خصائص النبى صلى الله عليه وسلم

من مؤلفات الشيخ فوزى محمد أبو زيد

فتاوى فورية



أسئلة عصرية



الأسئلة الصوفية



المرأة المسلمة



حوارات مع الآخر



فقه ومناسبات دينية



9 789779 060866

تطلب من دار الإيمان والحياة ١١٤ ش ١٠٥ المعادى - ت : ٢٥٢٥٢١٤٠ القاهرة
القائمة الكاملة لمؤلفات الشيخ فوزى محمد أبو زيد بداخل الكتاب
مع قائمة بالمكتبات ودور النشر